جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية



قطوف الأزهار
من
أحاديث سيد الأخيار

إعداد

أعضاء هيئة التدريس بقسم الحديث بالكلية

٢٠١٠م

دار الأزهر للطباعة
دمنهور ت: ٣٣٢١٧٣٨

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية

قطوف الأزهار من أحاديث سيد الأخيار

إعداد
أعضاء هيئة التدريس بقسم الحديث بالكلية

٢٠١٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل اللهم مالك المُلك تؤتى المُلك مَن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير»

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لقد من الله على المؤمنين إذ جعلهم أمة واحدة فيما يقولون وما يفعلون وما يأتون وما يذرون ، فمعبودهم واحد سبحانه وتعالى وعبادتهم واحدة . وألف بين قلوبهم ونزع منهم العداوة وحمية الجاهلية وأثبت سبحانه وتعالى لهم الأخوة فى الإيمان . لا فرق بين صغير وكبير ومتقدم ومتأخر وذكر وأنثى وحر وعبد . فقال سبحانه : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ (٢) .

وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته بينة واضحة نافعة وزكاهم من الأدناس والخبائث وعلمهم الكتاب والحكمة . وأرسله رحمة للعالمين . وهدى الناس إلى صراط الله المستقيم . ولما فهموا عنه صلى الله عليه وسلم وطبقوا تعاليمه وتمسكوا بدينه ملكوا الدنيا وسادوا العباد ودانت لهم البلاد وسعد بهم الأشقياء وبفضلهم قوى الضعفاء وثبتوا فى الحق كأنهم بنيان مرصوص يحترم

---

(١) سورة الحشر من الآية : ١٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية : ١١ .

الصغير منهم الكبير ويواسى الغنى منهم الفقير ويرأف عالمهم بجاهلهم فيعلمه . وتأدبوا بأدب الإسلام الذى أراده الله ورسوله لهم .

وهو الدعوة المطلقة إلى التحلى بكل محمود وجميل والتخلى عن كل قبيح ومرذول وحينما إهتم الإسلام بالآداب والتى نجد لها مساحات ضخمة وعظيمة وجميلة فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وهى خير دليل على عموم هذا الدين وشموله . فلم يدع أمراً فيه سعادة البشرية كلها ومصلحتها إلا وحث عليها ورَغّب فيه .

ولم يدع أمرا فيه شقاء البشرية وتعاستها إلا حَذّر منه ورَغّب عنه وهذا حكم الله ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ (١) .

وسنبدأ بما بدأ به الإمام البخارى كتابه وهو حديث « إنما الأعمال بالنيات » لأن هذا الحديث من الأحاديث الهامة والتى عليها مدار الإسلام لأنه كما قال شيخ البخارى وأستاذه " إسحاق بن راهويه " أربعة أحاديث هى أصول الدين – وجعل هذا الحديث أولها – ثم نثنى بأحاديث الموضوع إن شاء الله .

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٥٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

- النية أساس للأعمال -

عَنْ أميـر المؤمنين أبى حَفْص عُمَرَ بْن الخَطَّاب رضِىَ اللهُ عَنْهُ - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ : « إنَمـا الأعْمَالُ بالنِّيَّات وإنما لِكُلِّ امْرِىءٍ مَانوى ، فَمنْ كانت هجرتُهُ إلىَ الله ورسُولِهِ فهجرته إلى الله ورسوله ومَن كانت هِجرته لدُنيَا يُصيبُها أوْ إمْرأةٍ يَنكحها فَهجْرتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه » رواه إمَامَا المحدثين البخاري ومسلم فى صحيحها / الترمذى والنسائي ، وابن ماجة وأحمد والدارقطني .

التعريف بالراوى :

هو أمير المؤمنين أبى حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قُرط القرشى العدوى رضى الله عنه الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ . (وهو أول من لقب بأمير المؤمنين من الخلفاء لإستثقالهم خليفة خليفة رسول الله ﷺ ولقبه بذلك عدى بن حاتم وعبيد بن ربيعه حين وفدا عليه من العراق وقيل لقبه بذلك المغيرة بن شعبة أما أول من لقب على الإطلاق بأمير المؤمنين هو عبدالله بن جحش حين بعثه النبى ﷺ فى سرية إثنى عشر رجلا وقيل ثمانية إلى نخلة بين مكة والمدينة يتسقط أخبار قريش وذلك بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة)(١) .

وقد لقبه النبى ﷺ بأبى حفص وهو من أسماء الأسد وسبب ذلك ماكان عليه من كمال شجاعته وصلابته . روى زيد بن أسلم عن أبيه قال رأيت عمر رضى الله عنه يمسك أذن فرسه بإحدى يديه ويمسك بالأخرى أذنه ثم يثب حتى يركب (٢).

(١) التفرجات الرهبية ص ٤٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

وفى كعب الأب الثامن يجتمع نسبه مع النبى ﷺ .

ولقب بالفاروق لأنه كان يفرق بين الحق والباطل فهو أول من جهر بالإسلام وأيد به الله تعالى رسوله ﷺ . وكان مولده بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة .

أسلم عمر رضى الله تعالى عنه سنة ست من النبوية وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب . وكان ذلك بدعوة النبى ﷺ (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام . فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب) .

ولسبب إسلامه قصة طويلة موجزها أنه توجه يوما لقتل النبى ﷺ وبلغه فى الطريق إسلام اخته فاطمة وزوجها سعد بن زيد فقصدهما ليعاقبهما ، فقرأت عليه أخته شيئاً من القرآن فتوجه إلى دار أسفل الصفا كان بها النبى ﷺ وأصحابه فأسلم على يديه . ولقد كبر المسلمون فرحا بإسلامه وبشره النبى ﷺ بالجنة ، وشهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه وأن الشيطان يَفِرُّ منه (١) .

وكان رضى الله عنه قويا فى مواجهة الباطل ، مجاهداً وفارساً من فرسان الإسلام لا يشق له غبار ، حضر كثيرا من غزوات النبى عليه الصلاة والسلام ، ولى الخلافة بعد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فاشتهر بالعدل ، ودون الدواوين ، ووضع نظامنا للخلافة الإسلامية مستنداً إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . وكم من الأحكام نزلت بموفقاته نذكر منها تحريم الخمر والحجاب والأذن ، قال عليه الصلاة والسلام « إن يكن من أمتى محدثين فهو عمر » .

---

(١) الأربعين النووية ص ١٦ .

إلا أن مناقبة وفضائله ومواقفه منذ إسلامه إلى وفاته كثيرة واستمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وآستشهد رضى الله عنه بطعنة من أبى لؤلؤة المجوسى سنة (٢٣) هـ رضى الله عنه وأرضاه [١].

المعانى اللغوية :

(الأعمال) جمع عمل وهو حركة البدن والمراد به حركة الجوارح .

(النيات) جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والأصل نوية قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وهى لغة القصد والإرادة أو هى إنبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر »[٢] .

وشرعا توجه القلب نحو الفعل إبتغاء وجه الله عز وجل وإمتثالاً لأوامره ولزوماً لطاعته .

إنما : تفيد التأكيد والحصر . وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه » .

(إمرىء) أى رجل وفى الحديث أطلقه على الرجل والمرأة ، وإنما الأولى لقصر الموصوف فى الصفة والثانية لقصر الصفة فى الموصوف .

(الهجرة) لغة الترك وشرعا مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام . أو مفارقة دار الخوف إلى دار الأمن أو مفارقة مانهى الله عنه .

---

(١) أسد الغابه جـ٤ ص ١٤٥ .

(٢) الأربعين النووية ص١٧ .

(لدنيا) بضم الدال على الأشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة ، من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة أو لدنوها إلى الزوال . واللام فيها إما للتعليل أو بمعنى إلى والأول أرجح وحقيقتها أنها تطلق على جميع المخلوقات الموجودة قبل . وقيل الأرض مع الهواء والجو قال النووي والأول أظهر[1].

(يصيبها) حال مقدرة أى مقدراً إصابتها أى تحصيلها .

(ينكحها) أى يتزوجها .

معنى الحديث :

هذا حديث صحيح مشهور متفق عليه أخرجه الأئمة السته وعليه مدار الإسلام ومن جوامع كلمه ﷺ وقد تواتر النقل عن العلماء بعموم نفعه وعظيم وقعه وافتتاح الكتب به لعموم الحاجة إليه وقال أبو عبيدة ليس فى الأحاديث النبوية شيء أجمع وأكثر فائدة منه وقد اتفق الإمام الشافعى وأحمد بن حنبل وابن مهدى وأبو داود والدارقطنى وغيرهم على أنه ثلث العلم ووجه البيهقى كونه ثلث العلم : بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها ومن ثم ورد (نية المؤمن خير من عمله)[2].

وقد صدر به الإمام البخارى كتابه الصحيح واقامة مقام الخطبة له إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فهو باطل لا ثمرة له فى الدنيا ولا فى الآخرة وهذا الحديث إتفق العلماء على أنه أصل من أصول الإسلام قال إسحاق بن راهويه شيخ الإمام البخارى

---

(١) راجع الفتوحات الوهبية ص٥٧ .

(٢) الأربعين النووية ص ١٦ .

أربعة أحاديث هى أصول الدين وعد هذا الحديث[1].

وهذا الحديث يدل على أن النية أساس لصحة وقبول الأعمال والثواب عليها فحيث صلحت النية صلح العمل وحيث فسدت النية فسدا العمل .

لغة الحديث وتحليله :

قوله (عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال ابن رجب هذا الحديث تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن ابراهيم عن علقمة بن وقاص عن عمر بن الخطاب وليس له طريق يصح غير هذا الطريق كذا قال على بن المدينى وغيره وقال الخطابى لا أعلم خلافا بين أهل الحديث فى ذلك مع أنه قد روى من حديث أبى سعيد الخدرى وغيره ثم رواه عن الأنصارى الخلق الكثير والجم الغفير فهو فرد فى أوله مشهور فى آخره [2] وقال محمد بن علان (غريب بإعتبار أوله مشهور بإعتبار آخره وليس بمتواتر لفقد عدد التواتر)[3] .

قوله سمعت رسول ﷺ مفعول سمعت أى كلامه لأن السمع لا يتعلق بالذات وقوله (يقول) جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال من رسول الله أى قائلا « وأتى به مضارعا بعد سمع الماضى : إما حكاية لحاله وقت السماع أو لإحضار ذلك فى ذهن السامع » [4] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص١١ .
(٢) تدريب الراوى جـ٢ ص١٧٤ .
(٣) دليل الفالحين جـ١ ص٤٠ .
(٤) دليل الفالحين جـ١ ص ٤٠ .

قوله (إنما) للحصر بإتفاق المحققين ومعناه القصر وهو إثبات الحكم لما بعدها وتنفيه عما عداه . وما هنا زائد لتأكيد الإثبات وتضاعف الإثبات يفيد الحصر وهذا الذى رجحه العلماء بعد أن قال الرازى أنّ إنّ للإثبات وما للنفى وأن الإثبات للمذكور والنفى لما عداه .[1] وورد فى بعض الروايات (الأعمال بالنيات) وهذا أيضا يفيد الحصر .

قوله (الأعمال) جمع عمل كما سبق وهى حركات البدن تتدخل فيها الأقوال لأنه عمل اللسان والمراد بالعمل عمل مخصوص وهوعمل الجوارح لذلك جعل بعضهم أن (أل) فى الأعمال للعهد الذهنى خلافاً لمن قال أنها للإستغراق فالعموم مخصوص لخروج جزئيات الأعمال عن الإحتياج إلى النية كالواجب غير المتوقف على النية من نحو قضاء دين وكفّ عن محرم والمتوقف على النية حصول الثواب فى ذلك . وهو غير ما الكلام فيه ، إذ هو هل تلزم النية فى صحة الترك بحيث يعصى بتركها[2] .

وهذه الأعمال المقصودة (عمل الجوارح) تنقسم إلى قسمين عبادات لابد للنيه فيها عادات وهى التى تتحول بالنية إلى عبادات نحو الأكل للتقوى على طاعة الله تعالى وكسب الرزق الحلال فصاحبه مثاب فمن أراد الثواب عليه إحتاج للنيه « وأثر عليه الصلاة والسلام ذكر الأعمال على الأفعال لأن لفظ العمل أخص ولأن الفعل ينسب إلى البهائم والجمادات كما ينسب إلى ذوى العقول بخلاف العمل لأنه يعتبر فيه القصد . قال بعض الأدباء قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على أنه من مقتضاة »[3] .

---

(١) دليل الفالحين جـ١ ص ٤٠ .

(٢) الفتوحات الوهبيه ص ٥٠ .

(٣) راجع دليل الفالحين ص ٤١ .

وقوله (بالنيات) جمع نية وهي لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل إبتغاء وجه الله تعالى وامتثالاً لأمره وجمعت لأنها تتنوع كما تتنوع الأعمال وفي بعض الروايات (بالنية) على الإفراد لأنها مصدر ولأن محلها القلب وهو متحد فناسب إفرادها بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها .

والباء في (بالنيات) قيل للسببية ويصح كونها للملابسة وكونها للمصاحبة قال بعض المحققين فعلى الأول هي جزء من العبادة وهو الأصح وعلى الثاني شرط وفيه نظر لأن كلا منهما محتمل للشرطية والركنية وقيل للإستعانة ثم لابد من تقدير مضاف فقدره البعض بأن صحة الأعمال بالنية وبعضهم قالوا تقديره إنما كمال الأعمال بالنيات ، وقال بعضهم إنما الأعمال ثابت ثوابها بسبب النيات .

أما محل النية فهو القلب وزمنها أول العبادة وكيفيتها تختلف بحسب المنوي وشروطها إسلام الناوي وتمييزه وتحقق الوجوب أو ظنه وأن يكون المنوي من مكتسباته . والمقصود منها تمييز العبادة عن العادة كالغسل فإنه يكون عبادة وعادة للتنظيف أو تمييز العبادة بعضها عن بعض كالغسل فإنه يكون واجباً كغسل الجنابة وسنة كغسل الجمعه .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم : وقد جاء ذكرها كثيراً في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النية أيضا من الألفاظ المقاربة لها منه قوله تعالى : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ وقوله ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ﴾ وقوله ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ وقوله ﴿ ولا

تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ ويعبر عنها فى القرآن بلفظ الإبتغاء كقوله تعالى ﴿ إلا إبتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ وقوله ﴿ والذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾.

وفى السنة الشريفة ما رواه أحمد والنسائى من قوله ﷺ (من غزا فى سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى) وروى أحمد بسنده أيضاً قوله ﷺ (ورب قتيل بين صفين الله أعلم بنيته) وروى ابن ماجه بسنده قوله ﷺ (يحشر الناس على نياتهم) .

ومن أقوال الصحابة عن ابن مسعود « لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة » .

وقوله :﴿ وإنما لكل إمرىء ما نوى﴾ إنما هى للتأكيد والقصر و (إمرىء) أى رجل وإنما خصه بالذكر لغلبة دوران الحكم عليه كما أن الرجال قوامون على النساء وإلا فالنساء مكلفات بالأحكام كالرجال .

(ما) إسم موصول بمعنى الذى (نوى) صلة الموصول والعائد محذوف تقديره أى ما نواه من خير أو شر ويجوز أن تكون مصدرية أى جزاء نيته .

أما فائدة هذه الجملة بعد قوله ﴿ إنما الأعمال بالنيات ﴾ فقد ذكر العلماء لذلك عدة أشياء نذكر منها ما يلى :

أولاً : أن هذه الجملة (وإنما لكل إمرىء ما نوى) تأكيداً للجملة الأولى فذكر الحكم بالأولى وأكده بالثانية تنبيها على شرف

الإخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الإخلاص .

ثانياً : أن الجملة الأولى لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعا إلا بالنية الموجودة لها وأما الجملة الثانية فهى لبيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته من خير أو شر .

ثالثاً : أن قوله (وإنما لكل إمرىء ما نوى) تفيد إمتناع النيابة فى النية الشامل لها الجملة الأولى إلا فى حالة عدم تأهل المنوى عنه لها فيها كالحج عن الغير ونحوه .

رابعاً : أن الجملة الثانية دلت على أن الأعمال العادية لا تتوقف على النية قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة كالوطىء إذا أريد به التعفف عن الفاحشة ، والتنظيف إذا قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله .

خامساً : أن الجملة الثانية دلت على أن من نوى شيئاً يحصل له ثوابه وإن لم يعمله لمانع شرعى كمريض تخلف عن الجماعة . روى أبو يعلى الموصلى بسنده مرفوعاً ﴿ يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الأجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك منه ولا هو فى صحفنا فيقول إنه نواه ﴾ .

قوله (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) وسبب هذا الحديث ما رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود قال (كان فينا رجل خطب إمرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس ، قيل وإسمها قتيلة)[1].

---

(1) دليل الفالحين ص ٤٥ .

ـ قوله (فمن كانت هجرته) هذه الجملة تفصيل لبعض الإجمال فيما قبله والتقدير : إذا تقرر أن لكل امرىء منويه من طاعة وغيرها فلابد من مثال يجمع الأعمال كلها أمرها ونهيها وذلك الهجرة إذ هى متضمنة لذلك . أما الكف عن المنهى عنه فظاهر من ثم قـــــال ﷺ (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

ـ وقال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم لما ذكر ﷺ أن الأعمال بحسب النية ، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر ، وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنها شيء ، ذكر بعد ذلك مثلا من الأمثال والأعمال التى صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها بإختلاف النيات ، وكأنه يقول سائر الأعمال حزو هذا المثال .

والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى إذا كان لكل امرىء ما نوى فمن ... الخ وهو على ذلك من عطف المفصل على المجمل لأن هنا تفصيل لما سبق كما فى الرأى الأول .

والهجرة فى اللغة الترك وفى الإصطلاح مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام ، خوف الفتنة وطلب إقامة الدين ، وحقيقتها مفارقة ما يكره الله تعالى الى ما يحبه . والهجرة وقعت على وجهين :(١)

الأول : الإنتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما فى هجرة الحبشة وكانت بعد البعثة بخمس سنين قاله البيهقى .

الثانى : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر ﷺ بالمدينة هاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين وذلك بعد البعثة بثلاث عشرة سنه على هذا الوجه كانت الهجرة إليها واجبة

---

(١) فتح البارى جـ١ ص ١٦ بتصرف .

لتكثير عدد المسلمين والفرار بالدين من الفتن .. وطاعة أمر النبى ﷺ كما أمرهم بالهجرة إلى أن فتحت مكة ثم قال عليه الصلاة والسلام (لا هجرة بعد الفتاح)[1] أى إلى المدينة لأن مكة صارت دار الإسلام .

وإذا كانت هذه الهجرة قد انقطعت ، فالهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة وكذا هجرة ما نهى الله عنه ، قال عليه الصلاة والسلام (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

وقوله :(إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) . فإن تلك القاعدة تغاير الشرط والجزاء لأن الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من أطاع أطاع ومن عصى عصى وإنما يقال من أطاع نجا ومن عصى عوقب وقد اتحدا فى هذا الحديث .

والجواب على ذلك

(١) أن التغاير يقع تارة باللفظ وهو الأكثر وتارة بالمعنى كما هنا فالمعنى من كانت نيته من الهجرة التقرب إلى الله ورسوله فهجرته مقبولة عنده . فالجزاء كناية عن قبول الهجرة .

(٢) وقال بعضهم : الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة إلى الله ورسوله المذكور ومستلزم له دال عليه فأقيم السبب مكان المسبب .

(٣) وقدر بعض العلماء : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته إلى الله ورسوله حكما وشرعا وقال بعض العلماء ثوابا وأجرا بدل قوله حكما وشرعا . إذن فهل هناك فائدة فى الإتحاد .

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(١) الجواب أن الإتحاد هنا للمبالغة فى التعظيم على أنه يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدتى فقد قصدنى أى فقد قصد من عرف بإنجاح قاصده .

(٢) كما أن فى الإتحاد اللفظى بين الشرط والجزاء بيان أن حصول ما نواه بهجرته نهاية المطلوب فى الدنيا والآخرة .

ويجرى مثل ذلك فى المبتدأ والخبر كقول الشاعر :

خليلي خليلى دون ريب وربمـــا ألان امرؤ قولا فظن خليـــلا.

أى خليلى من لا أشك فى صحة خلته ولا يتغير فى حضوره وغيبته [١].

وقد يقصد بذلك التحقير كما فى قوله الآتى (فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، قوله (ومن كانت هجرته لدُنيا) بضم الدال (يصيبها أو) كانت هجرته ، لأجل (إمرأة ينكحها) وهذا من باب عطف الخاص على العام ، تنبيها على سبب الحديث وإن كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وعلى هذا فذكر الدنيا هنا إما زيادة على السبب تحذيراً من قصدها .

أو لأن أم قيس إنضم لجمالها المال فقصدهما مهاجرها . أو لأن السبب قصده نكاحها ، وقصد غيره دنيا . وقيل أن الأجود جعل (أو) للتقسيم وجعل المرأة قسما مقابلا للدنيا إيذانا بشدة فتنتها .

فإن سأل سائل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحان ، فالجواب أنه لم يخرج فى الظاهر والحقيقة لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج فى

---

(١) فتح البارى جـ١ ص١٦ بتصرف

صورة طلب الهجرة فأبطن خلاف ما أظهر فلذلك ذم .

قوله (فهجرته إلى ما هاجر إليه) من الدنيا أو المرأة وإن كان صورته صورة الهجرة لله ورسوله .

وترك الإتيان بالظاهر فى هذه الجملة حثا على الإعراض عن الدنيا والنساء وعدم الإهتمام بشأنهما . وتنبيها على أن العدول عن ذكرهما أبلغ فى الزجر عن قصدهما[1] .

ما يستنبط من الحديث :

١ ـ لا تصح الأعمال إلا بالنيات لأن الأمور بمقاصدها .

٢ ـ المؤمن يؤجر على حسب نيته ويعطى على نيته ما لا يعطى على عمله .

٣ ـ من كانت أعماله خالصة لله فمقبولة لأن الأعمال مرتبطة بالنية .

٤ ـ من كانت أعماله رئاء الناس فلا تقبل .

٥ ـ المميز بين العبادة والعادة هى النية .

٦ ـ أن نية المؤمن تبلغ حيث يبلغ العمل .

٧ ـ مشروعية الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام .

٨ ـ التحذير من الإفتتان بالدنيا أو النساء .

٩ ـ وجوب هجر ما نهى الله تعالى عنه حساً ومعنى ومراقبة الله عز وجل فى جميع الأعمال والأقوال .

١٠ ـ أن من نوى فعل خير ولم يستطيع لأمر خارج عن إرادته جازاه الله عز وجل على نيته .

---

(١) راجع فتح البارى جـ١ ص ١٦ ـ ١٧ بتصرف

١١ - وجوب كون العمل مستوفيا شروط الصحة مع الإخلاص لله تبارك وتعالى

١٢ - فيه حجة على المرجئة في قولهم الإيمان إقرار باللسان دون الإعتقاد بالقلب .

أركان الاسلام

روى الامام مسلم بسنده عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان . (١)

التعريف بالراوى :

سبق التعريف به فى الحديث الأول .

ما يتعلق بالاسناد :

هذا الحديث أخرجه الامام مسلم فى صحيحه بأربعة روايات كلها عن ابن عمر ، فالرواية الاولى والثانية عن سعد بن عبيدة السلمى عن ابن عمر ، والثالثة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال قال عبد الله فكأن محمد بن زيد قد رواه عن جده عبد الله بن عمر أما الرواية الرابعة فهى عن عكرمة عن عبد الله بن عمر .

وبالنظر الى الاسناد الأول بحسب ترتيب الأحاديث فى الصحيح نجد أنه كله كوفيون ماعدا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فهو مكى مدنى .
وهذا الحديث رواه الخمسة الا أبو داود .

معانى المفردات :

(بنى الاسلام) أى أقيم والاسلام لغة الانقياد ، وشرعا الانقياد الظاهرى لما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبنى فعل ماضى مبنى للمجهول والاسلام نائب فاعل .

---

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه / كتاب الايمان / باب أركان الاسلام جـ ١ صـ ١٢٧

(على خمس) جار ومجرور متعلق ببني وذكر لفظ خمس لأن المعدود مؤنث أى على خمس دعائم قال الامام النووى : وأما ضبط ألفاظ المتن فوقع في الأصول "بني الاسلام على خمسة" في الطريق الأول والرابع بالهاء فيها وفي الثاني والثالث خمس بلا هاء وفي بعض الاصول المعتمدة في الرابع بلا هاء وكلاهما صحيح . والمراد برواية الهاء خمسة أركان أو أشياء أو نحو ذلك وبرواية حذف الهاء خمس خصال أو دعائم أو قواعد أو نحو ذلك . (١)

و "شهادة" بالجر بدل من خمس، وقد عطف عليها بالجر "اقام الصلاة وايتاء الزكاة ،وحج البيت وصوم رمضان" فهذه كلها بدل من خمس ، بدل مفصل من مجمل . وقال محمد بن علان : "قوله شهادة" بالجر فيه وفيما بعده بدلا من خمس أو عطف بيان وهو الاحسن ويجوز رفعه خبرا لمبتدأ محذوف أى أحدها أو مبتدأ وخبره محذوف أى منها وهو أولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدأ لأن الخبر كالفضلة بالنسبة اليه ، ونصبه مفعولا لأعني . (٢)

"أن لااله الا الله" أن مخففة من الثقيله واسمها ضمير الشأن ، وجملة "لااله الا الله" في محل رفع خبرها ، وشهادة مضاف وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مضاف اليه مجرور بالاضافة .

"وأن محمدا رسول الله" الواو حرف عطف ، وأن وما دخلت عليه في تأويل ... معطوف على "أن لااله الاالله" داخل معه في حكم الجر باضافة لفظ شهادة اليها .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١ صـ١٧٨ .
(٢) الفتوحات الربانيه جـ٧ صـ٢٤٦ .

"واقام الصلاة" أى جعلها قائمة ، والمراد أداؤها بأركانها وشروطها ، وأصلها فى اللغة الدعاء . وشرعا : أقوال وأفعال مخصوصه مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وسميت الصلاة الشرعية بهذا الاسم لاشتمالها على الدعاء .

"وايتاء الزكاة" أى اعطائها مستحقيها والزكاة لغة الطهارة والنماء ومنه قوله تعالى (قد أفلح من تزكى) (١) وتقول ايضا زكا الزرع أى نما ، والمراد منها هاهنا الصدقة الواجبة . وسميت بهذا الاسم لانها تطهر المذكى من الذنوب وتنمى ماله .

"الحج" فى اللغة القصد وفى الشرع قصد بيت الله الحرام بمكة للنسك .

"صوم رمضان" الصوم لغة مطلق الامساك و منه قول مريم بنت عمران "انى نذرت للرحمن صوما" وصوم رمضان : الامساك فى نهاره عن المفطرات .

من بلاغيات الحديث :-

فى قوله (بنى الاسلام على خمس) البناء حقيقة لايكون الا فى الأمور الحسية وقواعد الاسلام الخمس من الامور المعنوية وليس من الامور الحسية . فيكون ماجاء فى الحديث عنها من باب التمثيل توضيحا للمعانى المقصودة منه وتأكيدا لها فى القلوب وبيانه على الوجه الآتى :

شبهت حالة الاسلام مع قواعده الخمس ، بحال خيمة تقوم على عمود متوسط وأربعة أوتاد تستمسك بها ، وعمود الاسلام هو "شهادة أن لااله الا الله وأن محمدًا رسول الله" وأوتاده بقية شعبه الخمس . وكما أن الخيمة

---

(١) سورة الأعلى : آيه ١٤ .

تنهار اذا سقط عمادها الأوسط ، وتميل اذا خلع وتد من أوتادها أو ضعف ثباته ، فكذلك الاسلام يزول اذا زالت حكمة التوحيد ويخل اذا فقد ركن من بقية الأركان أو ضعف ثباته فمما تقدم نرى أن وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور .

ويمكن أن يكون في الكلام استعارة مكينة بأن يشبه الاسلام بمعنى له دعائم ثم يحذف المشبه به ويأتي بشيء من لوازمه وهو البناء .

ويمكن أن يكون في الكلام استعارة تبعية بأن يشبه ثبات الاسلام على أركانه ببناء على قواعد ثم يستعار البناء ويشتق "بني" بمعنى "ثبت" قال : محمد بن علان : البناء في الأصل موضوع للمحسوسات فاستعماله في المعاني مجاز علاقته المشابهة شبه الاسلام ببناء عظيم محكم وأركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فالتشبيه المضمر في النفس استعارة مكينة ، واثبات البناء له استعارة تخييلية . وقال الكازروني تمثيلية شبهت حالة الاسلام مع أركانه الخمس بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة وقطبها الذي يدور عليه الأركان هو الشهادة ، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد فتكون مغايرة لهذه الاركان كمغايرة الخباء للأعمدة .(١)

المعنى العام للحديث :

يرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الى الأسس التي يقوم عليها بناء الاسلام وهي عبارة عن الدرس الأول والضروري الذي يجب أن يتعلمه من يريد الدخول في الاسلام .

(١) الفتوحات الربانية جـ٧ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦

نبدأ بالعقيدة وهى " شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله: فعلى المسلم أن ينطق بها لسانه ويصدق بها قلبه - وذكر الاسلام هنا يعنى أيضا الايمان ، وقد سبق ذكر القاعدة فى المقدمه وهى " انهما - الايمان والاسلام - اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا " فذكر الاسلام فى الحديث هنا يعنى الانقياد والتصديق . ثم ذكر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام الصلاة ، ثم الزكاة ، والحج وصوم رمضان .

فهذا الحديث أصل عظيم فى معرفة الدين ، وعليه اعتماده ، وقد جمع أركانه ، فقد فرض الله تعالى على كل مسلم أن يصلى خمس مرات فى اليوم والليلة والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفرض الصوم الذى يعود النفس الصبر وتحمل المشقات ، والحنو على الفقراء والمساكين ، وفرض على المسلم المالك للنصاب أن يزكى ، والزكاة تطهر النفس من رذائل الشح والبخل وتعودها فعل الخير . وفرض الله الحج أيضا وفى الحج أعمال يتجرد فيها المرء من مظاهر نعم الدنيا وزينتها الباطلة ويستوى فيها مع غيره من عباد الله ، ليقلع عن الكبرياء والغرور ويتعود المساواة والتواضع .

فقه الحديث وتحليله :

اعلم - أيها القارئ أن هذه الأركان الخمس بعضها مرتبط ببعض ، فقد روى مرسلا فى مسند الامام احمد بسنده عن زياد بن نعيم الحضرمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أربع فرضهن الله فى الاسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتى بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت) .

قال ابن مسعود : من لم يترك فلا صلاة له ـ ونفى القبول هنا لا يراد به نفى الصحة ولا وجوب الاعادة بتركه ، وانما يراد بذلك انتفاء الرضا به ومدح عامله والثناء بذلك عليه فى الملأ الأعلى والمباهاة به للملائكة ، فمن قام بهذه الأركان على وجهها حصل له القبول بهذا المعنى ، ومن أتى ببعضها دون بعض لم يحصل له ذلك ، وان كان لا يعاقب على ما أتى به منها عقوبة تاركه بل تبرأ به ذمته ، وقد يثاب عليه أيضا .

ثم يقول ابن رجب : ومن ههنا يعلم أن ارتكاب بعض المحرمات التى ينتقص بها الايمان تكون مانعة من قبول بعض الطاعات ، ولو كان من بعض أركان الاسلام بهذا المعنى ، الذى ذكرناه قال صلى الله عليه وسلم "من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما ، وقال (من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما) وقال "أيما عبد أبق من مواليه لم تقبل له صلاة) (١)

هل الترتيب هنا مقصود ؟

بالنظر الى الروايات التى وردت عند الامام مسلم رضى الله عنه نجد فيها تقديم وتأخير فى هذه الاركان المذكورة فكل الروايات فيها اتفاق على تقديم الصلاة على بقية الاركان يليها الزكاة ، ووقع التقديم والتأخير فى "صوم رمضان وحج البيت".

قال الامام النووى : وأما تقديم الحج وتأخيره ففى الرواية الأولى والرابعة تقديم الصيام وفى الثانية والثالثة تقديم الحج ، ثم اختلف

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٣ ، ٥٤

العلماء فى انكار ابن عمر على الرجل (١) الذى قدم الحج ، مع أن ابن عمـر رواه كذلك كما وقع فى الطريقين المذكورين ، والاظهر ــ والله أعلم ــ أنـــه يحتمل أن ابن عمر سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين مرة يتقديــم الحج ومرة بتقديم الصوم فرواه أيضا على الوجهين فى وقتين ، فلما رد عليـــه الرجل وقدم الحج قال ابن عمر لا ترد على مالا علم لك به ولا تعترض بما لا تعرفه ولا تقدم فيما لا تتحققه بل هو بتقديم الصوم هكذا سمعته من رسول الله صلـــى الله عليه وسلم وليس هذا نفى لسماعه على الوجه الآخـــر .

وقال الامام النووى أيضا : ويحتمل أن ابن عمر كان سمعه مرتين بالوجهين كمـا ذكرنا ثم لما رد عليه الرجل نسى الوجه الذى رد ، فأنكره فهذان الاحتمـالان هما المختـــاران . (٢)

قال ابن الصلاح : محافظة ابن عمر رضى الله عنهما على ما سمعـــه من رســول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيهه عن عكسه تصلح حجة لكون الواو تقتضى الترتيب وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين وشذوذ من النحويين ومن قـــــال: لا تقتضى الترتيب وهو المختار وقول الجمهور فله أن يقول لم يكن ذلك لكونهـــا تقتضى الترتيب بل لأن فرض صوم رمضان نزل من السنة الثانية من الهجــــرة ونزلت فريضة الحج سنة ستة وقيل سنة تسع ومن حق الاول ان يتقدم فى الذكـر على الثانى فمحافظة ابن عمر رضى الله عنهما لهـذا .

---

(١) ورد فى نهاية الرواية الاولى فى صحيح مسلم بعد ان ذكر ابن عمــر الحديث فقال رجل : الحج وصيام رمضان ــ استدراكا لابن عمر حينما قدم الصيام على الحج ــ قال ــ اى ابن عمــر ــ صيام رمضان والحــج هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . جـ١ صـ١٧٦ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنــووى جـ١ صـ١٧٨ .

وأما رواية تقديم الحج فكأنه وقع ممن كان يرى الرواية بالمعنى ويرى أن تأخير الاول أو الاهم في الذكر شائع في اللسان ، فتصرف فيه بالتقديم والتأخير لذلك ، مع كونه لم يسمع نهي ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك . وقد ضعف النووي هذا الرأي من ابن الصلاح (١) ، لكن الرواية بالمعنى أهون من نسبه النسيان الى ابن عمر رضي الله عنه . فالذي أختاره هو قول ابن الصلاح .

وقد ايد ذلك الشيخ دراز وأضاف تعليلا آخر فقال . فالذي ينبغي التعويل عليه هو الرواية التي شهدتم "ابن عمر" بسماع لفظها . نعم "الواو" لا تفيد ترتيبا ، ورواية الحديث بالمعنى جائزة عند المحققين ، ولكن الرواية التي صرح "ابن عمر" بسماعها قد روعي فيها امر معنوي يعنى به المؤرخ للتشريع الاسلامي . وذلك أن ترتيب القواعد الخمس في الوضع اللفظي جاء على وفق ترتيبها الزماني في التشريع ، فان الدعوة الى الشهادتين كانت أول الجميع منذ مبدأ البعث في (مكة) ، ثم تبعها فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة ثم فرض الزكاة وصيام رمضان كلاهما في السنة الثانية من الهجرة ، ثم فرض الحج في السنة السادسة أو التاسعة من الهجرة على الخلاف .

ومعنى آخر يلاحظه عالم الشريعة في هذا الترتيب المحفوظ وهو أنه قد جيء بالاركان الخمسة مرتبة على حسب منزلتها من عناية الشارع وعلى حسب ما يستحق تاركها من العقوبة المقررة في الشريعة .

فان منكر الشهادتين اذا قوتل يقتل كفرا ، وتارك الصلاة حدًا على قول الجمهور ، أو كفرًا على قول بعض الائمة ، ومانع الزكاة يقاتل ، وتارك الصوم يعزر بالسجن والضرب ، وتارك الحج يفوض أمره الى الله تعالى فرب رجل ظاهره الغنى وهو

---

(١) المرجع السابق ج١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ بتصرف

فقير . ثم يقول فضيلتــه : ذلك كله لمن ترك شيئا من الاركان الاربعة كسلا و
اهمالا وهو معترف بوجوبها ، وأما من جحد الوجوب او انكر المشروعية ، فانه
يقتل كفرا ، اذ أنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة (١) والحق أن التقديم
والتأخير فى مثل هذا الحديث لا يؤثر عليه شيئا فهو واضح وصريح فــى أن
مايتضمنه دعائم وأركان الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة والله أعلم .

اعتراض والرد عليــه :

قد يقول قائل : نحن نعلم ان الاسلام لاتقتصر فروضه على هذه الخمســة
بل فروضه كثيرة ، وكثير منها من باب الأفعال مثل بر الوالدين ، وحســن
الجوار ، وكثير منها من باب الترك كترك شرب الخمر والتعامل بالربا ، والبعد
عن الزنا . وهناك من تلك الفروض مالا يقل أهمية فى بناء الاسلام عن معظم
هذه الأركان الخمسة كالجهاد فى سبيل الله ، فلولا الجهاد لضاع الاســلام
بتكالب أهل الكفر ضده ، ولو حاولنا احصاء شعب الايمان والاسلام لأخطانا
فى الحصر ، وحسبك فى الاشارة الى كثرة الشعب فى قوله صلى الله عليه وسلم
"الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان" (٢) فما وجه الاقتصار
على هذه الخمســة ؟

ويجاب على ذلك بمايلــى :
أن المقصود من القواعد مايتحقق به أصل الاسلام وفروضه الأساسية ، وهــذه
القواعد يتم من فوقها بناء الإسلام ، الذى يتناوله كل تفاصيله ، فلكــى
يتحقق أصل الأسلام لابد من الايمان الصادق بالله وكمالاته ، وبرسلــه ،

---

(١) مفتاح كنوز السنه ص ٢١٣/٢١٥ بتصرف / الفتح الربانى جـ٧ صـ ٣٤٧
(٢) اخرجه البخارى ك الايمــان / بــاب .

ولكن يتأكد هذا التصديق ، لابد من أداء الصلاة خمس مرات يوميا ، ففـي الصلاة يعظم العبد ربه ، ويحمده ويثني عليه ، ويفرد بالعبادة ، والاستعانة ، ويطلب منه دوام الهداية للصراط المستقيم الى آخر ما في الصلاة من عوامـل تثبت الايمان ٠

كما يتأكد الايمان ويثبت بالتعاون بينه وبين أهل دينه من الفقراء والمحتاجين ، بأن يمنحهم من زكاة المال الذى أنعم الله به عليه ٠ ويتأكد ويثبت أيضا بجعل الحج لله وحده ، فلايحج للأوثان داخل الكعبة أو خارجها كما كان يفعـل المشركـون ٠

ويتأكد أيضا ويثبت بالصوم ، وحرمان النفس من المتعة الجنسية والطعـام والشراب نهارا طيلة شهر كامل من كل عـام ٠

فاذا تحققت هذه الأركان وثبتت دعائم الاسلام هذه ، أمكن أن يبنى عليهـا هيكل الاسلام وخيمته العامة المحيطة بكل شعبه ، ومن لم يؤسس اسلامه علـى تلك القواعد ، بحيث تكون ثابته مكينة ، فانه لا يجد في نفسه حافزا يحثه علـى فروضه ، وفضائله ولاباعثا يبعثه على تحمل تبعاته ، فلاينتظر من رجل لا يصلـى ولا يزكى ولا يصوم ولا يحج لبيت الله الحرام أن يجاهد في سبيله ، أو أن يسعى الى الواجبات والفضائل التى شرعها الله تعالى في الاسلام ، كشأن الكافـر بربـه وبدينـه ٠

فلذلك جعلت هذه الاربعة مع الشهادتين أركانا للاسلام وقواعد يقوم عليهـا ٠

واعلم أن الجهاد من فروض الكفاية اذا هاجمنا العدو ، وعلى الأمـة أن تطيع امامها في اختيار المجاهدين ، فكل من عينه الامام للجهاد تعين عليـه أن يستجيب فاذا لم يهاجمنا العدو وكنا في أمن من جهته فلايجب الجهاد ٠ (١)

(١) انظر فتح البارى جـ١ صـ٩٥ بايجـاز ٠

وقال ابن رجب : ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر هذا ذلك لوجهين :
أحدهما : أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان . والثاني : أن الجهاد لا يستمر فعله الى آخر الدهر بل اذا نزل عيسى عليه السلام ولم يبق حينئذ ملة الا ملة الاسلام فحينئذ تضع الحرب أوزارها ويستغنى عن الجهاد ، بخلاف هذه الأركان فانها واجبة على المؤمنين الى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك . (١)

لماذا لم يذكر الايمان بالانبياء والملائكة واليوم الآخر ؟

الجواب على ذلك أن الايمان " بأنه لااله الا الله " اذا حصل الايمان بها على الوجه الصحيح استتبع الايمان بسائر العقائد (الهيات ، نبوات ، سمعيات) وقد بينا في الحديث السابق أن من آمن بالله الواحد الأحد آمن بكل صفاته وأسمائه وكمالاته .

كما أن الايمان بالواحدانية يقتضي الايمان بالرسل والانبياء وكل ما أتوبه ذلك لان تكذيب الانبياء والرسل هو عند التحقيق والتدبر شرك بالله عز وجل ، لانه لا يكذبهم الا من أنكر المعجزات ، ولا معنى لانكار معجزاته الا انكار كونها من عند الله تعالى ، وكونها فعلا من أفعال الله ، ونسبتها الى مدعي النبوة بالسحر أو الجن والشياطين ، ومن زعم ذلك فقد جعل لله نداً ، يقدر على أن يخلق ما لا يخلقه الا الله وهذا شرك . اذن فعقيدة التوحيد مستلزمة الايمان بالانبياء والرسل ، كما أن التصديق بالانبياء والرسل يقتضي تصديقهم في كل ما أتوا به من الايمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر وما فيه .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٤ .

كما أن فى ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الحديث يقتضى أيضا الايمان صراحة بجميع الانبياء والرسل السابقين لانه مصدق لهم وداع فى صلب دعوته الى الايمان بهم جميعا .(١) قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل الله من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)(٢)

تنبيه : إذا كان الاسلام هو الخمس دعائم أو الخمسة أركان فكيف يبنى عليها والشئ لا يبنى على نفسه ؟

الجواب على ذلك : أن على " بمعنى " الباء " أو من " أى بنى بخمس أو من خمس.(٣)

أفكار الحديث وما يستنبط منه :-

١ ـ أن الشهادتين شرط للدخول فى الاسلام ولا يعتبر مسلما من لم ينطق بهما .

٢ ـ أهمية هذه الاركان وعدم التفريط فى شئ منهما .

٣ ـ أن الايمان والاسلام يسميان دينا ، واذا أفرد أحدهما أندرج معه الآخر ـ كما سبق أن بينا فى المقدمة .

٤ ـ أن من أنكر شيئا من هذه الاركان الخمس الواردة فى الحديث يعتبر كافرا لانه انكر معلوما من الدين بالضرورة .

---

(١) راجع فتح البارى جـ١ صـ ٥٥ ، ٥٦ / العينى جـ١ صـ١٢٠

(٢) سورة البقرة : أيه

(٣) من هدى السنة صـ ٤٢ . فضيلة أ.د / محمد الاحمدى ابو النور ومعه علماء أجلاء .

٥ ـ أن الايمان بوحدانية الله تعالى يقتضى الايمان بكل مايتصل بالألوهيات والنبوات والسمعيات .

٦ ـ أن الجهاد فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيه ، وانه يتعين احيانا على آحاد الأمـه وهو من يختاره الولى ، وقد يتعين على الأمـة جميعا عند الضرورة وطلب النفرة الى الحرب لقتال العـدو .

٧ ـ من مجموع الروايات الواردة عند الامام مسلم برواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يؤخذ مدى حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أداء مـا سمعوه من النبى عليه الصلاة والسلام . والله تعالى أعلـم

* * *

- روى الامام مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء .
- وفى رواية الامام مسلم عن شيخه احمد بن ابراهيم الدورقى حدثنا مبشر بن اسماعيل عن الأوزاعى عن عمير بن هانىء فى هذا الاسناد بمثله غير أنه قال " ادخله الله الجنه على ماكان من عمل ولم يذكر من أى أبواب الجنه الثمانية شاء .
- وروى الامام مسلم بسنده عن الصنابحى عن عبادة بن الصامت أنه قال دخلت عليه وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فو الله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار. (١)

مايتعلق بالاسناد :

- هذا الحديث عن عبادة بن الصامت أخرجه الامام مسلم فى هذا الموضع بثلاث روايات عن شيوخ ثلاث : فروى الاولى عن داود بن رشيد والثانية عن أحمد بن ابراهيم الدورقى والثالثة عن قتيبة بن سعيد . وعبر فى

(١) اخرجه مسلم / ك الايمان / باب عقائد التوحيد / جا ص ٢٢٦/٢٢٩

الاولى والثالثه بلفظ حدثنا فكأنه سمع الحديث مع غيره من داود بن رشيد وقتيبه بن سعيد وعبر في الثانية بلفظ حدثني " فكأنه سمع الحديث من أحمد بن ابراهيم الدورقي بمفرده . وفي هذه أمانة الأداء .

وفي كثرة الطرق زيادة اطمئنان وان كان لايحتاج صحيح مسلم لذلك: فهو من قبيل قول الله تعالى (ليزداد الذين آمنوا ايمانا) .

وقال الامام النووي عن الاسناد الاول : وهذا الاسناد كله شاميون الا داود بن رشيد فانه خوارزمي سكن بغداد . ثم يقول عن الاسناد الثالث واعلم أن هذا الاسناد فيه لطيفة مستطرفة من لطائف الاسناد وهي أنه تابعيون .

يروي بعضهم عن بعض ابن عجلان وابن حيان وابن محيريز والصنابحي.(١)

وقوله في الاسناد الثاني " بمثله غير أنه قال ... الخ " أي بلفظه .

قال النووي : وأما قوله أي في الرواية الثالثه ـ (عن الصنابحي عن عبادة أنه قال دخلت عليه) فهذا كثير يقع مثله وفيه صنعة حسنة وتقديره أنه حدث عن عبادة بحديث قال فيه دخلت عليه .(٢)

التعريف بالراوي :

راوي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي ، شهد بيعتا العقبة الاولى والثانية وشهد بدرا ، وكان ممن جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعله سافر رضي الله عنه بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الشام

---

(١) النووي في شرحه لصحيح مسلم جـ١ صـ ٢٢٧ ، ٢٢٨ بتصرف
(٢) المرجع السابق جـ١ صـ ٢٢٨ .

لتعليم الناس القرآن والعلم ، ويفقههم في الدين ، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تأخذ في الله لومة لائم ، مرض رضي الله عنه بفلسطين ،وتوفي بها في سنة (٣٤هـ) رضي الله عنه ٠

معاني المفردات :

(من شهد) أي علم (أن لا إله) أي لا معبود بحق في الوجود (الا الله) بالرفع بدلا من محل اسم لا قبل دخولها ولا يجوز الابدال من محله بعد دخولها. لانها لا تعمل في المعارف ٠ قال محمد بن علان : وانما أتى بلفظ أشهد دونهما – أي العلم والتيقن – لأنه أبلغ في معنى العلم واليقين فانه يستعمل في ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف العلم واليقين فانهما يستعملان غالبا في البواطن دون الظواهر ولهذا قال الفقهاء لا يصح أداء الشهادة بدون لفظ أشهد من أعلم وأتيقن ٠(١)

(وحده) منصوب على الحال بعد تأويله بمشتق أي متوحداً أو منفرداً ، وقد وقعت حالاً مع كونها معرفة باضافتها الى الضمير من قبيل المسموع الذي لا يقاس عليه ٠

(لا شريك له) حال مؤكده لما سبق ، فكل ما في الوجود خلق الله وحده –

(وأن عيسى عبد الله ورسوله) معطوف على ما قبله من عطف الخاص بعد العام لمزيد اعتناء به ، فهي حالة خاصه من الخلق والارسال والموت ، فذكر الشهادتين مع تحقق معناهما على ما يجب يتضمن جميع ذلك ٠

(وكلمته) الضمير راجع الى عيسى عليه السلام سمي به لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الأوامر أو سماه كلمته مبالغة لانه تكلم قبل أوانه ، وفي اضافته الى الله تعظيما ٠

---

(١) الفتوحات الربانية جـ٢ صـ ٣٢٣ ، ٣٢٤ / وقد بسط القول في هذا الموضع على النواحي الاعرابية ومدى بلاغة التعبير في هذه الجملة (لا إله الا الله) ٠

(وابن أمته) جملة تأكيدية لبشرية عيسى عليه السلام وتشريف لـه .
(وروح منه) وفيه أقوال : " أنه سماه روحا لأنه أحيى به الأموات فكان كالروح ، وأحيى به القلوب من موت الجهالة ، أو لأنه حدث من نفخ الروح كما قال تعالى "ونفخنا فيه من روحنا " وكان النافخ جبريل واضافته الى الله تعالى لأنه كان بأمره " . (١) وذلك كناقة الله وبيت اللـه .

(والجنة حق والنار حق) بالنصب عطفا على ماقبله . أى وشهد أنهما حق ، فهما ثابتان موجودان ، وأفرد الخبر مع تثنية المخبر عنه اما لانه مصدر أو لارادة كل واحدة منهما .
(من أى الابواب شاء) الفاعل هنا يعود على من شهد " وقال ابن حجر العسقلاني : وهو بخلاف ظاهر حديث أبى هريرة الماضى فى بدء الخلق فانه يقتضى أن لكل داخل الجنه بابا معينا يدخل منه قال : ويجمع بينهما بأنه فى الأصل مخير لكنه يرى أن الذى يختص به أفضل فى حقه ويختاره ، فيدخله مختارا لا مجبورا ، ولاممنوعا من الدخول من غير .
ثم قال شيخ الاسلام . ويحتمل أن يكون فاعل " شاء " هو الله والمعنى أن الله يوفقه لعمل يدخله برحمته من الباب المعد لعامل ذلك العمل . (٢)
وفى رواية (أدخله الله الجنة على ماكان من عمل) (١) أى على أى عمل كان سيئا أو حسنا .

(١) دليل الفالحين جـ٢ صـ٣١١ . بتصرف / فتح البارى جـ٧ صـ٢٨٥
(٢) فتح البارى بتصرف جـ٧ صـ٢٨٥ .

والجملة حاليه نحو رأيت فلانا على أكلة أي آكلا ، وهنا لا يجوز تقدير عامل ، لأن العمل غير حاصل وقت الدخول فيقدر مستحقا بما يناسب عمله من الثواب والعقاب ، يعني من مات على الايمان لا تخرجه الكبائر عن ايمانه فيدخل الجنة ، أما كونه ابتداء ، أو بعد دخول النار مفوض الى مشيئة الله تعالى . (١)

وقوله في الرواية الثالثة : (وهو في الموت) أي في مرض الموت ففي الكلام مضافا محذوف والجملة حالية . وقوله (لم تبكي) الاستفهام انكاري أي لا يصح ولا ينبغي أن تبكي . وقوله (وقد أحيط بنفسي) أي أحاط به الموت ، بظهور مقدماته ويأسه من النجاة من هذا المرض والحياة بعد .

المعنى العام :

قال الامام النووي : هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الاحاديث المشتملة على العقائد ، فانه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم ، وتباعدها فاختصر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحرف على ما يباين به جميعهم . (٢)

والرواية الثانية أفادة سبب من أسباب ذكر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت لهذا الحديث . وذلك أنه في مرضه الأخير ذهب أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي وهو تابعي جليل قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق اليه ، ذهب اليه ليعوده ، فوجده في شدة الموت وكربه ، فطاف بفكر أبو عبد الله الصنابحي أنه سيأتي عليه يوما ينام فيه نومة عبادة ، ثم يقبل على ربه عز وجل وليس معه الا ما قدمت يداه ، فبكى .

---

(١) دليل الفالحين جـ٢ صـ ٣١١ بتصرف .
(٢) شرح مسلم للنووي جـ١ صـ ٢٢٧ .

وهنا أحس الصحابى الجليل عبادة بما طاف فى ذهن الصنابحى فأراد أن يبث فيه روح الطمأنينة لعفو الله عز وجل فقال له : " لم تبكى فو الله لئن استشهدت لأشهدن لك .... الخ) ولم يأت ذلك من عبادة بن الصامت من فراغ فهو يعلم أن الله تعالى سيكرم بعض عباده بأن يشفعهم فى آخرين ، رضى الله عنه .

وأراد أن يزيد فى طمأنينة تلميذه الصنابحى فذكر له حديث النبى صلى الله عليه وسلم (من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار ، وهو يعلم أن هذه الصفة ان شاء الله تعالى - متوافرة فى الصنابحى .

وفى الرواية الاولى : نجد أن عبادة رضى الله عنه يذكر هذا الحديث الجامع للعقيدة والنبوة والسمعيات فيجد بأن من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ، ورسوله وتبرأ من كل ملة تخالف الاسلام وتبرأ من قول النصارى فى عيسى عليه السلام ، وتبرأ من اتهام اليهود لمريم وأن يعترف بأن عيسى هو عبد الله ورسوله وابن امته وروح منه وكلمته ألقاها الى مريم ، فهو معجزة الله تعالى وتكمل بذلك المعادلة بخلقه عليه السلام على هذه الحال .

فمن شهد بهذا وأقر بالبعث والحساب حرم الله عليه النار وأدخله الجنة أساء العمل أو أحسنه ، وفتحت له أبواب الجنة يدل من أيها شاء . (١)
والله أعلم .

---

(١) راجع فتح المنعم جـ١ ص١٦٣ ومابعدها .

نقد الحديث وتحليله :

هذا الحديث تضمن ثلاث مسائل رئيسية هى جملة الدين تتمثل فى :
(الالهيات - النبوات - السمعيات)
يقول فضيلة الشيخ دراز : وقد جمع - صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أصول العقائد التى بها النجاة فى الآخرة فان هذه العقائد على كثرتها فى كتب التوحيد ترجع الى ثلاثة مقاصد لازائد عليها .
المقصد الاول : معرفة المبدأ وهو العلم بالله تعالى وصفاته ويسمى "قسم الالهيات"
المقصد الثانى : معرفة الواسطة وهو الايمان بالرسل والملائكة والكتب والتكاليف ويسمى "قسم النبوات" .
المقصد الثالث : معرفة الميعاد وهو الايمان بالبعث والحساب والجزاء . ويسمى " قسم السمعيات" .
ثم يقول فضيلته ولابد من جمع هذه المقاصد الثلاثة فى الاعتقاد ، الا أنها تارة تذكر كلها بصريح العبارة ، وتارة يكتفى بذكر المقصدين الاولين عن الثالث هو السمعيات ، لأنه داخل فى عموم ما جاءت به الرسل ، ولذلك اكتفى فى شعار الاسلام بالشهادتين وقال تعالى (فآمنوا بالله ورسله)(١)
وتاره يكتفى بذكر الطرفين ، لأن من أحاط بهما فقد أحاط بالواسطة (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٢)
وتارة يكتفى بذكر واحد من الثلاثة : اما الاول فقط :
" من قال لااله الا الله دخل الجنة" وفى الحديث القدسى " لأخرجن من النار من قال لااله الا الله) وذلك لأن الايمان بالله اذا كان اجابه

(١) آل عمران : آية ١٧٩ (٢) المائدة : آية ٦٩

لدعوة رسوله لزم منه تصديق هذا الداعى ، بل اشتهر أن كلمة التوحيد صارت علما على مجموع الكلمتين اللتين هما شعار الاسلام .
واما الثانى فقط قال تعالى (فاتبعونى يحببكم الله)(١) لأن هذا هو الواسطة الجامعة بين الطرفين . واما الثالث فقط قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون)(٢) لأن من عرف النتيجة عرف مقدماتها (٣) .
وفيما يأتى نتكلم عن كل مسألة من هذه المسائل بشئ من التفصيل :

أما المسألة الاولى : فقد سبق الكلام عليها فى حديث جبريل . وملخص ما ذكر أن كلمة التوحيد شاملة كل مايليق بذات الله تعالى من الكمالات ونفى كل نقص عنه لذلك كان الاقتصار عليها ، كما أنها كانت العقيدة المهجورة من القدم ، كما أن هدف ارسال الرسل هو بيان الفرق بين الخالق والمخلوق .
كما أننا ذكرنا تحت هذا المقصد مدى بلاغة تأكيد الوحدانية فى قولنا (لااله الا الله) وكذا قولنا (وحده لاشريك له) . اذ أن قولنا "لااله الا الله" نفى للاله الباطل بحسب المنطوق فلا اله موجود ومعبود بحق الا الله ، وهى أيضا اثبات للاله المعبود بحق بحسب المفهوم .
وعكس ذلك فى قولنا (وحده) فهى بحسب المنطوق اثبات للحق وبحسب المفهوم نفى لغيره من الآلهة الباطلة .
واما قوله (لاشريك له) فهى تفيد معنى قوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) فهى بيان وتوضيح لاستقلال الاله الخالق الاعلى بالخلق والأمر قال تعالى

(١) آل عمران : آية ٣١ (٢) سورة البقرة : آية ٤٦
(٣) المختار من كنوز السنه ص ١٠٧ / ١٠٩

(ألا له الخلق والأمر) وقال تعالى (لو كان فيهما آله الا الله لفسدنا) وقال تعالى (ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) .

وأما المسألة الثانية : فهي الخاصة " بعقيدة النبوات " وتمثلت في قول النبي عليه الصلاة والسلام (وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) .

وسبق أن ذكرنا أن الايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو ايمان بكل الرسل لأنه أمر بالايمان بهم وتصديقهم فيما أتوا به على السواء ، ومن صلب دعوته الايمان بهم جميعا " لا نفرق بين احد من رسله " . وأيضا فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكل الرسل والانبياء ايمان بالوحي والملائكة الذين قاموا بحمل الرسالة من الله عز وجل الى رسله ليبلغوها للناس ، وكذا جنس الملائكة جميعا .

وهنا سؤال :

لم خص النبي صلى الله عليه وسلم عيسى عليه السلام بالذكر من بين سائر الأنبياء والرسل ؟ ولم وصف بكونه عبد الله وابن أمته وكلمته ... الخ ؟

الجواب عن ذلك نجده بوضوح في كتاب المختار قال : فذكر الايمان بعيسى الاقتضاء ظروف خاصة لذكره " هي : أن أهل الكتاب اختلفوا في شأنه ، فالنصارى رفعوه الى درجة الألوهية ، واليهود وضعوه عن مرتبة الرسالة ، فلزم التنبيه على حقيقة الأمر فيه .

فنبه الرسول بقوله فيه (انه عبد الله ورسوله) – وفي رواية " عبد الله وابن أمته) على الأمر المشترك بينه وبين سائر الرسل – ونبه بقوله – كما قال الله تعالى (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) على أن المزايا التي اختصه

الله بها فى طريقة ٠

تكوينه : ذلك بأنه أنشأه بكلمته وأمره اذ قال له " كـن " فكان ٠ نعم كل كائن ٠ فقد نشأ بكلمته تعالى وأمره التكوينى ، لكن نشأة " عيسى " كانت بمجرد هذه الكلمة من غير واسطة الأسباب المألوفة ، فقد نشأ من أم فقط بغير اب كما نشأ آدم بلا أم ولا أب قال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكـون) ٠

فان كان فى طريقة خلقه ـ عليه السلام ـ خرق للنواميس الكونية فى نظام التناسل الانسانى ، فليس فى هذا الخارق ماينقله عن مستوى الحدوث والامكان الى كونه الهاً أو ابنا لله ، وانما كل مافى الامر أنه بشر عجيب الشأن فى التكوين ،وآية من آيات القدرة العليا التى هى فوق ذلك النواميس ، وقد سبقتها آية أعجب منها وهى خلق آدم ،فلم يكن ذلك موجبا لاتخاذ آدم الهاً أو ابنا لله ٠(١)

وقد سبق فى معانى المفردات بعض أقوال العلماء فى سبب التعبير بقوله "روح منه" مع أنه مكون ككل انسان من جسم وروح ولهذا الجسم حظوظه البشرية وللروح نصيبها الملائكى ٠ نضيف هنا علل أخرى الى ماسبق :

فسمى عيسى عليه السلام أو وصف بكونه " روح منه " اما لان الروح فى تركيب البشر أعظم العالمين وأحقها باسم الانسان ، أو أن روحانية عيسى عليه السلام كانت غالبة على بشريته الجثمانية ٠ فصار كأنه روح بحت ، وقد وصف بالروح أيضا القرآن والوحى وجبريل عليه السلام (٢) وهى فى الاصل السر الالهى الذى به حياة الانفس ٠ قال تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) ٠ أو أخبر عن عيسى عليه السلام بانه

---

(١) مختار كنوز السنة لفضيلة العالم الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١١٢، ١١٣

(٢) الروح بالضم مابه حياة الانفس ويؤنث القاموس المحيط جـ١ ص ٢٢٤ / يسألونك عن الروح للامام فخر الدين الرازى ، دراسة وتحقيق الهلاوى ٠ ص ١٢ ومابعدها ٠

"روح منه" لأنه أرسل رحمة لبني قومه •

إطلاقات الروح :

- تطلق الروح على القرآن "وهو كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) فالقرآن روح لأنه هدى ونور وشفاء لما في الصدور •
- وتطلق الروح أيضا على جبريل عليه السلام لأنه سر الرحمة ورسول الخير والبشر • قال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك) • وقال تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) سورة البقرة •
- وتطلق الروح على الأصل وهي ذلك السر الالهي قال تعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) سورة الاسراء •
- وتطلق على النفخ قال تعالى (والتي أحصنت فرجها نفخنا فيها من روحنا) الانبياء •

الفرق بين خلق عيسى عليه السلام وعامة البشر :

قال تعالى (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه) سورة السجدة • وقال تعالى (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) سورة الكهف وقال تعالى (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ••) سورة غافر ٦٧ •

فمن هذه الآيات ونحوها يتضح أن نفخ الروح في الناس عامة انما يكون بعد تقلبهم في تلك الاطوار العادية • نطفة تصب من اصلاب الرجال في

أرحام النساء ثم علقة ثم مضغـــة وهكـــذا . (١)

أما خلق عيسى عليه السلام فقد تم بنفخ الروح في أمه مريم بسر التكويـــن الالهي المحض فلم يسبق بتلك المقدمات المعتادة في بنى آدم قـــــال تعالى (فنفخنـــا فيها من روحنا وجعلنها وابنها آية للعالمين) ـــ الانبياء ٩١ . والله أعلــــم ..

وقوله (أدخله الله الجنه من أى أبواب الجنة شاء) قد وردَ أن أبـــواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهذه من الامور السمعية التى علـــــم الله عز وجل حكمتهـــا . وهذا ـــ والله أعلم ـــ أصح الآراء فيها . وقـــد سبق فى معانى المفردات ازالة التناقض بين التخيير وبين رواية : ان فى الجنة بابا يقال له الريـــان لا يدخله الا الصائمـــــون)

وقوله فى الرواية الأخرى (أدخله الله الجنه على ما كان من العمـــل) :

يحتمل أن يكون المراد أنه يدخل الجنة على أى عمل حسنا كان أو سيئـــا فالناس سعيهم شتى قال تعالى (ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا مـــن عبادنا فمنهـــم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) سورة فاطـــر ٣٢ . أو يكون المراد دخول المؤمن الجنة مهما كان عمله من السوء . يقول محمد بن علان : أى على عمل كان حسنا أو سيئا لان العمل غير حاصل وقت الدخول فيقدر مستحقا بما يناسب عمله من الثواب والعقـــاب، يعنى من مات على الايمان لا تخرجه الكبائر عن ايمانه فيدخل الجنـــــة ،

(١) وقد روى البخاري بسنده عن عبد الله : حدثنا رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الصادق المصدوق قال : ان احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثـــــم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات ، ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجلــــه وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح .... الحديث لابدء الخلـــق / باب ذكر الملائكة جـ٧ صــــ ١١٤ .

أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار مفوض الى مشيئة الله تعالى) (١)
وعلى كل من قال ذلك حقا وصدقا لابد أن يكون مآله الجنه ، وان كان دونها أهـوال .

أفياز الحديث ومايستنبط منـه :

١ ـ توجيه النبى صلى الله عليه وسلم أهل الاسلام الى مايدخلهم النعيم المقيم في الجنـة.
٢ ـ فيه بيان لأمر عيسى عليه السلام وأنه عبدالله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، ففى ذلك ازالة لأى شك قد يرد علـى انسان ، فأمره واضح بيـن .
٣ ـ فى الحديث رد على ماوقع فيه النصارى من الضلال فى عيسى عليه السلام وأمه وايذانا بأن ايمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محـض .
٤ ـ ويؤخذ من الحديث مايلقنه النصرانى اذا دخل الاسلام فـلابد أن يقر ويعترف بأن عيسى عليه السلام هو عبدالله ورسوله وابن أمتـه وكلمته الله ألقاها الى مريم وروح منه ، مع الشهادتـين .
٥ ـ فى الحديث ايضا رد على اليهود الذين أنكروا رساله عيسى عليـه السلام وقذفه بما هو منزه عنه وكـذا أمـه .
٦ ـ وجوب الايمان بالبعث والجنة والنار والصراط والميزان ...... وكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من أمور الآخـره .

---

(١) دليل الفالحين بتصرف جـ٢ صـ٣١١ / فتح البارى جـ٧ صـ٢٨٦

٧ ــ ويؤخذ من الحديث أيضا سعة رحمة الله تعالى بعفوه وكريمه وجوده ، لمن وقر الايمان في قلبه وأن جزاءه الجنة في الآخرة ، وأنه يدخل جوده وكريما من اى أبواب الجنة شاء .

٨ ــ في الحديث رد على المعتزله وقولهم أن العاصى مخلد في النار ، ويؤخذ ذلك من قول النبى عليه الصلاة والسلام (أدخله الله الجنة على ماكان من العمل .

٩ ــ على المسلم أن يتفقد دائما ايمانه بالله عز وجل ، ويعمل على ترسيخه في قلبه بكل الوسائل كالمحافظة على العبادات وذكر الله عز وجل ، وكثرة الدعاء بقوله "اللهم حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين" وأيضا الاكثار من الصدقه ، وكل عمل صالح يتقرب به الى الله تبارك وتعالى والله أعلم .

* * *

عَنْ أُمِّ المُؤْمنِينَ أُمّ عبْدالله عائشةَ ـ رضي اللّه عنْهما ـ قالت قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « مَنْ أَحَدثَ في أمْرِنا هَذا ماليْس منْهُ فَهُو ردٌ » رَواه البُخَارِيُّ ومُسلم وفي رِوايَةٍ لِمُسلِمٍ « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌ » .

التعريف بالراوى :

أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة رضى الله عنهما . تزوجها النبى ﷺ وهى بنت ست سنين قبل الهجرة بنحو ثمانى عشر شهراً بنى بها النبى ﷺ بالمدينة وهى بنت تسع سنين وبقيت عنده تسع سنين وكانت أحب الناس إليه بعد خديجة وعاشت بعده أربعين سنة ولم يتزوج بكراً غيرها وكانت صاحبة كرم وزهد وقد كناها النبى ﷺ بأم عبدالله ابن اختها أسماء وهو عبدالله ابن الزبير وكانت كثيرة العلم روى أبى موسى أنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثا قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علم . توفيت رضى الله عنها سنة ثمان وخمسين من الهجرة روى لها ألفا حديث وعشرة (١).

معانى المفردات اللغوية :

(من أحدث) من شرطية وأحدث فعل الشرط وهو غير مجزوم لأنه فعل ماضى (أحدث) أى أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا حادثاً وهو المسمى بالبدعة . والبدعة لغة ما كان مبتدعا مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله عز وجل « بديع السموات والأرض » أى

---

(١) تهذيب التهذيب جـ١٢ ص الفتوحات الرهبية ص٤٠١ بتصرف

موجدهما على غير سبق وقوله تعالى ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ وشرعا : ما لم يقع فى زمنه ﷺ ودل الشرع على حرمته وعليه فهو خاص بالحادث المذموم . (فى أمرنا) أى ديننا .

(هذا) أى دين الإسلام . (ما) أى الذى أو شيئا .

(ليس منه) بأن لم يشهد له أصل من أصوله (الكتاب والسنة) .

(فهو رد) أى مردود على فاعله لبطلانه من إطلاق المصدر على إسم المفعول لخلق ومخلوق .

المعنى العام :

هذا الحديث عده العلماء أحد أصول الدين وقاعده وقاعده من قواعده ومن جوامع حكمه ﷺ فيه التحذير من البدع والجماعات المخالفة لما عليه أهل السنة . فهذا صريح فى دفع البدع والمخترعات وهو مما ينبغى أن يعتنى بحفظه وإستعماله فى إبطال المنكرات .

فإن النبى ﷺ يرشدنا إلى التمسك بالشريعة الكائنة فى كتاب الله وسنة رسوله دون تجاوز شىء منها .

قال الحافظ العسقلانى هذا الحديث معدود من أصول الدين وقاعدة من قواعده . وقال الطوفى : هذا الحديث يصح أن يسمى نصف أدلة الشرع ، فهو ميزان للأعمال الظاهرة كما أن حديث (الأعمال بالنيات) ميزان للأعمال فى باطنها ، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فليس من الدين من شىء . قال ﷺ (من يعش منكم بعدى فسيرى إختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضو عليها بالنواجز وإياكم

ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) .

فقه الحديث وتحليله :

قوله ﴿ من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ سبق فى معانى المفردات أن الأمر الحادث هنا يكون بدعة كما ذكرنا معنى البدعة لغة وشرعاً قال العلماء أن البدعة تكون فى الخير وتكون فى الشر فمن الأول كجمع القرآن فى المصاحف وإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (1) وهذه البدعة الحسنة وذلك إذا قام دليل شرعى أنها مُستحبة ، وأما فلا تكون حسنة ومن الثانى ، أن من إبتدع فى الدين بدعة لا توافق الكتاب والسنة فهذه هى البدعة السيئة كمن زار القبور بقصد أن يطلب من الميت الحوائج .

يقول إبن تيمية : وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهى بدعة سيئة وهى ضلالة بإتفاق المسلمين . ومن قال فى بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعى أنها مستحبة ، فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التى يتقرب بها إلى الله تعالى ومن يتقرب إلى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان وسبيله من سبيل الشيطان كما قال عبدالله بن مسعود : خط رسول الله ﷺ خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال « هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وأن صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ »

---

(1) الفتوحات الوهبيه ص ١٠٩ .

ثم يقول « وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان أحدهما أن لا نعبد إلا الله والثانى أن لا نعبده إلا بما شرع . لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله »[1] .

قوله (فى أمرنا) أى فى الدين ويطلق الأمر على عدة معانى : منها إطلاق الأمر على القول قال تعالى : ﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ أى قولهم فيما بينهم . ومنها إطلاقه على العذاب قال تعالى: ﴿ ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر ﴾ بمعنى وجب عليهم العذاب وسوء الغرق .

ومنها إطلاقه على فتح مكة قال تعالى ﴿ فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ يعنى فتح مكة ومنها إطلاقه على يوم القيامة كقوله تعالى ﴿ أتى أمر الله ﴾ يعنى يوم القيامة .

ومنها إطلاقه على الوحى قال تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ يعنى ينزل الوحى من السماء إلى الأرض . ومنها إطلاقه على الخبر قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف ﴾ أى خبر ومنها يطلق ويراد به الشأن قال تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ .

وفى قوله (هذا) إشارة إلى جلالته ومزيد رفعته وعظمته على حد قوله عز وجل (آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه) وفيه إحضاره ـ الدين ـ فى ذهن السامع كأنه يخبره شاهدا له يتميز عنده أكمل تمييز ولهذا أتى بما يشار به للقريب بيانا لحاله فى القرب .

---

(1) التوسل والوسيلة لابن تيمية ص٢٠ ، ص ١٥١ .

(ما ليس منه) أى ما ليس له فيه مستند من الكتاب والسنة سواء كان قوليا أوفعليا أو اعتقاديا . (فهو رد) أى مردود على فاعله لبطلانه فهو غير معتد به ولا معول عليه .

وفى رواية الإمام مسلم (من عمل عملا) أحدثه هو أو أحدثه غيره فعمل به فهو أعم من الأول (ليس عليه أمرنا) أى حكمنا وإذننا (فهو رد) أى مردود عليه وإن لم يكن هو المحدث له .

وروى إبن ماجة عن حذيفة مرفوعا « لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفا ولا عدلاً يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين) . وروى الديلمى عن ابن مسعود قوله : (عمل قليل فى سنه خير من عمل كثير فى بدعة) وقيل (إماتة بدعة خير من إحياء سنة لأن البذعة إذا استمرت صارت سنه) . وقال الإمام مالك :

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائــع

ما يستنبط من الحديث :

١ ـ كل بدعة لا تستند إلى دليل شرعى ترد فى وجه صاحبها .

٢ ـ التحذير من البدع المذمومة شرعاً والإهتمام بالدين وكماله .

٣ ـ أن الصلح الفاسد منتقض والمأخوذ عليه مستحق الرد .

٤ ـ أن من كان عمله خارجا عن الشرع ليس متقيداً بالشرع فهو مذموم ومردود .

٥ ـ أنه ليس كل ما كان قربة فى موطن يكون قربة فى كل المواطن ، وإنما يتبع ذلك كل ما وردت به الشريعة فى مواضعها .

الحلال والحرام

عن أبي النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيـــرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ ، فَقَدِ اسْــــتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ ، كَـالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمـىً أَلاَ وَإِنَّ حِمـَى الـلَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِـي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَـسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ »[1] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والدارمي وأحمد .

التعريف بالراوي :

هو أبي عبدالله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة فقد ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة على الأصح ، مات النبي ﷺ وللنعمان ثمان سنين وسبعة أشهر ـ وكان واليا على الكوفة زمن معاوية بن أبي سفيان وكان استعمله على حمص قبلها مات سنة (٦٥ هـ) رضي الله تعالى عنه .

المفردات اللغوية :

(الحلال) ما دل الدليل على حله فهو ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام (بين) أي ظاهر منكشف لا يخفى حاله .

---

(١) متفق عليه (رواه البخاري ومسلم) .

(الحرام) أي ما حرم واضح حرمته وهو ما دلّ الدليل على تحريمه ، وفي رواية الطبراني حلال بين وحرام بين بالتنكير وسوغ الإبتداء فيه بالنكرة أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأشياء حلال بين وحرام .

(وبينهما أمور) أي شئون وأحوال (مشتبهات) جمع مشتبه وهو ماليس بواضح الحل ولا الحرمة ، (ولا يعلمهن) لفظ ابن ماجه « لا يعلمها » وهو أرجح عند أهل العربية لأن الأولى في جمع ما لا يعقل أي يعامل معاملة المؤنث .

(كثير من الناس) أي لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم أي ويعلمهن قليل (فمن اتقى) عرف بعض العلماء التقوى بأنها لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين - الستر - واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال أمره وإجتناب نهيه (١) . (فقد استبرأ) السين للمبالغة أي بالغ في البراءة كما في قوله تعالى ﴿ فمن كان غنيا فليستعفف ﴾ أو للتأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ من قولهم استبرأ الجارية إذا علم براءة رحمها من الحمل .

(لدينه من النقص ومما يشتبه . (وعرضه) من الطعن فيه . والعرض في الإصطلاح : موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو سلفه أو أهله .

قوله (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) أي الصغيرة تجر الى الكبيرة قال تعالى: ﴿ وقتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا ﴾ أي تدرجوا بالمعاصي إلى قتلهم فيتدرج مرتكب الشبهة من

---

(٢) الفترحات الدعبيه ص ١١٤ .

درجة إلى أخرى .

قوله (يرعى) أى الماشية . (حول الحمى) أى المحمى فأطلق المصدر على اسم المفعول والحمى هو المكان المحظور على غير مالكه

(يوشك) من أفعال المقاربة أي يقرب . (أن [illegible]) وهو الإقامة والبسط في الأكل والشرب (فيه) أي [illegible]

(ألا وإن لكل ملك) من [illegible] ([illegible]) [illegible] (ألا) كررها [illegible] على فخامة مدخولها وعظم [illegible]

(وإن [illegible]) أي [illegible] التي [illegible] .

([illegible]) أي [illegible] أي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم (إذا صلحت) بالإيمان والعلم والعرفان . (صلح الجسد كله) بالأعمال والإخلاص والأحوال .

(وإذا فسدت) بالجحود والكفران . (فسد الجسد كله) بالفجور والعصيان .

(ألا وهى) أى المضغة الموصوفة بما ذكر (القلب) فهو الملك والأعضاء رعية .

المعنى العام :

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة قال أبو داود السجستانى : الإسلام يدور على أربعة أحاديث ذكر منها هذا الحديث وأجمع العلماء على عظم موقعه وكثرة فوائده .

هذا الحديث صحيح متفق على صحته وحديث النعمان أصح أحاديث الباب . وحاصل الأمر أن الله تعالى أنزل الكتاب على نبيه وبين فيه للأمة ما تحتاج إليه من حلال وحرام،كما قال تعالى: ﴿ ونزلنا

عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ قال مجاهد كل شيء أمروا به ونهو عنه . ونزل على النبي ﷺ يعرفه قوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ولما شك ناس في موته ﷺ قال عمه العباس رضى الله عنه : والله ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجا واضحا ، وأحل الحلال وحرم الحرام ...)[1] .

وفى الجملة فما ترك الله عز وجل وما ترك رسوله ﷺ حلالا إلا مبينا ولا حراما إلا مبينا لكن كان بعضه أوضح بيانا من بعض . وهذه المشتبهات تركها ورع ، ومعرفة الحلال والحرام والورع فى ترك الشبهات أساساً لدخول الجنة يبين ذلك حديث النعمان بن قوقل الذى سأل فيه النبي ﷺ : أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أأدخل الجنة فقال رسول الله ﷺ نعم[2] . وهذا الحديث باعتبار ما فيه من تحليل الحلال وتحريم الحرام يعد جامعاً لكل وظائف الإيمان لأنه كناية عن الوقوف عند حدود الشرع القويم .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (سمعت رسول الله ﷺ) فيه رد على من قال إن النعمان بن بشير لم يسمع من النبي ﷺ ، فقد ورد في رواية الإمام مسلم من طريق زكريا وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنه وهو إشارة إلى تأكيد التصريح بالسماع .

قوله (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن

---

(1) جامع العلوم والحكم ص٧٧ بتصرف .

(2) رواه مسلم .

كثير من الناس) معناه إن الحلال المحض بين لا إشتباه فيه وكذلك الحرام المحض ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس) هل هى من الحلال أم من الحرام ؟ وأما الراسخون فى العلم فلا يشتبه عليهم ذلك ويعلمون من أى القسمين هى فأما الحلال المحض فمثل أكل الطيبات من الزروع والثمار وبهيمة الأنعام وشرب الأشربة الطبيعية وكالنكاح ونحو ذلك المال ، إذا كان إكتسابه بعقد صحيح كالبيع أو بميراث أو وهبة أو غنيمة .

والحرام المحض مثل أكل الميته والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر ونكاح المحارم ولباس الحرير للرجال . ومثل الإكتساب المحرم كالربا والميسر وثمن ما لا يحل بيعه وأخذ الأموال المغصوبة بسرقة أو غصب ونحو ذلك .

وأما المشتبه فمثل بعض ما اختلف فى حله أو تحريمه إما من الأعيان كالخيل والبغال والضب وشرب ما اختلف فى تحريمه من الأنبذة التى يسكر كثيرها وإما من المكاسب [1] كمعاملة الإنسان من فى ماله شبهة أو خالطه حرام ومثل ذلك من أراد شراء شىء فقال له صاحبه قبل الشراء ذقة لأن إذنه له بذلك لأجل الشراء وربما لا يقع بينهما بيع فمن اشترى مصراة أمره النبى ﷺ إن ردها رد معها صاعا من التمر

إذن فالمشتبهات كما يقول الشبرخيتى على أربعة أقوال :

الأول : الأول ما إختلف فية العلماء كالخيل فإنها محرمة عند مالك لأن لام العلة فى قوله « لتركبوها » وزينة تفيد الحصر عنده ومباحة عند غيره .

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٦ .

الثانى : المكروه لأنه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه .

الثالث : معاملة الإنسان من فى ماله شبهة أو خالطه حرام ومثل ذلك من أراد شراء شىء فقال له صاحبه قبل الشراء ذقة لأن إذنه له بذلك لأجل الشراء وربما لا يقع بينهما بيع وكذا إذا وجد فى بيته مالا لا يدرى أهو له أو لغيره .

الرابع : ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر أم لا [1].

وهذا المشتبه لا يعلم حكمه من التحليل والتحريم كثير من الناس يقول ابن رجب : فمنه ـ أى من المتشابه ـ ما يشتهر بين حملة الشريعة خاصة فأجمع العلماء على حله أو حرمته وقد يخفى على بعض من ليس منهم ، ومنه من لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضا فاختلفوا فى تحليله وتحريمه وذلك لأسباب منها :

أنه قد يكون النص عليه خفيا لم ينقله إلا قليل من الناس فلم يبلغ جميع حملة العلم . ومنها : أنه قد ينقل فيه نصان أحدهما بالتحليل ، والآخر بالتحريم ، فيبلغ طائفة منهم أحد النصين دون الآخر فيتمسكون بما بلغهم أو يبلغ النصان معا من لم يبلغه التاريخ ، فيقف لعدم معرفته بالناسخ والمنسوخ ، ومنها ما ليس فيه نص صريح وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس فتختلف أفهام العلماء فى هذا كثيراً .

ومنها : ما يكون فيه أمر أو نهى فتختلف العلماء فى حمل الأمر على الوجوب أو الندب وفى حمل النهى على التحريم أو التنزيه

---

(١) الفتوحات الوهبيه ص١١٢ .

. وأسباب الإختلاف كثيرة ومع هذا فلابد فى الأمة من عالم يوافق قوله الحق فيكون هو العالم بهذا الحكم ، وغيره يكون الأمر مشتبها عليه ، فلا يكون الحق مهجورا غير معمول به فى جميع الأمصار والأعصار فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة .

قوله (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) .

هذه نتيجة ، وفائدة لاتقاء الشبهات واتباع أوامر الله تعالى وإجتناب نواهيه ، فمن فعل ذلك فقد حصل له البعد عن ذم الشرع ونقصان دينه وارتفع بعرضه من وقوع الناس فيه لاتهامه بمواقعه المحظورات إن واقع الشبهات وقيل المراد بالعرض البدنى ، أى طهر دينه وبدنه ، وقيل المراد به موضع المدح والذم من الإنسان سواء فى نفسه أو سلفه ، قال الشاعر :

صن العرض وابذل كل مال ملكته	فإن ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوأة	فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أهدت إليك معايبا	لقوم فقل يا عين للناس أعين

فمن اتقى الشبهات فقد طلب براءة دينه وسلم منها وأما براءة العرض فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام قال ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يقف مواقف التهم) وعن على بن أبى طالب قال : (إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره فرب سامع نكراً لا تستطيع أن تسمعه عذراً) وورد « ما وقى به العرض صدقه » . فترك الشبهات بهذا القصد هو براءة دينه وعرضه .

وقوله « ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام » ومعنى ذلك كما يقول ابن رجب : والذى يأتى الشبهات مع إشتبهاهها عليه قد أخبر عنه النبى ﷺ أنه وقع فى الحرام فهذا يفسر بمعنيين : أحدهما أن يكون إرتكابه للشبهة مع إعتقاده أنها شبهة ذريعة إلى إرتكابه الحرام الذى يعتقد أنه حرام بالتدرج والتسامح وفى روايه « من يخالط الريبة يوشك أن يجسر » أى يقرب أن يقدم على الحرام المحض والجسور : المقدام الذى لا يهاب شيئاً ولا يراقب أحداً .

والمعنى الثانى : أن من أقدم على ما هو مشتبه عنده لا يدرى أهو حلال أو حرام فإنه لا يأمن أن يكون حرا ما فى نفس الأمر فيصادف الحرام وهو لا يدرى أنه حرام .(١)

فقد نهى عن المقارنه فى قوله تعالى :﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ حذرا من المواقعة وقليل الشرب يدعو إلى كثيره والخلوة بالأجنبية تدعو إلى الفجور ، والقبلة للصائم تدعو إلى الوطء .

قوله (كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه)(٢). هذا مثل ضربه النبى ﷺ لمن وقع فى الشبهات وأنه يقرب وقوعه فى الحرام المحض وفى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال (سأضرب لكم مثلا) ثم ذكر هذا الكلام ووجه الشبه أن الراعى إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه فى الحمى استحق العقاب .

فكذلك من أكثر من الشبهات حتى وقع فى الحرام فإنه يستحق العقاب بسبب ذلك . فالرب جل جلاله حمى محارمه كالجرائم على

---

(١) جامع العلوم والحكم بتصرف ص٨٢ .

(٢) راجع صحيح البخارى جـ١ ص ١٢٦ - ١٢٩ .

النفس والمال والعرض وحرم ابراهيم مكة وحرم الشارع المدينه وحمى عمر وعثمان أماكن ينبت فيها الكلأ لأجل إبل الصدقة منها السرف والربذة .

قال تعالى :﴿ تلك حدود الله فلا تعدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ـ فلذلك من تعدى حدود الحلال ووقع فى الشبهات فإنه قد قارب الحرام غاية المقاربه وفى هذا إشارة إلى أنه ينبغى التباعد عن المحرمات وأن يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزاً وهى إتقاء الشبهات كما سبق . قوله (ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه) ثم نبه بكلمه (ألا) على أمور خطيره فى الشرع فى ثلاثة مواضع إرشاداً إلى أن كل أمر دخله حرف التنبيه له شأن ينبغى أن يتنبه له المخاطب ويستأنف الكلام من أجله فقال (ألا) وهى مركبة من همزة الإستفهام وحرف النفى فيفيد التنبيه على تحقيق ما بعدها ، وإلا فأداة التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم [١].

وقد حمى ملوك العرب مناطق لهم عن الناس ويمنعونهم من دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة وقد كان كليب إذا مر بمرعى وأعجبه حماه وعلامة ذلك أن يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه ويتركه فى ذلك المكان ينبح فإذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى . وفيه يقول الشاعر:

أبحت حمى تهامه بعد نجد ... وما شيء حميت بمستباح

و (حمى الله محارمه) هى المعاصى التى حرمها الله عز وجل

---

(١) دليل الفالحين جـ٣ ص٢٨

فمن دخلها بشيء منها استحق العقوبة . شبه المحارم من حيث هي ممنوعة بحمى السلطان .

ولما كان إتباع الحلال وإجتناب الحرام مما يتبع سلامة القلب وفساده نبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بقوله (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فالقلب هنا كالملك والأعضاء كالرعية ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده ففي هذه التعبير البديع والرصين إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه وإجتنابه للمحرمات وإتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة القلب فإن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك إجتناب المحرمات وتوقى الشبهات حزرا من الوقوع في المحرمات .

وإن كان القلب فاسداً قد إستولى عليه إتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب إتباع هوى القلب . ولا ينفع عند الله تعالى إلا القلب السليم قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

والله تعالى أعلم .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ أن الحلال والحرام واضح .

٢ ـ بين الحلال والحرام أمور متشابهات من وقع فيها وقع في الحرام .

٣ ـ صلاح الجسد وفساده متوقف على القلب فيجب الإهتمام به .

٤ ـ مشروعية ضرب الأمثال للإفهام وإن كان مفهوما .

٥ ـ تحرّ المطعم الحلال والبعد عن الحرام فإن كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به .

٦ ـ على المسلم أن يجعل بينه وبين الحرام سترا تورعا والبعد عن الوقوع فى الحرام وهذا الستر هو ترك الشبهات .

٧ ـ أن المسلمين لا يجتمعون على باطل . فالخير فى الأمة إلى أن تقوم الساعة . فعلى المسلمين إتباع العلماء الصالحين العالمين بالحلال والحرام .

الدين النصيحة

عَنْ أبي تَميم بْنِ أوْسٍ الدّاريّ - رَضيَ اللهُ عَنهُ - أنّ النّبيّ ﷺ قَالَ « الدّينُ النّصيحَةُ قُلنا : لِمَنْ ؟ قَالَ : للهِ ولِكتابِهِ ولِرسُولِه ولأئمّةِ المسلِمينَ وعَامّتِهِمْ »[1].

التعريف بالراوى :

هو أبو رقيه تميم بن أوس بن حارثه بن سويد الدارى نسبته إلى جلة الدار بن هانىء وقيل إلى موضع يقال له دارين ويقال له الديرى نسبة إلى دير كان يتعبد فيه كان نصرانيا فوفد إلى النبى ﷺ فى جماعة بعد غزوة تبوك فأسلم وكان كثير التهجد وهو أول من قضى فى المسجد بإذن عمر [2] ، أسلم سنه تسع من الهجرة وكان من مش الصحابة وأفاضلهم وغزا مع رسول الله ﷺ إنتقل من المدينة إلى الشام ، بعد قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وسكن بيت المقدس ودفن فى قرية من قرى الخليل [3].

معانى المفردات :

(الدين) بكسر الدال أى دين الإسلام وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام ، ويطلق الدين فى اللغة على الطاعة ومنه قول زهيره

لئن حللت بواد فى بنى أسد   فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

---

(١) روى له مسلم هذا الحديث . دليل الفالحين ص٤٥٨ جـ١ .

(٢) الفتوحات الوهبية ص١٢١ .

(٣) شرح متن الأربعين النووية ص٤٤ .

ويطلق على الجزاء قال تعالى: ﴿ يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى نجزاءهم الحق الذى وعدوا به .

ويطلق على الحساب قال تعالى: ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أى الحساب الصحيح . ويطلق على التوحيد قال تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ إى التوحيد ويطلق على الملة ومنه قوله : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ويطلق على الحال ومنه قول أعرابى للنضر بن شميل لو لقيتنى على دين غير هذا لاخبرتك : أى على حال غير هذا .

(النصيحة) مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته فقد شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع . ونصح له القول إذا أخلصه له . وظاهر العبارة القصر بطريق تعريف الطرفين ، وليس هذا القصر على ظاهره بل على طريق المجاز والمبالغة . كقوله عليه السلام (الحج عرفه) وشرعا إخلاص الرأى من الغش للمنصوح وإيثار مصلحته .

(قلنا) أى معشر السامعين .

(لمن) إشارة إلى أن للعالم أن يترك فهم ما يلقيه للسامع فلا يزيد فى البيان حتى يسأله لتشوف نفسه إلية فيكون أوقع فى نفسه مما إذا فهمه من أول وهله .

(لله) أى بالإيمان به ونفى الشرك عنه .

(ولأئمة المسلمين) أى الأمراء أو علماء المسلمين .

(وعامتهم) ما عدا ولاة الأمور .

المعنى العام :

نحو مجتمع سليم يرسى الإسلام قواعده ، ولبناء الإنسانية الشامخ

الشامخ يقيم أركانه . وللحياه الفاضله بين أفراده ينشر دعوته ، ولتماسك أعضاءه وترابطها كالجسد الواحد يشرع أحكامه فالإسلام للفرد وللجماعة .

من أجل ذلك حرص الشرع الحكيم على غرس المحبة بين الناس وبذل المعروف لهم باليد واللسان فقال ﷺ : الدين النصيحة ، فالنصيحة مع الدين الإسلامى كالروح مع الجسد ، ولا حياة للجسد بدون الروح . ويسأل الصحابة الحاضرون : من ننصح يا رسول الله ، فيقول انصحوا رسول الله وأخلصوا له واطيعوه وانصروه . واتبعوا النور الذى أنزل معه لتكونوا مخلصين لله ولكتابه . عاملين بأوامره وتشريعه ، فتكونوا من المفلحين .

انصحوا أئمة المسلمين وولاتهم وارشدوهم إلى العدل والحق وساعدوهم على نشر الأمن ، وساندوهم ليساندوا الإسلام والمسلمين .

إنصحوا عامة المسلمين ، وإخلصوا لهم وتمنوا الخير لكل منهم ، وأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم فالدين المعاملة الحسنة والدين النصيحة ومن غشنا فليس منا .(١)

فقه الحديث وتحليله :

ـ (النصيحة لله) معناها الإيمان به ونفى الشرك عنه وترك الإلحاد فى صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته ، وإجتناب نواهيه والحب فيه والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به ، والإعتراف بنعمته ، وشكره عليها ، والإخلاص

---

(١) فتح المنعم ص٣١٩ .

فى جميع الأمور .

قال الخطابى وحقيقة هذه الإضافة راجعه إلى العبد فى نصحه لنفسية فالله تعالى غنى عن نصح الناصح .

ـ أما النصيحة لكتابه سبحانه فالإيمان بأنه كتاب الله وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر عليه أحد منهم وتلاوته وتعظيمه والخشوع عنده ، والذى عنه لتأويل المحرفين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله والإعتناء بمواعظة والتفكير فى عجائبه والعمل بحكمه والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته ،

ـ وأما النصيحة لرسول الله ﷺ تصديقه على الرسالة والإيمان به وطاعته فى أوامره ونواهيه ، ونصرته حيا وميتا ، ومعادة من عاداه وموالاة من والاه وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ونشر شريعته ونفى التهمة عنها ، وإعظام سنته وجلالها والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لإنتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأدب بآدابه ، ومحبة آله وصحبه وبغض أهل البدع فى السنة والمعترضين لأحد من الصحابة .

ـ وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاداتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم والجهاد معهم وأداء الزكاة إليهم وإمتثال أمرهم فى غير المعاصى .

قال الإمام الخطابى : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح ، هذا كله بناء على أن المراد بهم الخلفاء وغيرهم فمن يقوم بأمر المسلمين وهذا هو المشهور .

ثم قال الخطابى : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين ومن نصحهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الأحكام وإحسان الظن بهم (1).

- وأما النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور ونصيحتهم بإرشادهم إلى مصالحهم فى الدنيا والآخرة وكف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه من الشر والذب عن أموالهم وأعراضهم وتنشيط هممهم إلى الطاعات

قال ابن بطال : وهذا الحديث يدل على أن النصيحة تسمى دنيا وإسلاما وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول ، والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين ، وهى لأمة على قدر الحاجة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فإذا خشى أذى فهو فى سعة (2).

---

(1) راجع دليل الفالحين جـ ص ٤٦٠ .

(2) المرجع السابق .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ الدين الإسلامى قائم على التناصح ولا دين لمن لا نصيحة له .

٢ ـ أن النصيحة تسمى دينا .

٣ ـ النصيحة لله : القيام بما يلزم في حقه تعالى وما ينتفى فى حقه .

٤ ـ النصيحة لكتابه : الإيمان به والعمل بما فيه .

٥ ـ النصيحة لرسوله : تصديقه فيما جاء به والتزام طاعته .

٦ ـ النصيحة لأئمة المسلمين : إرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم [1].

---

(١) راجع شرح الأربعين النووية ص ٤٦ .

مقتضيات الإخوة الإسلامية

عَنْ أبي حَمْزةُ أنَس بْن مَالك - رَضي اللهُ عَنْهُ - خَادِم رَسولِ اللهُ ﷺ عَنِ النبى ﷺ قَالَ : لاَ يُؤمِنُ أحدكم حَتَّى يُحِبُ لأخيه ما يحب لنَفسِه) رواه البخاري ومسلم .

التعريف بالراوى :

عن أبى حمزة كناه النبى ﷺ لما روى عنه أنه قال كنانى النبى ﷺ ببقلة كنت أجتنيها قال الأزهرى البقلة التى كنى بها أنس كان فى طعمها لذع فسميت بفعلها يقال رمانة حامزة أى فيها حموضه ومنه حديث عمر أنه شرب شرابا فيه حمازة أى لذع وحدة أو حموضة .

وهو أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى . (خادم رسول الله ﷺ) لأن أمه ذهبت به إلى النبى ﷺ حين قدم المدينة وقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين قال أنس فخدمته عشر سنين فما قال لى لشىء فعلته لما فعلته ولا لشىء تركته .

وكنت واقفا أصب الماء على يديه فرفع رأسه وقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصلى صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين .

وغزا مع النبى ﷺ ثمان غزوات واستمر فى خدمة النبى ﷺ إلى أن توفى وهو عنه راضى فأقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها سنة ثلاث وتسعين زمن الحجاج وهو ابن مائة وعشرين سنة . وهو آخر من مات من الصحابة بها ، وأما آخر

الصحبة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الليثى . رضى الله عن أصحاب رسول الله جميعاً .

معانى المفردات :

(لا يؤمن أحدكم) أى لا يؤمن إيمانا كاملاً ، أما أصل الإيمان فإنه يحصل لمن لم يحصل هذه الصفة ، ونفى اسم الشىء على معنى نفى الكمال عنه مستفيض وكثير من كلام العرب كقولهم : فلان ليس برجل أو ليس بإنسان [1].

(حتى يحب لأخيه ـ أو قال : لجاره) التعبير بالأخ على سبيل التغلب فتدخل الأخت أيضا ، والتعبير بالإخوة لإثارة كوامن الشفقة والمحبة .

أما المحبة فهى الميل إلى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذ بفعله إما لذاته كالفضل والكمال وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر[2].

(ما يحب لنفسه) « ما » موصولة ، وعائد الصلة مفعول « يحب » محذوف ، والتقدير الذى يحب لنفسه . من الخير .

المعنى العام :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام والمقصود منه المساواة التى بها تحصل المحبة وتدوم الألفة بين الناس وتنتظم أحوالهم .

فالإيمان الكامل الذى وصل بالمؤمن إلى حب الله ورسوله ، يدفعه حتما إلى أن يحب للمسلمين . فالقلوب إذا صلحت صلح

---

(١) فتح المنعم ص ٢٦٢ .

(٢) فتح البارى جـ ص٥٧ .

الجسد كله ، فإذا ما حل حب الخير للمسلم فى قلب المسلم تحركت الجوارح لتنفيذ ميوله وتحقيق رغباته ، فهدف الحديث بناء مجتمع متآلف متعاون متراحم كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) المراد من الأخ ما هو أعم وأشمل من أخ النسب قطعا ، لكن هل المراد الأخوة فى الإسلام ، أو الإخوة فى الإنسانية بمعنى أن الناس كلهم لآدم وحواء ، أب واحد فهم إخوة .

أجاب على ذلك الإمام النووى فى شرح مسلم بأن المراد بالإخوة الأخوة فى الإسلام إذ بوب هذا الحديث بقوله (باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير) ثم قال فى الشرح ، معنى الحديث أنه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه فى الإسلام مثل ما يحب لنفسه .

وهذا القول كما ورد فى فتح المنعم أنه ظاهر كلام الحافظ ابن حجر إذ ساق رواية للإسماعيلى ، نصها « حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » ثم قال فبين ـ الحديث ـ المراد بالإخوة ، وعين جهة الحب ثم قال : والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية ، وتخرج المنهيات لأن اسم الخير لا يتناولها [1].

ثم يقول د. موسى شاهين لاشين : نعم نهينا عن حب الكفار ومودة المحاربين منهم لما هم عليه من شرك وصفات ذميمة ، لكن من

---

(١) فتح البارى جـ ص٥٧ بتصرف .

الإيمان أن نحب لهم أن يؤمنوا ، بل يجب علينا أن ندعوهم لذلك ، وأن نجاهد فى سبيل تحقيق هذا الخير لهم إن رواية الإسماعيلى على فرض صحتها ـ تخص الأخ المسلم بالذكر لمزيد عناية به ، فهو بالنسبة لحب الخير له أولى وأهم من غيره ، وإن كان الخير ليس مقصوراً عليه والله أعلم .

والذى يجب على المؤمن أن يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه لا عين ما ما يحب لنفسه [1] قاله الكرمانى :

ومن الإيمان أيضا أن يبغض لنفسه من الشر ، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه [2] إكتفاء . والله أعلم .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ لا يكمل إيمان المرء حتى يتمنى لأخيه نظير ما يتمنى لنفسه .

٢ ـ السعى وراء أسباب المحبه بين الناس .

٣ ـ البعد عن الإثرة وحب النفس أكثر من الغير .

٤ ـ الزجر عن الحق والغش والحسد ونحوها من الصفات الذميمة التى تورث التباغض والتدابر بين الناس .

٥ ـ حب الخير لأخيه كا يحب لنفسه .

٦ ـ بغض المكروه لأخيه المسلم كما يكرهه لنفسه .

---

(١) فتح المنعم ص٢٦٥ ، الفتوحات الوهبيه ص١٥١ .

(٢) فتح البارى جـ ص٥٨ .

من الوصايا النبوية

عَنْ أبى العَبَّاسِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ لاكُنْتُ خَلْفَ النَّبِىِّ ﷺ يوماً فَقَالَ لِى : يَا غُلاَمُ إنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : إحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، إحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجَاهَك . إذَا سَألْتَ فَاسْألِ اللهَ ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَىءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُوكَ بِشَىءٍ لَمْ يَضُرُوكَ إلاَّ بِشَىءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ، رَواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

التعريف بالراوى :

أبى العباس عبدالله ابن عباس بن عبدالمطلب ولد قبل الهجرة بثلاث سنين توفى النبى ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة . كان حبر الأمة ويسمى البحر لغزارة علمه ودعا له النبى ﷺ بقوله « اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن . وكان عمر وعثمان يدعوانه فيشير عليهما ، وكان عمر يقول فيه ذاكم فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول . وقال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس توفى رضى الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين فى خلافة ابن الزبير . فرضى الله عنه وأرضاه [1].

معانى المفردات :

(قال كنت خلف رسول الله ﷺ) أى على بغلته .

(يوما) أى فى ساعة منه كما يدل عليه تنكيره .

---

(1) الفتوحات الوهبية ص١٢٩ بتصرف .

(ياغلام) الغلام هو الصبى من حين يفطم إلى البلوغ

(إحفظ الله) أى بملازمة تقواه واجتناب نواهيه ، وحفظ دين الله من التضييع والتبديل .

(يحفظك) فى نفسك وأهلك ومالك ودنياك ودينك .

(تجده تجاهك) أى تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة .

(وإذا استعنت) أى طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين

(الأمة) المراد به سائر المخلوقين .

(ورفعت الأقلام) أى تركت الكتابة بها لفراغ الأمر وانبرامه

(وجفت الصحف) التى فيها تقارير الكائنات كاللوح المحفوظ أى فرغ من الأمر وجفت كتابته .

المعنى العام :

هذا الحديث حديث عظيم وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه فى أسلوب واضح بسيط وهذا من جوامع كلمه ﷺ. فهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين .

من هذه القواعد هو حفظ الله تعالى بحفظ حدوده وحقوقه وأوامره وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالإمتثال وعند نواهيه بالإجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله تعالى . وهو من عباد الله عز وجل الذين استحقوا حفظ الله تعالى لهم . ووجود الله تعالى معهم بالحفظ والرعاية ، والنصر والتوفيق .

ومن هذه القواعد أن المؤمن لا يسأل ولا يستعين بغير الله عز وجل فهو مالك الملك بقول للشيء كن فيكون . وفى هذا إمتثال لقوله تعالى : ﴿ إدعونى استجب لكم ﴾ وروى عن أبى هريرة مرفوعا (من لا يسأل الله يغضب عليه) . وقد اسهب العلما. (١) الأجلاء فى بيان فائدة هذا الحديث وما فيه من مناهج جمة وعظيمة .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (يا غلام) دعا النبى ﷺ ابن عباس بذلك لأن سنه إذ ذاك كان نحو عشر سنين ، وأيضاً تلطفا به وإيناسا له .

وقوله (إنى أعلمك كلمات) هذه الجملة تحمل أساليب بلاغيه عظيمة . نلاحظ أن فى تقديها على الكلمات شد الإنتباه لما يلقى للسامع ليكون ذلك أرقع فى نفسه إذ حصول الشيء بشوق وتنشيط ألذ من الماء البارد على الظماء لأن الموصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب .

وهناك فرق بين التعليم والإعلام فالتعليم تنبيه النفس بتصور المعانى وربما استعمل فى معنى الإعلام وقد إختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم .

أما الإعلام فقد إختص بما إذا كان بإخبار سريع .

وقد جاء النبى ﷺ بصيغة القلة ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ . ثم أعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنوينها تنوين التعظيم وتأهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر ، الجامعة من الأحكام والحكم ما يفوق الحصر، دليل على أن المصطفى علم ما يئول إليه أمر ابن عباس من

---

(١) راجع دليل الصالحين ط ص٢٢٨ ، جامع العلوم والحكم ص ١ ٢ ، المواهب اللدنيه ص١٧٩ .

العلم والمعرفة بكمال الأخلاق والأحوال .وقوله (إحفظ الله يحفظك) وحفظ العبد لله تعالى حفظ دينه وملازمة تقواه وإجتناب نواهيه .

أما حفظ الله للعبد فيكون فى دينه وإيمانه وكذا فى مصالح دنياه كحفظه فى بدنه وولده وأهله وماله . وقد يتعدى الحفظ إلى جيرانه .

قوله (إحفظ الله تجده تجاهك)أى تجده معك بالحفظ فهو نظير قوله تعالى ﴿ إن الله مع المتقين ﴾ ونحوه إذ هى معية معنويه لا ظرفيه .

وخص الأمام من بين باقى الجهات الست بالذكر إشعاراً بشرف المقصد . وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير فكأن المعنى : تجده حيثما توجهت وتيممت من أمر الدنيا والآخرة .

قوله :(إذا سألت فاسأل الله) المراد إذا أردت السؤال فلا تسأل سوى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ ـ ولا تسأل غيره فإن خزائن الوجود بيده تعالى وزمامها إليه ، إذ لا قادر ولا معطى ولا متفضل غيره . فهو حق أن يقصد ويسأل ، ولا فائدة فى سؤال الخلق إذ لا يملكون نفعا ولا ضراً لأنفسهم فضلا عن غيرهم . قال تعالى :﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ .

قوله (وإذا استعنت فاستعن بالله) أى إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والدين فاستعن بالله لأنه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء .

(واعلم أن الأمة) المراد بالأمة هنا سائر المخلوقين كما ورد فى رواية الإمام أحمد (فلو أن الخلق جميعا أرادوك الخ) وأما مدلولها

وضعا فالجماعة وإتباع الأنبياء والرجل الجامع للخير المقتدى به .

وتطلق الأمة على الدين والملة قال تعالى ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾

وعلى الزمان كقوله تعالى ﴿ وأدكر بعد أمة ﴾ وكذا الرجل المنفرد بدينه كقوله ﷺ (يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده) فالأمة لفظ مشترك.

قوله (ولو إجتمعت) أنثه بإعتبار اللفظ وذكّر ما بعده بإعتبار المعنى .

وقوله (على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك) في الأزل .

﴿ وإن إجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ﴾ ودليل ذلك من القرآن ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فلا راد لفضله ﴾ (١).

وقوله (رفعت الأقلام) أي تركت الكتابه بها لفراغ الأمر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما جاء في جامع الترمذي « إن أول ما خلق الله القلم فقال إكتب قال ما أكتب قال أكتب القدر ما كان وما يكون، » .

قوله (وجفت) أي يبست (الصحف) أي كتابة الصحف أي فرغ من الأمر وجفت كتابته . لأن الصحيفة حين كتابتها لابد أن تكون رطبة المداد أو بعضه بخلاف ما إذا فرغ منها وهذا من أحسن الكتابات فهو كناية عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير . ولا ينافي

---

(١) الأنعام (١٧) .

ذلك قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) لأن المحو والإثبات مما جفت به الصحف .

فهذا حديث عظيم الشأن وأصل كبير فى رعاية حقوق الله والتفويض لأمره والتوكل عليه ، فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على خالقه والإعراض عما سواه .[1] والله تعالى أعلم

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ من حافظ على أوامر الله حفظه الله فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ من تمسك بأوامر الله فرج الله شدائد ، فالعمل الصالح يرفع البلاء .

٣ ـ أن السؤال لا يكون إلا لله وحده ، والتوجه إليه فى كل حاجة .

٤ ـ لن يصيب الإنسان إلا ما كتب الله له .

٥ ـ جواز الإرداف على الدابة إن كانت تطيق ذلك .

٦ ـ جذب إنتباه السامع قبل إلقاء العلم إليه حتى يكون مستعدا لأستيعابه .

٧ ـ جواز التعليم على أى حال كان الأستاذ والطالب ، وتحين الفرص لذلك .

٨ ـ بلاغة النبى ﷺ فى مخاطبة كل فرد بحسب حالته .

---

(١) راجع دليل الفالحين جـ١ ص٢٢٨ ، جامع العلوم والحكم ص٢٠١ ، شرح متن الأربعين النووية ص٧٣ ، الفتوحات الوهبية ص١٧٩ .

الأمر بقتال المشركين والمرتدين

روى الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله . فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر بن الخطاب فو الله ما هو الا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

وروى الامام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا عصموا مني دمائهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . (١)

ما يتعلق بالاسناد :

هذا الحديث رواه الامام مسلم في هذا الموضع بطرق متعددة كالآتي :

١ ـ الطريق الاولى كان يشيخه فيها قتيبه بن سعيد والذى روى الحديث بسنده عن ابى هريره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٢ ـ الثانية وكانت له فيها عدة شيوخ ، وهم ابو الطاهر وحرملة بن يحيى واحمد بن عيسى قالا الآخرين أخبرنا أحمد وقال أبو الطاهر حدثنا

(١) أخرجها الامام مسلم في صحيحه ك الايمان / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لااله الا الله جـ١ ص٥١ ومابعدها .

وهـ [illegible] ان الامام مسلم دقيق فى نقله وانه لايضع حدثنا مكـــان أخبرنا أو العكس • وتنتهى الى أبى هريــــرة •

٣ ــ الثالثة وكان شيوخه أحمد بن عبده الضبي قال أخبرنا عبد العزيز يعنى الدراوردى عن العلاء ، وكذا شيخه أمية بن بسطام واللفظ لـــــه حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء وكلا الطريقين يجتمعـــان فى العلاء بين عبد الرحمن بن يعقوب بسنده عن أبى هريرة أيضـا •

ويلاحظ فى هذا الطريق أن الامام مسلم بين أن اللفظ المذكور فـــى الحديث انما هو لفظ شيخه أميه بين بسطام وهذا منهج لـــه •

٤ ــ الرابعة وكان شيخة أبو بكر بن شيبة والذى روى الحديث عن حفـــص بن غياث ووكيع ، وكذا رواه مسلم عن محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى وكلا من حفص بن غياث ووكيع وعبد الرحمن ابن مهـــدى قالا جميعا عن سفيان عن ابى الزبير عـن جابـر•

ويلاحظ أيضا دقة الامام مسلم وأمانته فى النقل فحينما يريد تحديـــد عبد العزيز فى الاسناد الثالث يقول يعنى الدراوردى فهذا اشارة الى أن هذه الزيادة من عنده ، وكذا فى هذا الطريق يقول عبد الرحمن يعنى ابن مهـــدى •

٥ ــ وفى الطريق الخامس: كان شيخه أبو غسان المسمعى مالك بن عبد الواحد بسنده عن ابن عمر• وهى روايتا هنـــا •

٦ ــ وكان شيخه فى هذا الطريق سويد بن سعيد وابن أبى عمر كلاهما قـــال حدثنا مروان يعنيان الفزارى عن أبى مالك عن أبيـــه •

٧ ــ والطريق الأخير كان شيوخه أبو بكر بن ابى شيبـه حدثنا ابو خالـــد الاحمر وكذا شيخه زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هارون كلاهما عن ابـــى

مالك عن أبيه فهذا الحديث رواه الامام مسلم في هذا الموضع عن اثنا عشر راويا من شيوخه • عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب وابن عمر وجابر وعن أبي مالك عن أبيه ".

التعريف براوي الحديث :

سبق التعريف بالراوي في الحديث الأول •

معاني المفردات :

- قوله (لما توفي •••• الخ) كانت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] من ربيع الأول عام احدى عشرة من الهجرة •
- قوله (وكان أبو بكر بعده) أي صار خليفة المسلمين من بعده [illegible] والتاء للصيرورة •
- قوله (وكفر من كفر من العرب) من الأولى اسم موصول فاعل ومن الثانية للتبعيض حرف جر " وأل " للجنس ويحتمل أن تكون للعهد أي العرب الذين أسلموا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم •

ويؤيد أنها للعهد قول عمر رضي الله عنه (كيف تقاتل الناس) " أل " في "الناس" للعهد والمراد بهم مانعوا الزكاة •

- والاستفهام في قوله (كيف تقاتل الناس •• الخ) انكاري •
- قوله (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) الجملة في محل نصب على الحال •
- قوله (أمرت) مبني للمجهول والآمر هو الله تعالى أي " أمرني ربي " عز وجل • وحذف الفاعل هنا لتعينه • والرسول صلى الله عليه وسلم اذا قال أمرت فالآمر له هو المولى عز وجل واذا قالها الصحابي فالآمر له

هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد في حديث عبد قيس عبد القيس " آمركم بأربع وأنهاكم عن أربـــع " .

ـ قوله (أن أقاتل الناس) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحــــرف جر محذوف والتقدير : " أمرت بمقاتلة الناس " . وأل في " الناس " هنـــا للجنس يخرج بها الجن لعدم امكان مقاتلتهم وان كان النبي صلى اللـــه عليه وسلم قد أرسل لهـــم .

وقيل أن " أل " للعهد والمراد بالناس عبدة الأوثـــان .

ـ (حتى يشهدوا) حتى هنا للغاية وهي غاية للمقاتلة عند وجود ما ذكـــر فالمراد أن من شهد وأقام وأتى عصم دمـــه ومالـــه .

ـ وورد في بعض الروايات ذكر الطرف الاول من الشهادتين وفي بعضها ذكـــر الطرفين (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) فما اقتصر فيها على طرف واحد وهو الأول قصد مع قرينة الثاني وهو " شهادة أن محمـــدا رسول اللـــه " .

ـ قوله (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) واقتصر عليهما في الحديث لعظمهمـــا والاهتمام بأمرهما لأنهما من العبادات البدنيه والماليـــه .

ـ قوله (فاذا فعلوا ذلك عصموا) المشار اليه الشهادتين والصلاة والزكاة . ومعنى عصمـــوا أي منعوا : والعصم معناه اكتسب ومنع ووقى والقربة جعـــل لها عصاما (1) أي خيطا تشد به فم القربه لمنع الماء من السيلان .

ـ قوله (وحسابهم على الله) أي فيما أسروه ولفظ "على" في الجملة "مشعرة" بالايجاب وهو غير مراد فاما أن تكون "على" بمعنى اللام أو على سبيـــل التشبيه : أي هو كالواجب على الله في تحقق الوقـــوع .

(1) القاموس المحيط ج٤ صـ ١٥٠ .

المعـــى العام :

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عن الاسلام ناس من الأعـــراب وانكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرهما من أمور الدين وعادوا الـــى كفرهم الجاهلـــى .

وفريق آخر ظل مسلما لكنهم أنكروا الزكاة ووجوب آدائها الى الامام وهمـــوا تأهل بخـى وبن أقربهـا منع من قبل أميره كبنى يربوع ، فقد جمعـــوا صدقاتهم وأرادوا ارسالها لأبى بكر الصديق لكن مالك بن نعريرة شيخهـم منعهم من ذلك وفرقهـا فيهـم .

فكان مطلع خلافة أبى بكر بهذه الصورة المزعجة ، لكن شاءت ارادة اللـه أن يتحول أبو بكر الى أسد هصود ، فتحول من اللين الى الصلابة ، ومـن الرقة الدامعة الى الشدة فى الحـق .

فشاور جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن عمـلا بقوله تعالى (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) وأعلن مقاتلة المرتين والارتداد الذى حدث فى غالب الجزيره فلم يبق سوى مكة والمدينة ومنطقة فى البحرين تسمى جواثـا .

وفى أمر بنى يربوع وأمثالهم عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضى الله عنـه فراجع أبا بكر رضى الله عنه وناظره واحتج عليه بالحديث تعلقا بظاهر الكلام فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ان الزكاة حق المال يريد أن القضية قـد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بايفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لايحصل بأحدهما والآخر معدوم ثم قايسة بالصلاة ورد الزكاة (١) اليها فانشـرح

(١) راجع شرح النووى على مسلم جـ١ صـ٢٠٠

... المتنايسة وانتهم الى أبى بكر الصديـــق ... المرتدين لبعض ما هو معلوم من الدين بالضـــرورة ... بعضى وقد ... الجزيرة العربية ترفل فى رحاب الاسلام وتنعـــم بنعمة الله تعالـــى .

وهذا الحديث : جمع فى ثناياه مسائل العقيدة أيضا وطالب بالحفاظ عليها ، ومنهم ذلك قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ...) الأنفال ٦٠ .

فعلى ولاة الأمر من بعد النبى صلى الله عليه وسلم الالتزام بهذا الحديث الى أن يرث الله الارض ومن عليها . والله أعلـــم .

فقه الحديث وتحليلـــه :

أراد الله عز وجل بالأمة خيرًا عندما اتفق المتنازعون فى أمر الخلافة فلـــولا حكمة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وما أراده الله تعالى لدينه من النصر لما انحسم النزاع كما انحسم ، ولما إنتهى الى النتيجة الموفقة التى انتهـــى اليها . ولم يكن هذا الأمر بالشىء الذى يذكر اذا قيس بما حدث بغيرهـــا ، فقد اضطرب أمر سائر العرب حتى هم أهل مكة والطائف بالعودة الى عهـــد الجاهلية ، فبهـــا هو عثمان بن أبى العاص عامل النبى صلى الله عليه وسلم على ثقيف بالطائف يقف بينهم خطيبا قائلا لهم : يا أبناء ثقيف كنتم آخر من أسلـــم فلا تكونوا أول من إرتد) . كذلك ثبتت على الاسلام القبائل الضاربة بيـــن مكة والمدينة والطائـــف .

أما سائر العرب والقبائل البعيدة ، فارتد منهم من كان عهدهم بالاسلام قريبا ، وكذا ممن لم تكن نفوسهم قد إستوعبت تعاليمه ، واضطربت عقائد سائـــرهم .

أصناف المرتدين :

ان أهل الردة – كما يقول الخطابي – كانوا صنفين :

– صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله " وكفر من كفر من العرب وهذه الفرقة طائفتان :

احداهما : أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة .

وأصحاب الاسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مدعية النبوة لغيره . فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى قتل مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء وانفضت جموعهم وهلك أكثرهم .

والطائفة الأخرى : ارتدوا عن الدين وانكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعادوا الى ماكانوا عليه في الجاهلية فلم يكن يسجد لله تعالى في بسيط الأرض الا في ثلاثة مساجد مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس في البحرين في قرية يقال لها جواثا ففي ذلك يقول الأعور الشني يفتخر بذلك .

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا ∴ والمنبران وفصل القول في الخطب

أيام لا منبر للناس نعرفه ∴ الا بطيبة والمحجوب ذي الحجب

وكان هؤلاء المتمسكون بدينهم من الأثر ومحصورين بجواثا الى أن فتح الله سبحانه على المسلمين اليمامة .

– والصنف الآخر : هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وانكروا فرض الزكاة ، ووجوب أدائها الى الامام وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي وانما يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصا لدخولهم في عمار أهل الردة ،

فأضيف الاسم فى الجملة الى الردة اذ كانت أعظم الأمرين وأهمهما .
وأرخ قتال أهل البغى فى زمن على بن أبى طالب رضى الله عنه اذا كانوا منفردين فى زمانه ، ولم يختلطوا بأهل الشرك .
- وقد كان فى ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بها ولا يمنعها ، الا أن رؤسائهم صدوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيدهم فى ذلك كبنى يربوع فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم .
وفى أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضى الله عنه ، فراجع أبابكر رضى الله تعالى عنه .

المناظرة الطيبة :

احتج عمر بن الخطاب فى مناظرته أبا بكر الصديق بقول النبى صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم نفسه وماله " وكان هذا من عمر رضى الله عنه تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر فى آخره ويتأمل شرائطه .
فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ان الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بايفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم . ثم قايسه بالصلاة ورد الزكاة اليها ، وكان فى ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان اجماعا من الصحابة ، وكذلك رد المختلف فيه الى المتفق عليه .
فاجتمع فى هذه القضية الاحتجاج من عمر رضى الله عنه بالعموم ، ومن أبى بكر رضى الله عنه بالقياس ، ودل ذلك على أن العموم يخص بالقياس ، وأن جميع ما تضمنه الخطاب الوارد فى الحكم الواحد من شرط واستثناء مراعى فيه ، ومعتبر صحته به .

فلما استقر عند عمر رضى الله عنه صحة رأى أبى بكر رضى الله عنه وبان له صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله (فلما رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال عرفت أنه الحق يشير الى انشراح صدره بالحجة التى أدلى بها والبرهان الذى أقامه نصا ودلالة .

شبهة مانعى الزكاة والرد عليها :

وشبهة هذا الصنف الذى نسب الى المرتدين تجاوزا أن القوم كانوا متأولين فى منع الصدقة ، وكانوا يزعمون أن الخطاب فى قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ، خطاب خاص فى مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره . وانه مقيد بشرائط لاتوجد فيمن سواه ، وذلك أنه ليس لأحد من التطهير والتزكيه والصلاة على المتصدق ماللنبى صلى الله عليه وسلم .

والجواب عن هذه الشبهة يكمن فى بيان أمرين :

أ ـ بيان أوجه الخطاب فى كتاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ب ـ بيان أن الشرائط المذكورة فى الآية ليست قاصرة على النبى صلى الله عليه وسلم .

الأمر الأول : أن أوجه الخطاب فى كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه :

أ ـ خطاب عام كقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا . . .) الآية ، ونحو قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . . .) الآية .

ب ـ وخطاب خاص للنبى صلى الله عليه وسلم لايشركه فيه غيره وهو ماأبين به عن غيره ـ كما يقول الخطابى ـ بسمة التخصيص وقطع التشريك كقوله تعالى :

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك) وكقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين)

جـ - وخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وجميع أمته في المراد به سواء كقوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ..) وكقوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وكقوله تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ..) الآية .

ونحو ذلك من خطاب المواجهة ، فكل ذلك غير مختص برسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشاركه فيه الأمة .

فكذا قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . فعلى القائم بعده بأمر الأمة أن يحتذي حذوه في أخذها منهم .

فائدة مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب:

وانما الفائدة في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب أنه بالداعي الى الله تعالى والمبين عنه بمعنى ما أراد ، فقدم اسمه في الخطاب - كما يقول الخطابي - ليكون سلوك الأمر في شرائع الدين على حسب ماينهجه ويبينه لهم وعلى هذا المعنى قوله تعالى (ياأيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فافتتح الخطاب بالنبوه باسمه خصوصا ثم خاطبه وسائر أمته بالحكم عموما .

يضيف الامام الخطابي وجه آخر من أوجه الخطاب بقوله :

وربما كان الخطاب له مواجهة والمراد غيره كقوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك " الى قوله " فلا تكونن من الممترين) ولايجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم قد شك قط في شيء مما أنزل الله اليه .

بيان ان ... المذكورة في الآية ليست قاصرة على النبي صلى الله عليه وسلم :

يقول الخطابي : فأما التطهير والتزكية والدعاء من الامام لصاحب الصدقة فان الفاعل فيها قد ينال ذلك كله بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وكل ثواب موعود على عمل بر كان في زمنه صلى الله عليه وسلم فانه باق غير منقطع.
ويستحب للامام وعامل الصدقة أن يدعو للمصدق بالنماء والبركة في ماله ويرجى أن يستجيب الله ذلك ولايخيب مسألته.

السبب في قتالهم :

أما السبب في قتال هؤلاء يرجع الى أنهم نصبوا القتال فجهز اليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه من دعاهم الى الرجوع الى طريق الحق والرشاد واتباع الشرع كاملا ، وأقام عليهم الحجة في ذلك ، فلما أصبروا قاتلهم.
واتبع خليفة المسلمين في ذلك حكم الشرع فيهم ، على اعتبار أنهم أهل بغى ، وليسوا بكفار . ويقول الامام مالك في ذلك (الأمر عندنا فيمن منع فريضة من فرائض الله تعالى ، فلم يستطع المسلمون أخذها منه كان حقا عليهم جهاده).

حكم من أنكر فرض الزكاة في أزماننا :

ان من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافرا وادعى الامام الخطابي اجماع المسلمين على ذلك فقد شاع دين الاسلام واستفاضه في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشتراك فيه

العالم والجاهل فلا يعذر احد بتأويل يتأوله في انكارها ؛ وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين اذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والحج الى بيت الله الحرام والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا ونحو ذلك.

الا أن يكون رجلا حديث عهد بالاسلام ، ولا يعرف حدوده فانه اذا انكر شيئا منها جهلا به لم يكفر وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه.

فأما ماكان الاجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وأن القاتل عمدا لايرث بقاء على قول الفقهاء (من يعمل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه) وأن للجدة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام فان من أنكرها لايكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة.

علة الحكم بأن مانعي الزكاة السابقين أهل بغى :

أنهم انما عذروا لأسباب وأمور لايحدث مثلها في هذه الأزمان منها قرب العهد بزمان الشريعة الذى كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ ومنها أن القوم كانوا جهالا بأمور الدين وكان عهدهم بالاسلام قريبا فدخلتهم الشبه فعذروا. (١)

اعتراض والرد عليه :

قال الحافظ ابن حجر: وقد استبعد قوم صحته ـ أى الحديث ـ بأن الحديث لو كان عند ابن عمر لما ترك أباه ينازع أبا بكر في قتال مانعي

(١) راجع شرح الامام النووى على صحيح مسلم جـ١ صـ٢٠٠/٢٠٦ / فتح المنعم جـ١ صـ١٢٦/١٣٢ / سيرة الصديق / أ.د / محمد حسين هيكل صـ٣٢ ومابعدها.

الزكاة ، ولو كانوا يعرفونه لما كان أبو بكر يقر عمر على الاستدلال بقوله عليه الصلاة والسلام "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله" ينتقل عن الاستدلال بهذا النص إلى القياس إذ قال : لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة لأنهما قد يقرنهما في كتاب الله .

والجواب: أنه لا يلزم من كون الحديث المذكور عند ابن عمر أن يكون استحضره في تلك الحالة ، ولو كان مستحضراله ، فقد يحتمل أن لا يكون حضر المناظرة المذكورة ، ولا يمتنع أن يكون ذكره لهما بعد . ولم يستدل أبو بكر في قتال مانعي الزكاة بالقياس فقط بل أخذه أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه (الا بحق الاسلام) قال ابو بكر والزكاة حق الاسلام ، ولم ينفرد ابن عمر بالحديث المذكور بل رواه أبو هريره أيضا بزيادة الصلاة والزكاة فيه .

وفي القصة دليل على أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطلع عليها آحادهم ، ولهذا لا يلتفت الى الآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها ، ولا يقال كيف خفي ذا على فلان ؟ (١)

اعتراض آخر والرد :

فان قيل : مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد ، فكيف ترك قتال مؤدى الجزية والمعاهد ؟

فالجواب من أوجه : أحدهما دعوى النسخ بأن يكون الاذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخر عن هذه الأحاديث بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى (واقتلوا المشركين) .

---

(١) فتح البارى جـ١ ص ٨٢ .

ثانيها : أن يكون من العام الذى خص منه البعض لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب فاذا تخلف البعض لدليل لم يقدح فى العموم .

ثالثها : أن يكون من العام الذى أريد به الخاص فيكون المراد بالناس فى قوله (أقاتل الناس) أى المشركين من غير أهل الكتاب ويدل عليه رواية النسائى بلفظ (أمرت أن أقاتل المشركين)

رابعها : أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها التعبير عن اعلاء كلمة الله واذعان المخالفين فيحصل فى بعض بالقتل وفى بعض بالجزية وفى بعض بالمعاهدة .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا حسن . (١)

أفكار الحديث ومايؤخذ منه :

١ – فيه دليل على قبول ما ظهر من الاعمال ، والحكم بما يقتضيه الظاهر ، والاكتفاء فى قبول الايمان بالاعتقاد الثابت ، خلافا لمن أوجب تعلم الادلة .

٢ – ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع ، وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن .

(١) المرجع السابق جـ١ صـ٨٤ بتصرف .

٣ ـ وفي الحديث دليل على أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطلع عليها آحادهم .

٤ ـ أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به .

٥ ـ جواز الحلف على فعل الشيء لتأكيده (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه) .

٦ ـ حرمة دم ومال وعرض المسلم وجواز قتال مانعي الصلاة والزكاة وأهل البغي .

٧ ـ أن الحد الفاصل بين الاسلام والكفر ـ والعياذ بالله ـ النطق بالشهادتين وعدم تكفير أهل الشهادة من أهل البدع . والحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

٨ ـ في الحديث رد على المرجئة الذين زعموا ان الايمان لايحتاج الى الاعمال .

٩ ـ الأدب عند المناظرة في التعلم بهدف الوصول للحق ، والبعد عن الجدل العقيم المنهي عنه .

١٠ ـ وفي الحديث بيان لمكانة أبي بكر الصديق ، ومدى علمه وكذا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

١١ ـ التزام الصحابة رضوان الله عليهم عند النوازل فيما بينهم بالشورى . والله أعلم .

* * *

- عدد شعب الايمان -

- روى الامام مسلم بسنده عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الايمان .
- وروى أيضا بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان . (١)

ما يتعلق بالاسناد :

هذا الحديث رواه الامام مسلم من طريقين الطريق الاولى عن شيخين هما عبيد الله ابن سعيد وعبد بن حميد قالا حدثنا ابو عامر العقدى حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن ابى صالح عن أبى هريره . والطريق الآخر عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن ابى هريرة . وكلا من الطريقين يلتقيان عند عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة . ويلاحظ أيضا أن الطريق الاولى والثانية تلقاها الامام مسلم مع غيره حيث أنه عبر بلفظ ((حدثنا)) . وقال ابن حجر فى الاسناد رواية الأقران وهى عبد الله بن دينار عن أبى صالح لأنهما تابعيان ، فان وجدت رواية أبى صالح عنه صار من المدبج . ورجاله من سليمان الى منتهاه من أهل المدينة وقد دخلها الباقون (٢)

---

(١) أخرجه مسلم ك الايمان /باب عدد شعب الايمان / جـ١ صـ ٦/٣
واخرجه البخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، ومالك ، وأحمد .
(٢) فتح البارى جـ١ صـ ٥٩ .

التعريف بالراوى :

أبوهريرة هو عبدالرحمن بن صخر الدوس ، من علماء الصحابة وفقهائهم روعاء من أوعية العلم خاصة مايتصل بحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كان حريصا على تلقى السنة من النبى عليه الصلاة والسلام ، لذلك حينما أحس أن من الصحابه من يراه قد أكثر فى رواية السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم رد على ذلك بقوله : فيما رواه الشيخان " أنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموعد انى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله على ملء بطنى وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق — يعنى فى التجارة — وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم — يعنى فى حوائطهم — فحضرت من النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه منى فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى فوالذى نفسى بيده مانسيت شيئا سمعته منه بعد .

ولذلك نجد أنه رضى الله عنه كان من أكثر الصحابه حديثا روى البخارى عنه أنه قال " لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر منى حديثا الا ماكان من عبدالله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب ولا أكتب" أسلم رضى الله عنه فى السنة السابعة من الهجرة وكان من أهل الصفة ، يلزم النبى صلى الله عليه وسلم حيث ذهب ، ومن هنا كانت كثرة حديثه . ومن أهم ماأثر عنه الصحيفة التى أملاها الى تلميذه وصهره همام بن منبه وقد أخرجها الامام احمد فى مسنده ، فهى مع كونها جامعة لكثير من أحكام الشريعة فهى وثيقة تاريخية هامة ، لكتابه السنة فى الصدر الأول الاسلامى . توفى رضى الله عنه وأرضاه بالمدينه سنه (٥٩) هـ .

معاني المفردات :

(البِضْع) قال القاضي عياض رحمه الله البِضْع والبِضْعة بكسر الباء فيهما وفتحها هذا في العدد . فأما بضعة اللحم فالبضع لا غير . والبضع في العدد ما بين الثلاث إلى العشر وقيل من ثلاث الى تسع . وقال الخليل البضع سبع وقيل مابين اثنين الى عشرة ومابين اثنى عشر الى عشرين ولا يقال في اثنى عشر . قلت وهذا القول هو الاشهر الأظهر .

وقال الفراء : " هو خاص بالعشرة الى التسعين فلا يقال بضع ومائه ولا بضع وألف " وتضاف الى لفظ بضع الهاء مع المذكر ، ويكون مع المؤنث بدونها ، فتقول بضعة وعشرون رجلا ، وبضع وعشرون امرأة ، وفي بعض الروايات "بضعة" على تأويل الشعبة بالقسم . (١)

(شعبة) أي القطعة من الشيء (٢) أو الخصلة منصوب على التمييز

(الحياء) هو تغير وانكسار يعتدي الانسان عند خوف مايعاب به أو يذم عليه ، أو هو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح ، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء لسبب ، والتحقيق أن الترك من لوازمه ، وانما هو دهشة تكون سببا لترك الشيء . (٣)

والحياء شرعا : هو ترك مايعد عيبا في نظر الشارع ، وان لم يعده الناس عيبا . وقوله (الحياء شعبة من الايمان) الجملة حاليه ويجوز العطف على ماقبلها فيكون من عطف الخاص على العام .

---

(١) فتح الباري جـ١ صـ ٥٧ ، ٥٨ بتصرف / مختار الصحاح جـ٣ صـ ٥ / النووي شرح صحيح مسلم /جـ٢ صـ ٤ / عمدة القاري جـ١ صـ ١٢٥ ، ١٢٦

(٢) مختار الصحاح جـ٣ صـ ٨٨

(٣) فتح المنعم جـ١ صـ ٢١٣ بتصرف .

وقوله (شعبة من الايمان) أى خصلة عظيمة وأثر من آثار الايمان ، فالتنوين للتعظيم والتفخيم والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة .

وفى الرواية الثانيه :

(بضع وسبعون أو بضع وستون) شك من الراوى وقد وردت الرواية الأولى بدون شك .

(فأفضلها) المراد أن الايمان لو جعل مراتب أو درجات لكان أفضلها وأعلاها وأرفعها كلمة التوحيد وأدنى هذه المراتب والدرجات اماطة الأذى عن الطريق .

وقوله (لا اله الا الله) مع قرينتها (محمداً رسول الله) فاذا ذكرت احداهما – كما سبق – كان المراد مع الأخرى .

قوله (وأدناها) أى أقربها وأقلها فضلا ، وكانت أقل مراتب الايمان منزلة وأجرا ، لأن فيها دفع لأقل ألم قد يتعرض له أحد من المسلمين .

وقوله (اماطه الأذى عن الطريق) أى رفع الأذى وتنحيته وابعاده عن الطريق والأذى كل مايؤذى المارة من حجر أو شوك أو قذر أو عظم ، أو قتل دابة مؤذية ونحو ذلك ، مما قد يتعرض له انسان من شأنه أن يؤذى .

المعنى العام ..

يبين النبى صلى الله عليه وسلم ماينطوى عليه الايمان من أمور الدين الحميدة ، والخصال الكريمة وهذه المكونات أو الشعب تتفرع – كما يقول شيخ الاسلام – من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن .(١) فالايمان

(١) فتح البارى جـ١ صـ٩٨

شعبه كثيره وعظيمة وحميدة . من تمسك بها وحافظ عليها فقد استكمل الايمان .

فالايمان : بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من أفضل خصال المرء ، والذكر بكلمة التوحيد أصل الأنوار والأسرار والأنس الروحى للذاكرين الأبرار . "نورهم يسعى بين أيدهم وبأيمانهم" وهو شعار الأنبياء والمرسلين .

قال عليه الصلاة والسلام " أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لااله الاالله" وهو أيضا دأب الأنبياء والصالحين والعابدين ، أهل الصدق فى الباطن والظاهر .

ومع هذه " الكلمة " استحضار الايمان التام بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الايمان به ركن من أركان العقيده ، فهو الانسان الكامل المبلغ عن الله عز وجل أمره ونحهيه ، ومنهجه لعباده . صلى الله عليه وسلم .

كما أن الحياء : الذى خصه النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر : خلق كريم يأخذ بيد المسلم بعيدا عن القبائح ، وبعيدا عن التقصير فى حق الله عز وجل فانما ينشأ بالدرجة الأولى من مراقبة الله تبارك وتعالى وخوف عقابه ، وكما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عنه بقوله (الحياء لايأتى الا بخير) فهو يدعو صاحبه الى التخلق بالأخلاق الحميده ، والشيم الرفيعة ، ومكارم الاخلاق مع المولى عز وجل ثم مع من حوله من الناس مسلما وغير مسلم ، وهو باعث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات ، وباعث على التمسك بطرق البر والخير والفضيلة والشرف .

وأما "اماطة الأذى عن الطريق) فهذه صفة وان جعلت أدنى مراتب الايمان الا انها خلق كريم يبعث على العطف والتراحم والتواضع والبعد

عن الكبر والأنفة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم "اماطة الأذى عن الطريق صدقة" .

فهذه الشعب وطرق البحث عنها والعمل بكل واحدة منها وان كان من حيث الظاهر أمر يسير ، لكن جزاءه عند الله عز وجل عظيم وكبير. "ذلك هدى الله يهدى به من يشاء" الزمر ٣٩ .

فقه الحديث وتحليله :

يدور كلامنا فى هذا الحديث حول النقاط الآتية :-

١ - لم قدم الامام البخارى لهذا الحديث بقوله تعالى : ليس البر ...) الاية .

٢ - آراء العلماء فى تحقيق الخلاف فى الرواية (بضع وستون أم بضع وسبعون)

٣ - بيان المراد بشعب الايمان ، وبيان وجه لبلاغه النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث .

٤ - الكلام عن الحياء .

٥ - الكلام عن اماطة الأذى .

٦ - أفكار الحديث وما يؤخذ منه .

أولا : قدم البخارى لهذا الحديث بقوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة ، والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...) الآيه الى قوله تعالى (أولئك هم المتقون) وقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) الآيه .
ثم ذكر الحديث .

قال شيخ الاسلام : ووجه الاستدلال بهذه الآية ومناسبتها لحديث الباب تظهر من الحديث الذى رواه عبد الرزاق وغيره من طريق مجاهد " أن أبا ذر سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فتلا عليه (ليس البر) الى آخرها ورجاله ثقات ، وانما لم يسقه المؤلف - يعنى البخارى - لأنه ليس على شرطه . ووجهه أن الآية حصرت التقوى على أصحاب هذه الصفات ، والمراد المتقون من الشرك والأعمال السيئة ، فاذا فعلوا وتركوا فهم المؤمنون الكاملون .

والجامع بين الآية والحديث : أن الأعمال مع انضمامها الى التصديق داخله فى مسمى البر . وقد ورد التصديق فى الرواية الثانية المفصلة عند الامام مسلم . وهو قوله صلى الله عليه وسلم (فأفضلها قول لا اله الا الله) .

وقد أورد الامام البخارى عقب الآية الاولى قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) ويحتمل أن يكون الامام البخارى قد ذكرها تفسيرا لقوله المتقون : أى المتقون هم الموصوفون بقوله (قد أفلح) الى آخرها . وكأنه أشار أيضا الى امكان تعدد الشعب من هاتين الآيتين وشبههما . (١)

ثانيا : آراء العلماء فى تحقيق الخلاف فى الرواية هل : بضع وستون أم بضع وسبعون ؟

قال الامام النووى بعد أن ذكر الرواية الأولى عند الامام مسلم (الايمان بضع وسبعون شعبه) بصيغة الجزم قال : وفى رواية زهير : بضع وسبعون أو بضع وستون) على الشك .

ورواه البخارى فى أول الكتاب من رواية العقدى بضع وستون بلاشك ، ورواه أبو داود والترمذى وغيرهما من رواية سهيل بضع وسبعون بلاشك ورواه الترمذى من طريق آخر وقال فيه أربعة وستون بابا واختلف العلماء فى الراجحه من الروايتين :

---

(١) فتح البارى بتصرف جـ١ ص ٥٧ .

فقال القاضي عياض : الصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة بضع وستون • وقال الشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى هذا الشك الواقع في رواية سهيل هو من سهيل كذا قال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله، وقد روى عن سهيل بضع وسبعون من غير شك، وأما سليمان ابن بلال فانه رواه عن عمرو بن دينار على القطع من غير شك وهي الرواية الصحيحة أخرجاها في الصحيحين غير أنها فيما عندنا من كتاب مسلم بضع وسبعون ، وفيما عندنا من كتاب البخاري بضع وستون •

وقد نقلت كل واحدة عن كل واحد من الكتابين ولا اشكال في أن واحدة منهما رواية معروفة في طرق روايات هذا الحديث واختلفوا في الترجيح ،قال ـ أي ابن الصلاح ـ والأشبه بالاتقان والاحتياط ترجيح رواية الأقل • قال ومنهم من رجح رواية الاكثر واياها اختار أبو عبد الله الحليمي (١) ، فان الحكم لمن حفظ الزيادة جازماً بها • (٢)

وقد ذكر الامام العيني رواية سهل (بضع وسبعون) بلاشك ثم قال ورجحها القاضي عياض وقال إنها الصواب ، و كذا رجحها الحليمي وجماعات منهم النووي لأنها زيادة من ثقة فقبلت وقدمت ، وليس في رواية الأقل ما يمنعها وقال ابن الصلاح الأشبه ترجيح الأقل لأنه المتيقن ، والشك من سهيل كما قاله البيهقي) (٣)

قال شيخ الاسلام : وترجيح رواية بضع وسبعون لكونها زيادة ثقة كما ذكره الحليمي ثم عياض لا يستقيم اذ الذي زادها لم يستمر على الجزم بها

---

(١) ابو عبدالله الحليمي صنف كتاب " فوائد المنهاج " وهو امام الشافعين ببخاري وكان من ائمة المسلمين •

(٢) شرح النووي على صحيح الامام مسلم ج١ ص٣ ، ٤ بتصرف•

(٣) عمدة القاري ج١ ص١٢٥ بتصرف •

لاسيما مع اتحاد المخرج وبهذا يتبين شفوف نظر البخارى وقد رجح ابن الصلاح الأقل لكونه المتيقن . (١)

اذن نخلص مما سبق أن العلماء انقسموا الى فريقين :

فالأول منهما رجح رواية الستين مراعاة للعدد المتيقن كابن الصلاح الامام البخارى الذى أفرد الرواية بالذكر فى باب أمور الاسلام وكذا شيخ الاسلام ابن حجر ، وغيرهم .

اما الفريق الثانى فقد رجح رواية السبعين لأنها زيادة عدل مقبولة وليس فى رواية الأقل ما يمنعها ومن ذهب الى ذلك الحليمى والقاضى عياض والامام النووى . وقال صاحب المختار : والى هذا الرأى نذهب ، لأن نفى الزائد اهدار للرواية الصحيحة ، أما الأخذ به فانه أخذ بالروايتين معا لاندراج الأقل فى الأكثر ، ولا يصار الى الترجيح مع امكان الجمع. (٢)

- وأيضا يحتمل أن يكون العدد لا مفهوم له وليس مقصودا وانما المقصود هو التكثير ، وذكر البضع للترقى بمعنى أن شعب الايمان كثيرة لا حصر لها . ويؤيده ، أن ذكر السبعة عند العرب للدلالة على التأكير والمبالغة (عمدة القارى جا صـ١٢٧) . ولكن هذا الرأى لم يصادف قبولا من العلماء خاصة وقد حاول بعضهم التنقيب عن هذه الشعب كابن حبان والامام البيهقى والحليمى والقرطبى وغيرهم ، فالراجح هو أن العدد مقصود والله أعلم.

---

(١) فتح البارى جـ١ صـ٥٨ .

(٢) المختار من كنوز السنه /صـ٤٢٦ / وطريق الجمع بين الروايتين أن يقال أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر بضعا وستين شعبه ثم زادهم فى رواية أخرى عشرا فصارت بضعا وسبعين والله اعلم.

ثالثا : بيان المراد بشعب الايمان ، وبيان وجه لبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث :

قال القاضي عياض : تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الايمان .(١)

قال أبو حاتم : وقد تتبعت معنى الخبر مدة ، وذلك أن مذهبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم قط الا بفائدة ، ولا من سننه شيء لا يعلم معناه ، فجعلت أعد الطاعات من الايمان فاذا هي تزيد على هذا العدد شيئا كثيرا ، فرجعت الى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا هي تنقص من البضع والسبعين ، فرجعت الى مابين الدفتين من كلام ربنا وتلوته آية آية بالتدبر ، وعددت كل طاعة عدها الله جل وعلا من الايمان ، فاذا هي تنقص عن البضع والسبعين ، فضممت الكتاب الى السنن ، وأسقطت المعاد منها ، فاذا كل شيء عده الله عز وجل وعلا من الايمان في كتابه ، وكل طاعة جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان في سننه تسع وسبعون شعبة لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء ، فعلمت أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم كان في الخبر أن الايمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنن .(٢)

وقد لخصت مما أورده ما أذكره : وهو أن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن :

فأعمال القلب فيه : المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين (٢٤) خصلة : الايمان بالله ويدخل فيه الايمان بذاته وصفاته وتوحيده ، بأنه ليس كمثله شيء

---

(١) فتح الباري جـ١ صـ٥٨ (٢) صحيح ابن حبان جـ١ صـ٢١٩

واعتقاد حدوث مادونه ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ، والايمان باليوم الآخر ، ويدخل فيه المسئلة فى القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط ، والجنة والنار ، ومحبة الله ، والحب والبغض فيه ، ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد تعظيمه ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته والاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق ، والتوبة والخوف والرجاء ، والشكر والوفاء والصبر ، والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة ، والتواضع ويدخل فيه توفير الكبير ورحمة الصغير ، وترك الكبير والعجب وترك الحسد ، وترك الحقد وترك الغضب .

وأعمال اللسان : وتشتمل على سبع خصال : التلفظ بالتوحيد ، وتلاوة القرآن ، وتعلم العلم وتعليمه ، والدعاء والذكر ، ويدخل فيه الاستغفار ، واجتناب اللغو .

واعمال البدن : وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها مايختص بالاعيان وهى خمس عشرة خصلة :

التطهير حساً وحكماً ، ويدخل فيه اجتناب النجاسات ، وستر العورة — والصلاة فرضاً ونفلاً ، والزكاة كذلك ، وفك الرقاب ، والجود ويدخل فيه اطعام الطعام ، واكرام الضيف ، والصيام فرضا ونفلاً ، والحج فيه الهجرة من دار الشرك ، والوفاء بالنذر ، والتحرى فى الايمان ، وأداء الكفارات .

ومنها مايتعلق بالإتباع وهى ست خصال : التعفف بالنكاح ، والقيام بحقوق العيال ، وبر الوالدين وفيه اجتناب العقوق ، وتربية الاولاد وصلة الرحم ، وطاعة السادة والرفق بالعبيد .

ومنها مايتعلق بالعامة وهى سبع عشرة خصلة : القيام بالامرة مع العدل ، ومتابعة الجماعة على وطاعة أولى الأمر ، والاصلاح بين الناس ، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة ، والمعاونة على البر ويدخل فيه الامر بالمعروف والنهى

عن المنكر ، واقامة الحدود ، والجهاد ومنه المرابطة ، وأداء الامانة ومنه أداء الخمس ، والقرض وفائه ، واكرام الجار ، وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حله ، وانفاق المال في حقه ، ومنه ترك التبزير ، والاسراف ، ورد السلام وتشميت العاطس ، وكف الأذى عن الناس ، واجتناب اللهو ، واماطة الأذى عن الطريق ، فهذه تسعة وستون خصلة ، ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة باعتبار أفراد لما ضم بعضه الى بعضها ذكر والله أعلم . (١)

وبالنظر الى هذه الشعب نجد أن بعضه يمكن ان ينضم الى بعض ويندرج فيه نحو طاعة السادة المذكورة فيما يتعلق بالاتباع وطاعة أولى الامر المذكورة فيما يتعلق بالعامة ، وكالقيام بحقوق العيال ، وتربية الاولاد فيما يتعلق بالاتباع ، الا اذا أراد بحقوق العيال مايلزمهم من ناحية المعيشة وأراد بالتربية الادب ، كما أنه لم يذكر الحياء ضمن هذه الخصال .

ومما يلاحظ أن شيخ الاسلام ابن حجر قد رجح رواية " بضع وستون) ويدل على ذلك أيضا مدحه للامام البخارى حينما اقتصر على هذه الرواية في الباب فقد قال : "وبهذا يتبين شغوف نظر البخارى " ثم يقول بعد هذه العبارة " وقد رجح ابن الصلاح الاقل لكونه المتيقن " . (٢)

ــ والمطلوب الايمان بهذه الشعب على وجه الاجمال وان جهل التفصيل فلا ضير على المسلم ، قال القاضى عياض : " ثم انه لايلزم معرفة أعيانها ولايقدح جهل ذلك في الإيمان ، اذ أصول الايمان وفروعه معلومه محققة والايمان بانها هذا العدد واجب في الجملة) (٣)

---

(١) فتح البارى جـ١ صـ٥٨/٥٩ بتصرف ١٠ وقال ابن حيان مؤيدا ماذهب اليه " أن رواية من روى "بضع وستون شعبه" أيضا صحيحة فان العرب قد تذكر للشئ عددا ولاتزيد نفى ماسواه " النووى على صحيح مسلم جـ٢ صـ٥ .

(٢) فتح البارى بتصرف جـ١ صـ٥٨

(٣) شرح النووى على مسلم جـ٢ صـ٤

وقد نبه القاضي عياض الى أن هذه الشعب ليست خارجة عن الايمـــان الشرعي ولا اللغوي بل هي خلق أهل الصدق . فقال رحمه الله تعالـى :
أن أصل الايمان في اللغة تصديق وفي الشرع تصديق القلب واللســان وظواهر الشرع تطلقه على الاعمال كما وقع هنا أفضلها لا اله الا الله وآخرها اماطة الأذى عن الطريق ، وقد قدمنا أن كمال الايمان بالأعمال وتمامــه بالطاعة وان التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه وانها خلق اهل التصديق فليست خارجة عن اسم الايمان الشرعي ولا اللغوي وقد نبه صلى الله عليه وسلم على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحـد والذى لايصح شيء من الشعب الا بعد صحتها وأدناها مايتوقع ضـــرره بالمسلمين من اماطة الأذى عن طريقهم ، وبقي بين هذين الطرفين اعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه : (النـــووى على مسلم جـ٢ صـــ٤) ..

من بلاغة النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث :

الحق أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم حوى الجمال الفني في صياغتـــه فهو كلام كلما زدته فكرا زادك معنى . كلام قيل لتصويره المعاني الـــى حقائقها ، هو من لسان وراءه قلب وراءه نور وراءه الله عــز وجل ، فكلامــه صلى الله عليه وسلم يجرى مجرى اعتقاده وعمله : كله دين وتقوى وتعلـــيم ، وكله روحانية وقـــوة وحيــــاة .

وهذا الحديث أحد النماذج البلاغية للمصطفى صلى الله عليه وسلم : ففيــه تشبيه الايمان بشجرة ذات اغصان وشعب ومبناه على المجاز وذلك لأن الايمان في اللغة التصديق وفي عرف الشرع تصديق القلب واللسان وتمامــه

وكماله بالطاعات فحينئذ الاخبار عن الايمان بأنه بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ونحو ذلك يكون من باب اطلاق الأصل على الفرع لأن الايمان هو الأصل والأعمال فهي منه .

واطلاق الايمان على الأعمال مجاز لأنها تكون عن الايمان . (١)

رابعا : الكلام عن الحياء :

سبق أن بينا في المعنى العام أن الحياء خلق كريم يدفع بصاحبه الى اجتناب القبيح من الاعمال ، ويمنع من التقصير في حق صاحب الحق ، وينبع من خشية الله جل علاه ومراقبته . " فالحيي يدعو الى سائر الخصال الحميدة والحيي يخشى الله تعالى ، ويخاف فضيحة الدنيا والآخرة ، فيأتمر بأمر ربه وينتهي بنهيه .

أما من لاحياء عنده ، فلاخير فيه ، لأنه لايرى بأسا في اعلان فسقه أو شره ، ومن هنا وجب تحذير الناس منه ومن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ...

وكان صلى الله عليه وسلم خير من تمثل في شخصه الشريف خلق الحياء ، فهو رقيق الشعور ، دقيق الاحساس ، اذا رأى شيئا لايحبه مما لايتصل بشأن الدين ظهر في وجهه وعرفه أصحابه ، أما ما يتصل بأمور الدين فكان أسرع مايكون الى تغييره مااستطاع الى ذلك سبيلا .

وأعلى أنواع الحياء : هو الحياء من الله تعالى ، وذلك بطاعته سبحانه فلا يراك حيث نهاك ، وهذا بمعرفته ومراقبته في السر وفي العلانية وهذا هو المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "استحيوا من الله حق الحياء" قالوا : انا نستحي والحمد لله فقال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن

(١) راجع عمدة القارىء جـ١ صـ١٢٧ / المختار من كنوز السنة صـ٤٢٧

تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيـــاء . (١)

ـ وقد يقال أن الحياء من الغرائز فلم جعل شعبة من الايمان :

ويجاب عن ذلك بأن الحياء كما يكون غريزة يكون مكتسبا ، واستعمالـــه شرعا على الوجه الثاني لاحتياجـه الى علم ونيه ، كسائر اعمال الطاعـات والبر ، فهو من الايمان لهذا ، ولكونه دافعا على فعل الطاعة ، وحاجزا على فعل المعصيـــة .

ـ ولا يقال أن من الحياء ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو الامتناع عن قول كلمة الحق عند سلطان جائر " فالحياء لا يأتى الا بخير) وفـــى رواية (الحيـاء والحقيقة أن هذا ليس بحياء وانما هو عجز وجبن ومهانة)
قال الامام النووى : فقد يشكل على بعض الناس من حيث ان صاحـــب الحياء قد يستحى أن يواجه بالحق من يجعله فيترك أمره بالمعـــــروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على الاخلال ببعض الحقوق وغـــير ذلك مما هو معروف في العـادة .
وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الائمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمة الله أن هذا المانع الذى ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة ، وانما تسميته حياء من اطلاق بعض أهل العرف ، أطلقـــوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقى . وانما حقيقة الحياء خلق يبعث علـــى ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذى الحـق ونحو هذا . (٢)

---

(١) راجع كتاب من هدى السنه صـ ١٠٦ / ١٠٧ / عمدة القارئ جـ١ صـ ١٢٩

(٢) شرح صحيح مسلم للنووى جـ٢ صـ ٦٢٥ / غريب الحديث جـ١ صـ ١٢٩ ، ١٣٠

- وقد نبه الامام العيني الى أن الاقتصار على ذكر الحياء في الحديث من بين سائر الشعب "بأنه كالداعي الى سائر الشعب فان الحي يخاف فضيحة الدنيا وفظاعة الآخرة ، فينزجر عن المعاصي ويتمثل الطاعات كلها ، وقال الطيبي معنى افراد الحياء بالذكر بعد دخوله في الشعب كأنه يقول هذه شعبة واحدة من شعبه فهل تحصى شعبه كلها . هيهات ان البحر لا يغرف ".(1)

خامسا : اماطة الأذى عن الطريق : وهي وان كانت أدنى مراتب الايمان من حيث ظاهر الكلام الا أنها في الحقيقة خصلة عظيمة الشأن وكأن فيها نبوءة للنبي عليه الصلاة والسلام فها نحن اليوم نرى أن المناطق التي تكثر فيها المخلفات يكثر فيها الأذى من كثرة الميكروبات الناتجة عنها ، وبالتالي كثرة الأمراض ، ولذلك جعلها النبي عليه الصلاة والسلام خصله من خصال الايمان بالله عز وجل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك صراحة بقوله (ان الله نظيف يحب النظافه) (2)

وروى ابن حيان بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له ".(3)

وروى أيضا بسنده عن أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير الا غصن شوك كان على الطريق ، كان يؤذي الناس فعزله فغفر له) (4)

---

(1) عمدة القاري جـ1 ص 129 ، 130 بتصرف .
(2) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب .
(3) أخرجه ابن حيان في صحيحه اذكر رجاء الغفران لمن نحى الأذى عن طريق المسلمين/ جـ1 ص 457 .
(4) اخرجه ابن حيان في صحيحه/ ذكر البيان بان هذا الرجل الذي نحى غصن الشوك عن الطريق لم يعمل خيرا غيره/جـ1 ص 457 ، 458 .

فهذا أدنى مراتب الايمان ، وهذه منزلتها عند الله جل وعلا ، فليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل .

وها نحن نعيش اليوم في عصر ، تنعقد فيه مؤتمرات واجتماعات عالمية على أعلى مستوى لدراسة ونظافة البيئة ، سبق الاسلام الى التنبيه الى مثل هذا منذ خمسة عشرة قرنا من الزمان ، ونحن نحتاج الى لتكثيف الجهود ، لتحقيق هذه الخصلة من خصال الاسلام ،موجهين النية في ذلك الى الله عز وجل .

وازالة الأذى عن الطريق تكون تارة على الحقيقة وذلك برفع وتنحية مما يتأذى به الانسان من حجر وشوك وردم حفرة ، مما يسهل على الانسان فعله كسبا لرضاء الله عز وجل وكما قال عليه الصلاة والسلام "كل سلامى من الناس عليه صدقه .... وفيه - وتميط الأذى عن الطريق صدقه . (١)

وتارة تكون الازالة حكمية وهى أن يترك المسلم القاء الأذى في الطريق ، وعليه أن يضعه في المكان المخصص لذلك ، وله على ذلك أجر عند عقد النية انه انما يفعل ذلك امتثالا لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

سادسا : أفكار الحديث ومايؤخذ منه :

١ - توجيه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الى التمسك بالافعال الحميدة والخصال الكريمة ، وكل ذلك كثير في الاسلام (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (٢)

٢ - أن الايمان مراتب وشعب أفضلها لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق .

٣ - ان الحياء الشرعي خصلة من خصال الايمان الشرعي ، وأن من لا حياء عنده لاخير فيه ، اذ ان الحياء كله خير .

٤ - أن الايمان يطلق في الحديث على المعنى الشامل للتصديق القلبي والنطق باللسان ، وعلى الاعمال بالجوارح .

٥ - أن اماطة الاذى عن الطريق من خصائل الاسلام .

(١) رواه البخاري في الصلح والجهاد (٢) سورة الذاريات آيه ( )

- بيان تفاضل الاسلام -

- روى الامام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

- وبسنده المتصل عن أبى الخير أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المسلمين خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده .

- وبسنده المتصل عن جابر يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

- وبسنده المتصل عن أبى موسى قال قلت يا رسول الله أى الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده . (١)

مايتعلق بالاسناد :

روى الامام مسلم فى هذا الباب عدد من الروايات فى بيان تفاضل أهل الاسلام ، وأى أموره أفضل ، ورواها عن جماعة من شيوخه .
ففى الاسناد الأول قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح بن المهاجر كلاهما عن الليث ، وقد سمع الحديث منهما مع آخرين لذلك عبر بقوله (حدثنا) .
وفى الاسناد الثانى كان شيخه ابو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح المصرى ، وأيضا سمعه مع آخرين فعبر بلفظ "حدثنا" .

---

(١) هذه الروايات أخرجها مسلم / ك الايمان / باب أفضل الاسلام / جـ٢ ـــ ٩/١٢ .

وهذان الاسنادان كل رواتهم من المصريين الأجلاء وهذا نادرا .

قال الامام النووى : وهذان الاسنادان كلهم مصريون أئمة جلة ، وهذا من عزيز الاسانيد فى مسلم بل فى غيره ، فان اتفاق جميع الرواه فى كونهم مصريين فى غاية القلة ، ويزداد قلة باعتبار الجلالة" . (١)

ويلاحظ أيضا أن الروايتين عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

وفى الاسناد الثالث كان شيخه حسن الحلوانى وعبد بن حميد جميعا عن أبى عاصم ونلاحظ دقة الامام مسلم حينما ينبه عن لفظ شيخه عبد بن حميد فيقول : قال عبد : " أنبأنا "أبو عاصم ، وهذه الرواية عن الصحابى الجليل جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وفى الاسناد الرابع : كان شيخه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى وقد أخذ هذا الحديث عنه بمفرده ، حيث قال " وحدثنى " وهذه الرواية عن الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى .

وفى رواية خامسة قال حدثينه ابراهيم بن سعيد الجوهرى بالاسناد السابقة .

وقد روى الامام البخارى الاسناد الرابع عن سعيد بن يحيى بن سعيد القرشى وهذا الاسناد كله كوفيون كما ذكر ابن حجر . (٢)

التعريف بالراوى :

أولا : عبد الله بن عمرو بن العاص : رضى الله عنهما فجلالته وفقهه وكثرة حديثه وشدة ورعه وزهادته واكثاره من الصلاة والصوم وسائر العبادات

---

(١) شرح مسلم للنووى جـ٢ صـ١١ / عمدة القارى جـ١ صـ١٣١ .
(٢) فتح البارى جـ١ صـ٦١ .

وغير ذلك من أنواع الخير فمعروفة مشهورة لا يمكن استقصاؤها فرض الله عنه (١) أسلم قبل أبيه وهاجر مع ابيه بعد اسلامه أيضا قبل فتح مكة ، وكان يكتب السنة وشهد له بذلك أبو هريرة رضى الله عنه ، كان كثير الصيام والتهجد وقراءة القرآن فكان يصوم يوما ويفطر يوم وكان يقرأ القرآن فى كل سبع ونهاه النبى عليه الصلاة والسلام عن الزيادة عن ذلك بعد أن شكاه أبوه للنبى صلى الله عليه وسلم لأخذه نفسه بالشدة . " وهذا الدين يسر ".

وكان يكتب السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم وحينما نهاه الصحابة عن ذلك عرض الأمر على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : اكتب فو الله لا يخرج منى الا حقا) .

فكان نتيجه ذلك " الصحيفة الصادقة " وثيقة فى مواجهة من ينكر تدوين السنة فى العصور الاولى من صدر الاسلام. توفى رضى الله عنه سنه (٦٥) هـ . عن اثنين وسبعين عاما .

ثانيا : جابر بن عبد الله الانصارى أبو عبد الله الصحابى الجليل قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، وقال لم أشهد بدرا ولا أحدا ، منعنى أبى قال فاما قتل عبد الله لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط . (٢)

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة ، وعنه كثير من التابعين ، وهو آخر من مات من الصحابة فى المدينة وتوفى سنه ٧٣ وقيل ٧٧ وقيل ٧٨ رضى الله تعالى عنه وأرضاه. (٣)

---

(١) شرح مسلم للنووى جـ٢ صـ ١١ / عمدة القارى جـ١ صـ ١٣١

(٢) رواه مسلم.

(٣) تهذيب التهذيب جـ٢ صـ ٤٢ .

ثالثا : أبى موسى الأشعرى : هو عبد الله بن قيس بن سليم : قيل انه قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدم المدينة مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر ، وقيل بل خرج من بلاد قومه في سفينة فالتقتهم الريح بأرض الحبشة ، فوافقوا بها جعفر بن أبى طالب ،فأقاموا عنده ورافقوه الى المدينة ، وهذا أصح ، واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن واستعمله عمر على الكوفة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة أحاديث كثيرة ، قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم " لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود " توفى بمكة وقيل بالكوفة سنه (٤٢ هـ) . (١)

معانى المفردات :

قوله (أن رجلا) لم يعرف هذا الرجل وقيل أبو ذر وقيل انه هانئ بن مرثد والد شريح سأل عن ذلك فأجيب بنحوه .

قوله (أى الاسلام خير) مبتدأ وخبر وأى ههنا للاستفهام وتأتى للشرط نحو (أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى) وموصوله (لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ) أى لننزعن الذى هو أشد . وصفة للنكرة : نحو زيد رجل اى رجل أى كامل فى صفات الرجال ، وحال للمعرفة كقولك مررت بعبد الله اى رجل ، والاستفهام نحو (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) .

واعترض على استعمالها هنا لأنها لاتدخل الا على متعدد وفى الحديث دخلت على مفرد .

والجواب : ان الكلام فيه محذوف تقديره : أى أصحاب الاسلام أفضل ويؤيد ذلك ما أتى فى الرواية بعدها : "أى المسلمين خير) وقدَّره بعضهم بخصال .

---

(١) تهذيب التهذيب جـ٥ صـ ٣٦٢

قوله (قال) الضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله (تطعم) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره أى هو أن تطعم الطعام ، فأن مصدرية والتقدير هو (إطعام الطعام)

وقوله (وتقرأ) بفتح التاء وضم الهمزة لأنه مضارع قرأ ـ وقوله (السلام) بالنصب مفعوله (على) متعلق بقوله " تقرأ " " من " موصوله و " عرفت " جملة صلتها والعائد محذوف تقديره عرفته " وقوله (ومالم تعرفه) معطوف على ماقبلـه .

وقوله (من سلم المسلمون من لسانه ويده) من اسم موصول ومابعدها صلة الموصول والجملة مقول القول والتقدير هو من سلم الى آخره فالمبتدأ محذوف تقديره (هو) لأن مقول القول يكون جملة .

وقوله (المسلم) مبتدأ خبره (من سلم المسلمون) ويجوز أن يكون " من سلم " خبر مبتدأ محذوف فالجملة خبر المبتدأ الاول والتقدير " المسلم هو من سلم " " فمن " موصولة و " سلم المسلمون " صلتها .

وقوله " من لسانه ويده " متعلق بقوله (سلم) .

وفي قوله المسلم ... الخ) ظاهرة يدل على الحصر لوقوع جزئي الجملة معرفتين .. قال العيني : ولكن هذا من قبيل قولهم زيد الرجل أى زيد الكامل في الرجولة فيكون التقدير المسلم الكامل من سلم الى آخره . وقال القاضي عياض وغيره المراد الكامل الاسلام والجامع لخصاله مالم يؤذ مسلما بقول ولافعل وهذا من جامع كلامه صلى الله عليه وسلم وفصيحه كما يقال المال الابل والناس العرب على التفضيل لا على الحصر. (1)

(1) عمدة القاري بتصرف جدا ص ١٣٨/١٢٨ .

المعنى العـام :

يبين النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ألوان من طاعة الله عز وجل التي تصل بالمسلم الى كمال الطاعة والعبودية ، ومن هذه الروايات نرى مدى حرص الصحابة رضوان الله عليهم على كل مايصل بهم الى رضـاء المولى عـز وجل ، ويرسمون لمن بعدهم نهجاً واضحاً لايحيد بهم عـن الصراط المستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض .

ففي هذا الحديث يرشد النبي عليه الصلاة والسلام الى مايكمل به الاسـلام ويكمل به المسلم ، كاطعام الطعام وفي ذلك من الانس وقوه العلاقة بين أفراد الأمة الاسلامية مافيه . وافشاء السّلام أي نشره بين المسلمين فهو دليـل الأمـان ، وهو اسم من اسماء الله عـز وجـل .

واذا كانت حرمة المسلمين فوق حرمة غيرهم ، ومنع الأذى عنهم في العقدمنه ، وهذه حكمة تخصيصهم بالذكر ـ أما المحاربون المعتدون على اسلامنا وأمتنا فهؤلاء نعد لهم ما استطاع المسلمون من قوة ـ ولكثرة مايقع الأذى باليـد وباللسان فقد خصهم النبي علـيه الصلاة والسلام بالذكر ، فالمسلم ليـس بشتام ولاسباب ولانمام ولايأتي منه الا ماكان خيرا .

وفي رواية للامام البخاري (والمهاجرُ من هجرَ مانهى الله عنه) (1) ففي هذا التزام ضمني بأوامر الله عز وجل وترك كل مانهـى عنه . ويندرج تحت هـذه العبارة أيضا ماسبق ، فقد نهى الله عز وجل عن كل مايؤذي المؤمنـين والمؤمنات (ان الذين يُؤذُونَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بغيرِ ما اكْتَسَبُوا فقد إحْتَمَلُوا بهتانًا واثمـًا عظيمـًا)

والايذاء في الآيه جاء عامة يشمل اليد واللسان وغيرهما فكل المسلم علـى المسلم حرام دمه وماله وعرضه . والله أعلـم .

---

(1) أخرجه البخاري / ك الايمان / باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده / جـ1 صـ59 .

فقه الحديث وتحليله :

لا يخفى على الفطن أن هذه الروايات لا يراد منها بيان ماهية الاسلام أو المسلم في لسان الشارع بالمعنى النظرى أو النظرى والعملى، لكن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يضع معيارا يظهر به المسلم الصادق من المنافق، فخرج مخرج التعريف للمسلم " كأنه - عليه السلام - يقول : " اذا رأيتم الرجل يتحامى أن يضار المسلمين بلسانه ويده، فاعلموا أنه مسلم، واذا رأيتموه يتحرى مضادة المسلمين من بين الناس اما بلسانه بغيبة أو نميمة أو شتم أو قذف او لمز واما بيده، بضرب أو قتل أو اغتصاب حق أو بغير ذلك من أنواع المضادة فليس من الاسلام فى شئ وان كان ممن يدعى الاسلام " (١)

الجمع بين الروايات :

يلاحظ أن السؤال فى الرواية الأولى يشابه السؤال فى بقية الروايات ولكن الاجابة مختلفة فكيف نجمع بينهما ؟ وطريقة الجمع من أوجه :

منها : أن المسئول عنه فى الرواية الاولى خصال الاسلام فقد ر ابن حجر عند قوله (أى الاسلام خير) أى خصال الاسلام - وأما فى بقية الروايات فالمقصود أى أصحاب الاسلام أفضل ولذلك قدر العلماء المحذوف بقولهم " أى ذوى الاسلام أفضل . قال ابن حجر " . فتنويع التقدير يتضمن جواب من سأل فقال السؤالان بمعنى واحد والجواب مختلف . فيقال له اذا لاحظت هذين التقديرين - ذوى - وخصال - بان الفرق ، ويمكن التوفيق بأنهما مثلا زمان ، اذا لا طعام

(١) راجع المختار من كنوز السنة ص ٤٦٤ .

مستلزم لسلامة اليد ، والسلام لسلامة اللسان قاله الكرمانــــى)
وكأنه أراد فى الغالـب.
ومنها : اختلاف حال السائلين أو السامعين فيمكن أن يراد فى الجواب الاول
ترغيب من رجى فيه النفع العام بالفعل والقول فأرشد الى ذلك وفـى
الثانى تحذير من خشى منه الايذاء بيدٍ أولسان فأرشد الى الكف.(١)

لم خص الاطعام والسلام بالذكـر ؟

وخص هاتين الخصلتين بالذكر لضرورة الحاجه اليهما ، لما كانـوا
فيه من الجهد ، ولمصلحة المؤلفة قلوبهم ، ويدل على ذلك أنه صلى الله
عليه وسلم حث عليهما أول مادخل المدينة كما رواه الترمذى مصححا من
حديث عبد الله بن سلام قال : " أول ماقدم رسول الله صلى الله عليــه
وسلم المدينة انجفل الناس اليه فكنت ممن جاء، فلما تأملت وجهه واستبنته
عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب قال وكان أول ماسمعت من كلامه أن قـال :
أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيــام
تدخلوا الجنة بســلام ".
وقال الخطابى : جعل صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام الذى هو قـوام
الابدان ثم جعل خير الأقوال فى البر والاكرام افشاء السلام الذى يعـم
ولايخص من عرف ومن لم يعرف حتى يكون خالصا لله تعالى بريئا من حـظ
النفس والتصنع لأنه شعار الاسلام ، فحق كل مسلم فيه شائع ورد فى حديث
"أن السلام فى آخر الزمان للمعرفة يكون " . (٢)

(١) فتح البارى جـ١ صـ٦٢/ شرح مسلم للنووى جـ٢ صـ١٠/ ومن الاجابـة
أيضا : ومنها : أن السائل الأول يسأل عن خير الأفعال والثانى عن
أفضل التروك . أو أن الأول يسأل عما يجلب المسار والثانى عما يدفـع
المضار . راجع عمدة القارئ جـ١ صـ١٣٩
(٢) المرجع السابق جـ١ صـ١٣٩ بتصـرف .

لم قال : تطعم ولم يقل تؤكل ونحـــوه ؟

الجواب أنه خص الاطعام دون " تؤكل " ونحوه من الالفاظ الدالة عليـــه ، لأن لفظ الاطعام عام يشمل المأكل والمشرب ودليله قوله تعالى (ومن لـــم يطعمه فانه منى) ، وأيضا فالعموم شامل لاحوال متعددة ، كالضيافـــة والولائم واطعام الفقراء ونحوهـــم .

هل يحكم على من آذى مسلما بيده ، أو لسانه بالخروج عن الملة ؟

قال الخطابي : .. وليس ذلك على معنى ان من لم يسلم الناس منه ممـــن دخل في عقد الاسلام فليس ذلك بمسلم وكان ذلك خارجا عن الملة أيضا انما هو كقولك الناس العرب تريد أن أفضل الناس العرب فههنـــا المراد أفضـــل المسلمين من جمع الى أداء حقوق الله تعالى اداء حقوق المسلمين والكـــف عن أعراضهم ، ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم قلت وكذا اثبات اسم الشيء على الشيء على معنى اثبات الكمال مستفيض فـــي كلامهم .(١) وان كان لاينفعه عمله في الآخرة لحديث النبي صلى اللـــه عليه وسلم " أتدرون من المفلس " فهو في خطر عظيم .

وعلى تقدير أن المراد المسلم الكامل فهـــل يلزم من ذلك أن يكون من اتصف بهذا خاصة كامـــلا ؟

الجواب : أن الملازمة ممنوعة ، فيكون المراد من الكمال من اتصف بهـــذه الصفات مع مراعاة الباقي مما أمر الله جل وعلا به أو رسوله صلى الله عليه وسلـــم فعلا وتركا . أو يحتمل أن يكون المراد المبالغة في أسلوب النهي عن هاتـــين الخصلتـــين .

---

(١) المرجع السابـــق جـ١ صـــ ١٣٢ بتصـــرف .

س : لم خص اللسان واليد بالذكر من بين سائر الجوارح ؟

نقول : أنه خص اللسان واليد بالذكر لأن الايذاء بهما اكثر من غيرهما فاليد بها الأخذ والمنع والبطش والوصل والقطع والاعطاء وغالب الأعمال انما تقع بها أما اللسان فالايذاء به اكثر من اليد وأسهل وقوعا منه "وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا حصائد ألسنتهم" ولذلك قدم على اليد فهو أشد نكاية وخطرا . ولأن اللسان قد يتعرض للأقوام السابقين والموجودين بالقدح وغيره .

وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم باللسان دون القول الذى لايكون الا باللسان ليشمل الحكم والنمح اخراج اللسان على وجه الاستهزاء والسخرية فهو أعم من القول .

وقد خص المسلمون بالذكر هنا على وجه التغليب وأن أهل الكفر بصدد قتالهم نعم أهل المعاهدة قد يخرجون من ذلك بنص آخر . فان كف الأذى عن المسلم أشد تأكيدا لأصل الاسلام . والله أعلم .

أفكار الحديث ومايؤخذ منه :

١ـ الحث على اطعام الطعام والجود والعناية بنفع المسلمين والكف عما يؤذيهم بقول أو عمل مباشرا وغير مباشر والامساك عن احتقارهم لكونهم أدنى منك مالا أو علما أو قوة ونحو ذلك .

٢ ـ الحث على تألف القلوب المسلمة واجتماع كلمة المسلمين وتوادهم والاقدام على كل مايؤدى الى ذلك والالفة بينهم .

٣ ـ بذل السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، واخلاص العمل فيه لله تعالى وحده ، لانفاقا ولاسمعه ، وفى الحديث استعمال خلق التواضع وافشاء السلام الذى هو شعار الامة ، فلايسلم ابتداء على الكافر . (٢)

٤ ـ وفى الحديث الحث على ترك أذى المسلم بكل مايؤذى وترك المعاصى واجتناب النواهى .

. . . .

موعظة نبوية جامعة

عنْ أبى عمْرو ، وقيل أبى عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عبدالله ـ رضى اللهُ عَنهُ ـ قالَ « قُلتُ : يَا رَسُولَ الله ، قُلْ لي فى الإسْلاَم قولاً لا أسْألُ عَنهُ أحَداً غَيْرَكَ ، قالَ : قُلْ :آمَنْتُ بِاللهِ ثُمّ إسْتَقِمْ رواه مُسلم .

التعريف بالرواى :

هو أبى عمرة سفيان بن عبدالله بن أبى ربيعه الثقفى معدود من أهل الطائف وكان عاملا لعمر عليها حين عزله عنه عثمان ابن أبى العاصى ونقله إلى البحرين روى له مسلم هذا الحديث والترمذى والنسائى وابن ماجه . ومروياته خمسة أحاديث .

معانى المفردات :

(قل لى فى الإسلام) أى فى دينه وشريعته . وفى الكلام مضاف محذوف أى فى أمور الإسلام تعاليمه .

(الإستقامة) فى اللغة ضد الإعوجاج أى الإستواء فى جهة الإنتصاب « والإستقامة الحسية هى انتصاب الجسم واعتداله وليست مرادة هنا إنما المراد الإستقامة المعنوية بمعنى عدم الميل والإنحراف عن حدود الشرع وصراطه [1] أو هى ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات .

(ثم استقم) ثم للترتيب والتراخى ، أما التراخى الزمنى فيمكن توجيهه بأن الإستقامة الشرعية المعتد بها لا تكون ولا تقبل إلا بعد الإيمان وأن التراخى فى كل شىء بحسبه .

---

(١) فتح المنعم ص٢٣١

وأما التراخي الرتبي ـ وهو هنا أحسن ـ فباعتبار أن الإستقامة أعظم وأصعب من الإقرار ، وبها تتحقق ثمرة الإيمان العظمى وترتفع رتبته ودرجته [1].

المعنى العام :

هذا حديث من جوامع كلم النبي ﷺ : فلقد حرص سفيان الثقفي الصحابة الجليل أن يسأل سؤالا عن أمور الإسلام قليل اللفظ كثير المعنى محصور الطلب منتشر المطلوب .

فقال حدثني يا رسول الله عن أمور الإسلام وواجباته ومحرماته وشرائعه وحدوده حديثا وافيا كافيا يغنيني عن أن أسأل عنها بعد حديثك أحداً غيرك .

وأجابه النبي عليه الصلاة والسلام بكلمة جامعة شاملة للعلم والعمل وكل ما يتعلق بالمأمورات والمنهيات . ومن ثبت على ذلك أمده الله بالعون في الدنيا والآخرة كما بينه رب العزة في قوله : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم إستقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ .

قال سفيان : يا رسول الله . ماأخوف ما أخاف على نفسي ، قال ﷺ : هذا وأمسك بلسانه . وصدق رسول الله ﷺ فإنه لا يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم [2].

---

(1) المرجع السابق .

(2) المرجع السابق ص٢٣٠ ـ ورواه الترمذي بلفظ مختلف .

فقه الحديث وتحليله :

قوله : ﴿ قل آمنت بالله ﴾ ظاهر الحديث أن قول آمنت بالله كاف وإن لم يصاحبه تصديق وإذعان وهذا غير مراد لأن الشرع لا يطلب قولا كاذبا بعيداً عن الواقع وإنما يطلب القول الصادق المطابق للواقع .

وإنما آثر طلب القول على طلب التصديق لأن السؤال عن الإسلام والإقرار أساسه كما ورد فى حديث جبريل . (ما الإسلام وما الإيمان وما الإحسان) ومن الأشياء اللازمة للإيمان والإقرار بالشهادة طلب الإيمان برسول الله . (شهادة أن محمدا رسول الله) ، لأن الشرع لا يقبل واحدة منهما دون الأخرى ، فإذا طلب إحداهما كان القصد مع الأخرى .

والمقصود الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبكل ما جاء به ﷺ .

قوله (ثم استقم) والإستقامة كلمة جامعة يندرج تحتها كل شرائع الإسلام والإلتزام بهذه الشرائع إلتزاما تاما لا ينفك عنه المؤمن ما دام قادرا عليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ فاستقم كما امرت ﴾ ما نزل على رسول الله ﷺ فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية .

وأخرج ابن أبى حاتم لما نزلت هذه الاية شمر رسول الله ﷺ فما رؤى ضاحكا . وقال بعض العلماء أن الإستقامة هى الثبات على التوحيد فقد جمعَ النبى ﷺ للسائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الإسلام لأنه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصلة بالجملة الأولى .

والطاعة بجميع أنواعها فى ضمن الجملة الثانية إذ الإستقامة كما سبق إمتثال كل مأمور وإجتناب كل منهى وأعظم ما يراعى

إستقامته بعد القلب اللسان لأنه ترجمان القلب المعبر عنه .

روى الإمام أحمد فى مسنده لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .

وعن أبى سعيد الخدرى مرفوعا : إذا أصبح إبن آدم قالت الأعضاء للسان اتق الله فينا فإنك إن إستقمت إستقمنا وإن إعوججت إعوججنا[1] .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ الثبات على الإيمان وما يستلزم ذلك من العلم والعمل .

٢ ـ الإستقامة على شرع الله بملازمة أوامره وترك ما نهى عنه .

٣ ـ الإيمان بالله يسبق الطاعات لأنه أساس لها. وبه تصح الطاعات وبه تدوم وتستقيم .

٤ ـ الأعمال الصالحة تحافظ على الإيمان وتزيده ثباتا وقوه .

٥ ـ ضرورة الإيمان والعمل الصالح للإستقامة والنجاة فى الآخرة .

(١) الفتوحات الوهبية ص١٩٨ . وراجع أيضا جامع العلوم والحكم ص٢٢١ . دليل الفالحين ط١ ص٢٨٢ .

وزن الأعمال يوم القيامة

عَنْ أَبى مَالك الْحَارث بْن عاصم الأشعرىَ رَضِىَ اللّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهُ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان ، والْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله ، والْحَمْدُ لله تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاء والأرْضِ ، والصَّلاةُ نُورٌ ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، والْقُرآنُ حجَّةٌ لكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائعٌ نَفْسَهَ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » . رواه مسلم .

التعريف بالرواى :

أبى مالك الحارث بن عاصم الاشعرى نسبة إلى الأشعر قبيلة مشهورة باليمن . قدم أبو مالك مع الأشعرين على النبى ﷺ ، مات فى خلافة عمر بالطاعون وطعن هو ومعاذ وأبو عبيدة وشراحبيل بن عتبة فى يوم أحد[1]. والصحيح أنه غير أبى موسى الأشعرى المشهور ، لأن ذاك معروف بكنيته وهذا معروف باسمه سكن مصر ومات سنة ثمان عشر [2].

معانى المفردات :

(الطهور) فى اللغة النظافة حسية أو معنوية وشرعا : فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد [3].

(والطهور) بالفتح اسم للماء الذى يتطهر به . وبالضم للفعل وهو المراد هنا .

---

(١) دليل الفالحين ط ص ١٣٩ .
(٢) شرح متن الأربعين النووية ص٨٢ .
(٣) دليل الفالحين ط١ ص١٤٠ .

(شطر الإيمان) أى نصف وشطر الإيمان أى ينتهي تحذف تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان ، فالمراد بالإيمان حقيقته .

(الحمد لله) مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الإختيارى على وجه التعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة أولا ، وسواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل - وأما الحمد عرفا فهو فعل ينبى عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل قولا باللسان أو إعتقاداً بالقلب أو عملا وخدمة بالأركان والجوارح . والحمد إصطلاحا : هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله من الطاعات .

(لله) الله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد

(سبحان الله) قال الزمخشرى : هو علم على التسبيح وانتصب بفعل مضمر أى أسبحه ثم نزل منزلته تفعل فسد مسده [1].

(والحمد لله) معطوف على ما قبله.

(الصلاة) لغة الدعاء وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم . وقوله (الصلاة نور) فى هذه الجملة ثلاثة أوجه :

الأول : جعل الصلاة نفس النور مبالغة فى التشبيه من حيث أنها تمنع عن المعاصى وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدى إلى الصواب كما أن النور يستضاء به .

الثاني : المعنى الصلاة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبرانى عن

---

(١) دليل الفالحين ط١ ص١٤٠ .

عباده بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال « إذا حافظ العبد على صلاته فأتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى الله تعالى لتشفع لصاحبها » .

الثالث : المعنى أنها منورة لوجه صاحبها وعن النبى ﷺ أنه قال : « بشر المشائين فى ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » وفى الحديث أيضا تبعث أمتى يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء) والغرة والتحجيل نور فى الوجه والأقدام [1].

(الصدقة) أى الزكاه أو المراد الواجب والمندوب وهو أتم .

(برهان) البرهان فى اللغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس واصطلاحا الدليل والمرشد .

(الصبر) لغة الحبس وشرعا حبس النفس على ما تكره وقيل الثبات على الكتاب والسنه (ضياء) الضياء هوالنور وقيل فيه معنى زائد [2].

(القرآن) هو كلام الله المنزل على .. له ﷺ المتعبد بتلاوته المتحدى باقصر سورة منه .

(يغدوا) يقال غدا يغدو إذا بكر أى كل إنسان يصبح فى أول النهار وساعيا فى تحصيل أغراضه . والغدو سير أول النهار ضد الرواح .

(موبقها) أى مهلكوها .

---

(١) الشروحات الوهبيه بتصرف ص٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص٢٠٥ .

المعنى العام :

يحرص النبي ﷺ على ما يقرب المسلم من ربه عز وجل فهذا حديث يشتمل على قواعد الدين ، وبيان لعظم ثواب الدعاء وما يحب أن يذكر به عز وجل .

فذكر النبي ﷺ الطهور وجعله شطر الإيمان وكم ورد في الطهارة من فضائل كثيرة روى الإمام أحمد بسنده والطبراني قوله ﷺ « إذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قعد مغفوراً له » وكثير من نحو هذا . والطهور أيضا معنوى بالبعد عما يبغضه الله تعالى كما حث على التكثير من الدعاء بحمد الله تعالى وسبحان الله وحث على الصلاة التي هي عماد الدين وصلة العبد بربه ، والصدقة برهان على صدق إيمان المسلم وفيها تكافل المجتمع الإسلامي وتوثيق عرى المودة بين المسلمين .

كما حث النبي عليه الصلاة والسلام على الصبر في كل ما يعترض الإنسان في دنياه فالصبر على العباده والصبر على ما يبتلى به الإنسان فربما يكون إختبارا من الله عز وجل لبيان قوة إيمان المسلم فالسخط وبال عليه . أما القرآن فهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي وفيه بناء الإسلام وأركانه وعمده فاتباعه واجب المسلم في كل صغيرة وكبيرة ملتمسا ما يغمض عليه منه في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو حجة في القبر وعند الميزان وعند الصراط .

ثم يبين ﷺ أحوال الناس فمنهم من يهتم بالعمل بما يرضى الله عز وجل فيعتق نفسه بذلك من عذابه عز وجل ومنهم من يفرط في ذلك فيستحق الإهلاك والعذاب الأليم . قال تعالى ﴿ إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ الآيه .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (الطهور شطر الإيمان) الصحيح الذى عليه أكثر العلماء أن المراد بالطهور هاهنا التطهر بالماء من الأحداث لذلك بدأ الإمام مسلم بتخريجه فى أبواب الوضوء . وقال البعض أن المراد بها تطهير النفس بترك المعاصى والأول كما سبق هو الأرجح [1].

وفى معنى قوله « الطهور شطر الإيمان) أقوال والمختار منها ما روى عن اسحاق ابن راهويه عن يحيى بن آدم قال : المراد بالإيمان هاهنا الصلاة كما فى قوله عز وجل ـ وما كان الله ليضيع إيمانكم ـ والمراد صلاتكم إلى بيت المقدس . فإذا كان المراد بالإيمان الصلاة فالصلاة لا تقبل إلا بطهور فصار الطهور شطر الإيمان بهذا الإعتبار [2].

وقد أطلق الطهور فى القرآن على معانى :

الأول : الطهور من الشرك كقوله تعالى (وطهر بيتى للطائفين) أى من الأوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله .

الثانى : طهور القلب من الريبة كقوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ أى من الريبة .

الثالث : الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى فى هود: ﴿ هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ﴾ يعنى أحل .

الرابع : الطهور من الذنب كقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ أى من الذنب .

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم ص٢٣٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٣٢ . دليل الفالحين ط١ ص١٤٠ .

من الحيض كقوله تعالى ﴿ لهم فيها أزواج مطهرة ﴾ أي من الحيض .

السادس : الطهور من جميع الأحداث كقوله تعالى : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ يعني من الأحداث والخبائث

السابع : الإغتسال كقوله تعالى ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن ﴾ أي إغتسلن ، ونحو ذلك من المعاني .

قوله (والحمد لله تملأ الميزان) أي ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والإذعان له يملأ كفة الميزان . والمراد بالميزان حقيقته أي ما توزن به الأعمال إما بأن تجسم أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة . وقيل أنه ضرب مثلا وأن المعنى لو كان الحمد جسما لملأ الميزان . والتحميد إثبات المحامد كلها لله عز وجل .

قال بعض الشافعية : أفضل المحامد أن يقال : الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده .

قوله : ﴿ وسبحان الله والحمد تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ﴾ يتضمن هذا القول إثبات وحدانية الله تعالى وجميع صفات الجلال والكمال له وتفي جميع النقائص عنه ، فكأن قائلها شاهد لله بذلك ، وعلى جميع العالم بأنه مربوب مخلوق في قهره وتدبيره لا منعم عليه ولا قادر ولا مالك بالحقيقة سواه ، فله من الأجر بقدر ما شهد به من الحق فملأ أجرهما ما بين السموات والأرض .

وجمع السموات وأفرد الأرض وذلك لأن طباق الأرض متلاصقة لاخلاء بينها بخلاف طبقات السموات .

- قوله (والصلاة نور) أي ثوابها نور روى أبو داود والترمذي بسندهما مرفوعا (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

فالصلاة للمؤمنين في الدنيا نور في قلوبهم وبصائرهم تشرق بها قلوبهم وتستنير بصائرهم ولهذا كانت قرة عين المتقين (وجعلت قرة عيني في الصلاة) وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة وعلى الصراط . والمقصود من الصلاة الجامعة لشرائطها

- قوله (والصدقة برهان) أي دليل على صحة إيمان صاحبها وسميت صدقة لأنها دليل على صدق إيمانه وذلك أن المنافق قد يصلي ولا تسهل عليه الصدقة غالبا .

وقيل أيضا أنها دليل على محبة الله تعالى ورسوله فإنه آثر رضاهما على المال الذي جبل على حبه . وقيل برهان له يوم القيامة إذا سئل عن ماله فيم أنفقه ؟ يقول تصدقت به .

ومنه سميت الحجة الواضحة برهانا لوضوح دلالتها .

- قوله (والصبر ضياء) والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس بخلاف القمر فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق قال تعالى ﴿ الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ﴾ . وهذا المعنى يضاف لما ذكر في معاني المفردات .

ولما كان الصبر شاقا على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء . والصبر المحمود أنواع : صبر على طاعة الله عز وجل ومنه صبر عن معاصي الله عز وجل ومنه

صبر على أقدار الله عز وجل [1].

ـ قوله (والقرآن حجة لك أو عليك) فالقرآن حجة للإنسان إن امتثل أوامره واجتنب نواهيه فيحتج به فى المواقف التى يسأل فيها عنه كمسائل الملكين فى القبر وكالمسألة عند الميزان وعند الصراط .

ويكون القرآن حجة عليك : إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه وقيل حجة لك فى الدنيا وعلى المطالب الشرعية والأحكام أو حجة عليك لخصمك المحق ، فالمرجع إليه عند التنازع . وهو دال على إتباع السنه فالقرآن مرجع جميع الأحكام لكن بواسطة تارة كالقياس والإجتهاد وبغيرها أخرى .

ـ قوله ﴿ كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ﴾ لما بين النبى ﷺ القربات السابقة ورغب فيها وكان الإلتزام بها يقتضى سعيا أتبع ذلك بالحث على إدراك ذلك وتربية النفس على التمسك به فلابد للإنسان من عمل يغدوا له وأفضل هذه الأعمال هو إعتاق الإنسان من عذاب الله تعالى ، وهناك من الناس من يغدوا بائعا نفسه لغير ربه إما لهواه أو للشيطان فهو بذلك مهلك نفسه بالطرد والإبعاد عن ساحة رضى الله عز وجل .

فمن إشترى نفسه بالأعمال الصالحة أعتقها ومن باعها فى الأعمال السيئة أوبقها قال تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ وجوب التطهير والتنزيه عن كل منهى عنه والعناية بالطهارة الباطنية كالظاهرية .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٣٩ .

٢ ـ أن الأعمال توزن يوم القيامة وثواب الحمد لله يملأ الميزان .

٣ ـ سبحان الله والحمد لله تملأن الميزان أو تملأ ما بين السموات والأرض .

٤ ـ الصلاة نور لصاحبها في الدنيا والآخرة والصدقة برهان على صدق الإيمان .

٥ ـ الصبر خير وأن الفرج يتبعه .

٦ ـ القرآن حجة لمن عمل به وحجة على من لم يعمل به وشافع لمن إلتزم به يوم القيامة .

٧ ـ الناس قسمان منهم من يعمل صالحا فيدخل الجنة ومنهم من اتبع هواه فمصيره الهلاك قال تعالى : ﴿ إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ .

ضرورة شكر الله على الأعضاء

عَنْ أبى هريرة ـ رَضِيَ اللّهُ عنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : كُلُّ سُلامَى منَ النّاس عَلَيه صَدَقة ، كُلُّ يَوْم تَطلَعُ فِيهِ الشَّمْسُ ، تَعْدلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَة ، وتُعينُ الرجُلَ في دابّته فتَحْملهُ عَليْهَا أو تَرفَعُ لَهُ عَلَيْهاَ مَتاعَهَ صَدَقَةٌ والكَلمةُ الطيِّبةُ صَدَقَةٌ ، وبِكُلِّ خَطوة تَمشِيهَا إلى الصَّلاة صَدَقَة ، وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقةٌ) متفق عليه .

التعريف بالرواى :

أبو هريرة : عبدالرحمن بن صخر الدوسى الصحابى الجليل وقد كناه الرسول ﷺ بأبى هريره لهرة كانت تلازمه ، أسلم رضى الله عنه فى السنة السابعة من الهجرة وشهد الكثير من غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام وكان رضى الله عنه دائم الملازمة للنبى عليه الصلاة والسلام ، فرجع عليه ذلك بخير كثير إذ أنه حفظ الكثير من السنة .

يقول أبو هريرة حضرت مجلساً ـ من مجالس النبى ﷺ ـ فقال من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ، ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ؟ فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلى فوالذى نفسى بيده ما نسيت منه شيئاً .. ،

وكان رضى الله عنه من حفاظ الصحابة وعلمائهم الفضلاء . وحينما اعترض عليه بعض الصحابة لكثرة روايته عن النبى ﷺ قال لهم فما بال أبا هريرة إنه كان يتبع النبى على ملىء بطنه ، وإخوانى من المهاجرين والأنصار يشغلهم الصفق فى الأسواق ورعاية أموالهم

ومن أهم ما أثر عن أبى هريرة هو الصحيفة التى أملاها على تلميذه همام ابن منبه والتى تعتبر من الآثار التى تدل على كتابة

الحديث في القرن الأول أي من عصر الصحابة

سكن رضى الله عنه المدينة منذ أسلم ومازال بها إلى أن توفى في سنة سبع وخمسين من الهجرة ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه .

معانى المفردات :

(كل سلامى) سُلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الألف والسلامى قيل إنها كل عظم مجوف صغير ، وواحده وجمعه سواء وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء .

(من الناس) أى من كل واحد من الناس ، وكل سلامى مبتدأ ومن الناس صفته (وعليه صدقة) الجملة خبر ، والراجع إلى المبتدأ الضمير المجرور فى الخبر (وعليه) الضمير فيها مذكر لأنه راجع إلى العظم والمفصل .

(كل يوم) منصوب على الظرفيه لإضافته للظرف والمراد باليوم هنا ما يقابل الليل ويؤيد ذلك قوله (تطلع فيه الشمس) . والمقصود إستيقاظه على الهيئة التى تتم بها منافعه وأفعاله ، فالصدقة فى مقابل ما فى تلك السلامى من النعم .

(تعدل) أى أن عدل لأنه فى محل رفع مبتدأ وخبره (صدقة) فحذفت أن فارتفع الفعل أو أنه أوقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن «أن » .

(بين الإثنين) المتحاكمين أو المتخاصمين أو المتهاجرين .

(الرجل فى دابته) وفى معناها السفينة والسيارة وغيرهما ، لأن الدابة يطلق أحيانا على كل ما يدب على وجه الأرض .

قوله (فيحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه) المتاع ما يتبلغ

به المسافر .

(والكلمة الطيبة) نحو الثناء بحق وتشميت عاطس وشفاعة عند حاكم .

قوله (وبكل خطوة) بفتح الخاء المرة الواحدة من المشى ، وأما بالضم فما بين القدمين وهو مبتدأ والباء زائدة .

وقوله (تميط) بضم أوله وفتحه أى تنحى وتذيل ، يقال ماط الشيء وأماطه يعنى أزاله حقيقة أو حكما بأن يترك إلقاءه فى الطريق . و (الأذى) ما يؤذى المارة كقذر وشوك ونحوه .

المعنى العام :

هذا حديث عظيم يشتمل على عدة أمور تقوى الرباط بين العبد وربه والرباط بين المسلمين بعضهم مع بعض . فمجموع ماذكر فى الحديث إذا نوى الإنسان بها رضا الله عز وجل كان مأجورا ، وفى الوقت نفسه تقوية لعلاقة المسلمين بعضهم ببعض وترابط لكيان المجتمع الإسلامى ، والعدل من الحاكم فى حكمه . ومن المسلم صلحه بين متخاصمين ، وإعانة المسلم الضعيف لتحمله على دابته صدقة ، والخطوات إلى المساجد صدقات ، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين فيه أجر وثواب من عند الله تعالى .

فقه الحديث وتحليله :

ورد فى صحيح مسلم أن المفاصل والأعضاء وهى ثلثمائة وستون مفصلاً وتركيب هذه الأعضاء وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده ، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته إذ لو غير واحدا منها عما هو عليه لاختل نظمه

وتعطلت أحواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كمالو قصر الطويل أو طال القصير أو رق الغليظ أو غلظ الرقيق وحصت السلامى بالذكر لمافى التصرف بها من دقائق الصنائع التى إختص بها الإسنان وتحيرت فيها الأفهام ولذا قال تعالى : ﴿ بلى قادرين على أن تسوى بنانه ﴾ أى أن نجعل بأصابعه يديه ورجليه مستوية شيئاً واحدا مثل كف البعير ، وحافر الحمار ، فلا يمكن أن يعمل بها شيئاً ، مما يعمل بأصابعها المفرقة ذات المفاصل من فنون الأعمال صغيرها وكبيرها ، ولهذا السر غلب الصغار من العظام على الكبار وأيضا فالصدقة ترفع البلاء، فالقيام بها عن أعضائك يرجى إندفاع البلاء عنها .

وقوله (كل يوم) اليوم مرادا به هنا ما يقابل الليل أما بصفة عامة فله إطلاقات :

فقد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الأيام الكثيرة كما يقال يوم صفين وهو مدة أيام . ويعبر به عن مطلق الزمان قليلاً كان أو كثيراً . ليلاً كان أو نهاراً كما فى قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ وقوله ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ وقوله ﴿ يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ﴾ .

ويعبر به عن الدولة ومنه قال تعالى ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ويعبر به عن مقابل الليل قال تعالى ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ .

ولما كان الأخير هو المراد بينه بقوله « تطلع فيه الشمس » .

(والصدقة) لما كان المتبادر منها صدقة المال بينها بما يأتى دلالته على أن الصدقة لا تنحصر فى المال . فقال (تعدل) أى تصلح إذا لم تكن حاكما أما عدل الحاكم ففى الحكم (بين الإثنين)

أى المتحاكمين أو المتخاصمين أو المتهاجرين هذا لفظ مسلم أما البخارى فلفظه (بين الناس) .

روى الترمذى بسنده عن النبى أنه قال : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين » .

وقوله (صدقة) فهذه الصدقة مقصود بها الإثنين فهى صدقة عليهما لوقايتهما ما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال ومن ثم عظم فضل الصلح حتى جاز وقوع الكذب فيه مبالغة فى وقوع الألفة حتى لا تدوم العدواة بين الناس .

وقوله (وتعين الرجل فى دابته فتحمل عليها أو ترفع له متاعه صدقه) .

منك عليه و « أو » هنا إما شك من الرواى أو تنويع . وهذا المعنى ظاهر الفضل ولقد جاء فى الأثر « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » وقوله ﷺ « من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

قوله (والكلمة الطيبة صدقة) كذكر ودعاء للنفس وللغير وثناء بحق وسلام عليه ورده ، وتشميت عاطس ، وشفاعة عند حاكم ونصح وإرشارد على الطريق . نحو السلام عليكم ، حياك الله ، وإنك لمحسن ، وأنت رجل مبارك ، وقد أحسنت جوارنا ونحو ذلك ، لأنه مما يسر السامع ويؤلف القلوب ، وهذه الصدقة راجعة للإنسان نفسه لما فيه من سرور السامع وإجتماع القلوب على الود والمحبة .

وقوله (وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة) يقول عليه السلام « بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »

ويقول عليه السلام « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالصلاح » فهذا فضل المشى إلى المساجد ، ولإرادة الثواب كان من يسكن قريبا من المسجد كان يقارب بين أقدامه فلا يزيد فى خطواته حتى ينال الكثير من الأجر بكثرة الخطوات ولكن ذلك لا يتساوى مع من هم يقيمون فى ديار بعيدا عن المساجد ويحافظون على الصلاة فيها فإنه ينالهم التعب والمشقة فيكونون أكثر أجر وثواب .

ويلحق بذلك الإعتكاف والطواف وزيارة المريض ونحو ذلك من وجوه الطاعات .

قوله (وتميط الأذى عن الطريق صدقة) المراد بالأذى ما يؤذى المارة كقذر وشوك وحجر ، وحيوان مخوف ، ودعم جدار مائل لأنه نفع عام وفى بعض طرق مسلم (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى ، لأن الصلاة عمل بجميع البدن فتتحرك المفاصل كلها فيه بالعبادة ، فإذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفة ، وأدى شكر نعمته . والله أعلم .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ حث النبى ﷺ على إكتساب ما يمكن من الأجر وقد جاء فى الأثر (إن الله ـ عز وجل ـ ليؤجر فى كل شئ) .

٢ ـ أن المسلم إذا علم بنزاع بين مسلمين فاليبذل غاية جهده فى إقامة الصلح بينهما وإصلاح ذات البين .

٣ ـ إن فى إعانة الرجل أخاه المسلم على ركوب دابته ، أو مساعدته على حمل متاعه عليها أجر وثواب من عند الله عز وجل وأداء

على حمل متاعه عليها أجر وثواب من عند الله عز وجل وآداء لشكره على سلامة أعضاءه .

٤ ـ مزيد الحث على عمارة المسجد بحضور الجماعات . إذ لو صلى في بيته منع فضل ذلك قال تعالى ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ .

٥ ـ أن إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان .

البر حسن الخلق

عَن النواس بْنِ سَمْعَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهما ـ عَن النبي ﷺ قَالَ :
« الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وكرِهْتَ أَنْ يَطّلعَ عَلَيْه النَّاسُ » .

التعريف بالراوى :

هو النواس بن سمعان بن خالد العامرى وهو من أهل الصفة ووقع فى مسلم أنه أنصارى وحمل على أنه حليف لهم قال أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعنى من الهجرة أى العودة إلى الوطن إلا الأسئلة التى ترد على المصطفى ﷺ من بعض أصحابه لكنه أحب أن يتفقه فى الدين تلك المدة بسماع تلك الإسئلة التى ترد عليه ﷺ وأجوبتها ، روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة .

معانى المفردات :

(البر) بكسر الموحد اسم جامع للخير وس فعل مرضى والفعل منه بَرّ يبَرّ على فعل يفعل كعلم يعلم :

(حسن الخلق) بضم اللام وسكونها أى التخلق مع الخَلْقِ .

(الإثم) يطلق ويراد به الذنب بسائر أنواعه وهو المراد هنا ، ويطلق ويراد به خصوص الخمر .

(ما حاك) بتخفيف الكاف من خاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف أى أثر . وفى بعض النسخ ما حك بتشديد الكاف وفى بعضهم ما حاك من المحاكة فى النفس وفى رواية فى

نفسك وفى رواية أخرى فى صدرك . والمعنى أثر فى النفس ، اضطرابا وقلقا فلم ينشرح له ولم يطمئن إليه .

(وكرهت أن يطلع على الناس) المراد بالناس وجوههم وأماثلهم لاورعاعهم .

المعنى العام :

هذا الحديث من جوامع كلم الرسول ﷺ فألفاظه قليلة ومعانيه جمة غفيرة . فقوله البر حسن الخلق وهذا ليس قاصرا على شىء واحد بل إن طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل القرى وأن يحب للناس ما يحبه لنفسه من البر أى حسن الخلق ومنه أيضا الرفق فى المجادلة والعدل فى الحكم والإحسان فى السر والإيثار فى العسر وفى الحديث « إن الله كريم يحب مكارم الأخلاق » .

وفى بقية الحديث ميزان دقيق وفى غاية الرقة وهو لبيان الحكم على الإثم وتمييزه عن غيره وذلك لدى المؤمنين الصادقين أولوا الأحلام والعقول الناضجة فالنفس لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ، ولكن غلبت عليها الشهوة والهوى حتى أوجبت لها الأقدام على ما يضرها ، والإنسان يحب المدح والثناء عليه حتى على ما لم يفعل أحيانا ، فبكراهتها إطلاع الناس على فعلها يعلم أنه شر

فقه الحديث وتحليله :

قوله (البر حسن الخلق) فالبر اسم جامع لمعانى الخير وهو فى تزكية النفس كالبر فى تغذية الأبدان ، فهو طلاقة الوجه وبذل الندى وقلة الغضب وقال بعضهم أنه الأتصاف فى المعاملة والرفق فى المجادلة والعدل فى الأحكام والبذل والإحسان فى اليسر والإيثار فى العسر ونحو ذلك من الصفات الحميدة ، وضده الجور والإثم ولذلك

قابله به .

والحصر فى قوله (البر حسن الخلق) أى معظمه فالحصر هنا مجازى « كالحج عرفه » « والدين النصيحة » . وإن أريد بحسن الخلق التخلق بالأخلاق الشريفة والتأدب بآداب الله التى شرعها لعباده من إمتثال أمره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقياً .

ويطلق البر فى مقابلة العقوق فيكون عبارة عن الإحسان كما أن العقوق عبارة عن الإساءة . ويأتى البر بمعنى الجنة قال تعالى : ﴿ لن تنالوا البر ﴾ أى الجنة . وبمعنى الصدق نحو بر فى يمينه أى صدق فيها وبمعنى القبول ، نحو بر الله حجك أى قبله .

ويأتى « البر » بمعنى الطاعة قال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم والآخر ... ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما « الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد ، والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

- والإثم ما حاك فى صدرك (نفسك) . (وكرهت أن يطلع عليه الناس) لأن النفس كما سبق بطبعها تحب إطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك ، إذ لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد أو تذم عاقبته ولكن غلبت عليهما الشهوة حتى أوجبت لها الأقدام على ما يضرها ، كما غلبت على الزاني والسارق مثلا فأوجب لهما الحد .

والمراد بالكراهة هنا الدينية الجازمة لا العادية كما يكره أن يرى آكلا لحياء أو بخل وغير الجازمة كمن يكره أن يركب بين المشاة تواضعا ونحوذلك فإنه لو رؤى كذلك لم يبال .

وهل علامة الإثم مركبة من مجموع الأمرين أوكل منهما علامة مستقلة ؟

ومقتضى العطف بالواو الأول ومقتضى روايه وابصة الثاني « والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

والأرجح أن يقال فيه أنهما متلازمان لأن كراهية النفس تستلزم كراهية إطلاع الناس وعكسه . وعموم الحديث يقتضى أن الهم بالمعصية لغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر« إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به أو تتكلم »

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ أن الشريعة الإسلامية هى دين البر وحسن الخلق .

٢ ـ أن البر كلمة جامعة لأنواع الطاعات وسائر الأعمال المرضية لله تعالى .

٣ ـ أن العمل إذا أدى إلى القلق والإضطراب وخشية الناس فهو إثم فيجب على المسلم أن يقلع عنه .

٤ ـ من أراد الإقدام على عمل فليراجع نفسه والتزام عمل يطمئن القلب فيه وهو الحلال .

٥ ـ مخاطبة النبى ﷺ الصحابة على حسب أحوالهم .[1]

(١) راجع دليل الفالحين ـ جامع العلوم والحكم ـ الفتوحات الوهبيه

الأمر بالمعروف واجب كل مسلم

عنْ أبي سعيد الخدْري ـ رضي اللهُ عنهُ ـ قالَ سَمعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ « منْ رأى منكُمْ منْكراً فليُغيّرهُ بيده ، فإنْ لم يَستَطعْ فبلسانه . فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبه . وذلكَ أضعَفُ الإيمَانِ » [1] .

التعريف بالراوى :

عن أبي سعيد : سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الخدرى نسبة إلى جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة إلى حى من اليمن . أسلم أبو سعيد وبايع المصطفى صلى على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم واستصغر يوم أحد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله ﷺ . حين رجع من أحد فنظر إليه رسول الله وقال سعد بن مالك فقال نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! فدنا منه وقبل ركبته فقال آجرك الله فى أبيك لأنه قتل يومئذ شهيداً . غزا أبو سعيد مع رسول الله ﷺ اثنتى عشرة غزوة أولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة روى عنه أنه قال أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امرأتى إئت النبى ﷺ فاسأله فقد أتاه فلان فأعطاه وفلان فأعطاه فقلت لا حتى لا أجد شيئاً فطلبت فلم أجد شيئاً فأتيت النبى ﷺ وهو يخطب فأدركت من قوله « من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله) .

قال فما سألت أحدا بعده ومازال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا روى له عن رسول الله ﷺ ألف

---

[1] رواه مسلم

ومائة وسبعون حديثا ، توفى سنة ثلاث وسبعين ودفن بالبقيع ، رضى الله عنه [1].

معانى المفردات :

(من رأى منكم منكراً) من اسم شرط جازم مبتدأ ، والمراد من الرؤية العلم عن طريق أى حاسة من الحواس ، فقد تشم الخمر ويلمس الأعمى آلات اللهو ، ويسمع الغيبة والنميمة ... الخ .

(فليغيره بيده) جواب الشرط دخلت عليه الفاء لأنه طلب والمراد من تغيير المنكر إبطاله ومنعه ، والمراد من اليد الجوارح ويعبر عن الجوارح باليد كثيراً ، لأنها أكثر الجوارح استعمالاً وأشدها أثراً ، ومن ذلك قوله تعالى «ذلك بما قدمت يداك» .

(فإن لم يستطع فبلسانه) مفعول « يستطيع » محذوف ، والفاء داخله على المتعلق بالجواب المحذوف والتقدير : فإن لم يستطع تغيير المنكر فليغيره بلسانه ، والمراد من اللسان النطق والكلام .

(فإن لم يستطع فبقلبه) أى فليغيره بقلبه ، وفى إطلاق التغيير على إنكار القلب توسع ، لأن كراهية المنكر بالقلب لا يغير من الواقع ، ولا يمنع صاحبه منه .

(وذلك أضعف الإيمان) الإشارة إلى التغيير بالقلب ، والمراد من ضعف الإيمان ضعف أثره .

المعنى العام :

هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وركن من الأركان الأساسية فيه وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد لعن الله عز وجل

---

(1) الفتوحات الوهبيه ص٢٥٢ ، ودليل الفالحين ط١ ص٩٦ .

بنى إسرائيل حينما تركوا هذه الخلة ، ولذلك حرص النبى ﷺ على تنبيه أمته ، فقال من رأى أو علم منكم منكرا فليغيره وليزيله بيده فإنل لم يستطع الإزالة باليد فليطلب إزالته وليهاجمها بلسانه ، فإن لم يستطع استخدام لسانه فلينكره بقلبه ، ومن لم يكره المنكر ويغضب له في نفسه و يمقته في دخيلته ويغار على أمور إيمانه ، من لم يفعل ذلك فليس بمؤمن ، لأن ذلك أضعف الإيمان .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) المخاطب هنا لمعشر المكلفين القادرين فليس الأمر مطلوبا من صبى ولا مجنون ولا عاجز والخطاب لجميع الأمه لا الحاضر فقط . (منكر) المراد بالمنكر أى الشيء القبيح الذى قبحه الشرع قولا أو فعلا ولوصغيرا .

وقوله (فليغيره) أى يعمل على إزالته وحكم تغيير المنكر وجوبا بالشرع على الكفاية إن علم بذلك أكثر من واحد وإلا فهو فرض عليه [1] . ووجوبه بالكتاب والسنة أماالكتاب فهو قوله تعالــــى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ فهذه الاية صريحة في أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية .

أما السنة فمنها هذا الحديث الذى بين أيدينا ، وقد اتفق من يعتد بهم من العلماء على ذلك .

ومعنى كونه فرض كفاية أنه إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلاعذر ولا خوف وقد

---

(١) دليل الفالحين طـ١ ص٤٦٤ .

يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين ، كما إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو ، أو لايتمكن من إزالته إلا هو كمن يرى زوجته أو إبنه على منكر [1]. وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروط منها :

١ ـ أن يكون عالما بالحكم .

٢ ـ ألايؤدى نهيه إلى مفسدة أعظم كنهيه عن زنا فيؤدى إلى القتل .

٣ ـ أن يكون مجمعا على تحريمه أو يكون القائل بحله ضعيفاً كشرب النبيذ ، ونكاح المتعة .

٤ ـ أن يكون ظاهرا فى الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ونحو ذلك .

٥ ـ أن يعلم أو يظن أنه يفيد .

(بيده) لأنها أبلغ من تغييره كاراقة الخمر والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب إلى مالكه فإذا إحتاج الأمر إلى إظهار سلام أو حرب رفع إلى السلطان [2] .

وليس معنى ذلك أن المكلفين مطالبون بإستعمال جوارحهم قبل إستعمال ألسنتهم ، بل الواجب إستعمال الأخف أولا ، فربما يكون المرتكب للمنكر جاهلا بأنه منكر ، فإذا عرف أنه منكر تركه كمن لا يحسن الصلاة . فإذا لم ينفع التعريف والنصح والإرشاد والوعظ وجب إستعمال الجوارح .

---

(١) فتح المنعم ص٢٨٨ .

(٢) الفتوحات الوهبيه ص٢٥٨ بتصرف .

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون كالطبيب مع المريض كل همه العلاج من أسهل الطرق (١).

(فإن لم يستطع) الإنكار بيده ، بأن خشي لحاق ضرر ببدنه ، أو أهله أوأخذ ماله ، فلا يجب عليه ويرفع ذلك إلى ولي الأمر فإنه أجدر بإقامة هذا الأسلوب وهو تغيير المنكر باليد دون أن يترتب عليه مفسدة ، أو قيام فتن ومشاحنات بين العامة بعضهم ببعض ، فهذا يجرى في العبد مع سيدة والزوجة مع زوجها ونحوه .

(فبلسانه) بأن يمنع مرتكب المعصية بالقول وتلاوة ما أنزل الله تعالى من الوعد والوعيد ، وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مع لين وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال فقد يبلغ بالرفق والساسة ما لا يبلغ بالسيف والرياسة .

(فإن لم يستطع) أي الإنكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة أو على نفس أو عضو أو مال محترم (فقلبه) أي فينكر بقلبه ومعناه كراهية الفاعل للمنكر وإظهار ذلك على جوارحه إن لم يخفي على نفسه ويعزم أن لو قدر عليه بقول أو فعل أزاله لأنه يجب عليه كراهية المعصية فالراضي بها شريك لفاعلها وهذا واجب على كل واحد بخلاف اللذين قبله . وليتوجه إلى الله تعالى بقلبه أن يزيل ذلك المنكر الذي رآه .

وقد كان إبراهيم يقول : تغيير المنكر باليد للولاة ومن قاربهم وبالقول للعلماء العاملين ، وتغييره بالقلب لأرباب القلوب (العامة) وهذا هو ما أذهب إليه والله تعالى أعلم .

---

(١) فتح المنعم ص٢٩٠ بتصرف .

(ذلك) أى الإنكار بالقلب للعجز عنه بغيره (أضعف الإيمان) أى أقلة ثمرة . وأضعف الأعمال فى تغيير المنكر فلا يرد أن المنكر بالقلب قد يكون أقوى الناس إيمانا والإيمان قد يطلق على الأعمال كما أطلق على الصلاة فى قوله ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أى صلاتكم إلى بيت المقدس . أو المراد الإسلام وهو على حذف مضاف أى أضعف خصال الإسلام.. أو باق على حقيقته والمراد أقل آثار الإيمان وثمراته فى النفع .

وفى رواية « وذلك أضعف الإيمان وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ومنه يستفاد أن عدم إنكار القلب للمنكر دليل على ذهاب الإيمان منه [1] .

ووصف التغيير بالقلب بأنه أضعف الإيمان : لأن مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فإنه متعد فإنه كراهة وإزالة [2].

ولا يتعارض وجوب الأمر بالمعروف مع قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ إذ الإهتداء لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر « فإن تركه مع القدرة عليه ضلالة فالمعنى إذا استقمتم فى أنفسكم وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا يضركم ضلال من يضل فهو قريب من قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

وقد خاطب أبو بكر الصديق رضى الله عنه المسلمين بعد تلاوته هذه الآية بقوله ﴿ والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو

(١) دليل الفالحين ط١ ص٤٦٦ .
(٢) الفتوحات الوهبيه ص٢٦٠ .

ليعمنكم الله تعالى منه بعذاب ﴾، وعلى من يقوم بالآمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمور منها .

١ ـ أن يكون رفيقا فى دعوته ليكون أدعى إلى قبول دعوته . قال تعالى لموسى عليه السلام حينما أرسله إلى فرعون ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ .

٢ ـ وأن يكون مسرا بإنكاره فلا يعلن ذلك أمام الملأ قال بعض العلماء ، (النصيحة على الملأ فضيحة) وقال الشافعى : « من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه » .

٣ ـ ألايكثر فى الوعظ والتأنيب لئلا يؤدى ذلك إلى النفرة منه ..

٤ ـ وأن يكون حليما صبوراً يتحمل جهل الجاهل وسفهه . ولذا نجد أن لقمان عليه السلام يوصى إبنه فيما قصه الله عز وجل علينا بقوله ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

٥ ـ وأن يكون على جانب طيب من حسن الخلق وقوة الإيمان ،[1] عالم بما يأمر به وينهى عنه ، فإن فاقد الشىء لا يعطيه ، وهداية الغير فرع هداية النفس . قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

هذا وباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم القدر، جليل الشأن ، بالغ النفع ، شديد الخطر ، به كانت الأمة الرسلامية خير أمة أخرجت للناس قال الله عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت

---

(١) فتح النعم ص ٢٨٨ .

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ الآيـه .
وسبب التقصير فيه غضب الله على اليهود ولعنهم فقال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ .

مايؤخذ من الحديث :

١ ـ يجب على المسلم السعي إلى تغيير المنكر .
٢ ـ أن تغيير المنكر يكون تاره باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب .
٣ ـ أن تغيير المنكر بحسب الإستطاعة ، فإن غير المستطاع ينكر بقلبه .
٤ ـ أن المنكر ماأنكره الشرع .
٥ ـ العمل ثمرة الإيمان .
٦ ـ مجانبة من يرتكب المنكر والبعد عنه ، إذا لم يستجب للنصح .
٧ ـ عدم التجسس على الآخرين وإنتهاك حرماتهم إلا عند الضرورة كفعل الزنا والقتل قيل لعبدالله بن مسعود إن فلانا تقطر لحيته خمرا فقال نهانا الله عن التجسس [١] .
٨ ـ أن دوافع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة تكون رجاء ثواب الله تعالى وتارة خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على إنتهاك حرماته ، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٥٦ .

وغضبه في الدنيا والآخرة وتارة يحمل على إجلال الله وإعظامه ومحبته ، وأنه أهل أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأن يقتدى .

٩ ـ أن الآمر بالمعروف لابد أن يصاحبه الرفق واللين وتجنب الغلظة والعنف فإن سمع ما يكره لا يغضب فيكون يريد الإنتصار لنفسه . والله تعالى أعلم .

** ** **

الخيانة والكذب من النفاق

عَنْ عَبْدِاللّه بْنِ عَمْرو رضَىَ اللّهُ عَنْهَمـا : أنَ النّبِىٌ ﷺ قَالَ : أرْبَعٌ مَنَ كنّ فِيـهِ كَانَ منافقـاً خَالصـاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيـهِ خصلَة منْهنّ كَانَتْ فِيهِ خَصلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَى يَدَعـها ، إذا اؤتُمن خَانَ ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وإِذَا خَاصَم فَجَرَ » رواه البخارى ومسلم .

التعريف بالراوى :

هو : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام القرشى أسلم قبل أبيه [1] وكان من فضلاء الصحابة وعلماوءهم وزهادهم ، يصوم النهار ويقوم الليل ، وكان من أكثر الصحابة رواية للحديث والعلم قال مجاهد رأيت عند عبدالله بن عمرو صحيفة فسألته عنها فقال هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد ، وكان أحد العبادلة الفقهاء . وكان واسع الرواية قال أبو هريرة رضى الله عنه ما أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا عبدالله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب .

كان مع أبيه إلى أن توفى أبوه بمصر ثم إنتقل إلى الشام إلى أن توفى يزيد ثم إنتقل إلى مكة ومات بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف وكان قد عمى فى آخر عمره . وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ . [2] رضى الله تعالى عنه

معانى المفردات :

(أربع) مبتدأ وسوغ الإبتداء به وهو نكره لأن التنوين عوض .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١ ص ٢٦١ .

(٢) الترجمات الرجبيه ص ٢٨٥ .

عن المضاف إليه والتقدير أربع خصال

(من كن فيه) من موصوله مبتدأ وكن فيه ، كان واسمها وخبرها صلة وجملة (كان منافقا) خبر من ، والجملة خبر أربع .

(منافقا) هو من خالف ظاهره باطنه أو من أظهر الخير وأبطن الشر أو إختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج .

(خصلة) أى الصفة والخلق بفتح الخاء الفضيلة والرزيلة ، والمراد منها هنا الرزيلة .

(يدعها) أى يتركها ويقلع عنها .

(إذا أؤتمن خان) المؤتمن عليه محذوف للتعميم والمعنى إذا ائتمن على مال أو عرض أو سر تصرف فى الأمانة على خلاف الشرع . وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان ، والعامل فيه جوابه ، أما شرطه فهو مضاف إليه .

(وإذا عاهد غدر) مفعول عاهد محذوف للتعميم أيضا . والغدر ترك الوفاء .

(وإذا خاصم فجر) المخاصمة المجادلة والفجور الميل عن الحق والفحش فى القول .[1]

المعنى العام :

يرشد صلوات الله وسلامه عليه إلى ما ينبغى من سلامة الصدور وحسن الطويه وإلى أن يساير ظاهر حال المسلم ما يكنه فى نفسه ، فيتجنب صفات هى من شأن أهل النفاق .

---

(1) المنهل الحديث ج1 ص37 بتصرف

خيانة الأمانة والكذب فى الحديث وعدم الوفاء بالعهد والفجور عند المخاصمة ، وما أجمل ما يتحلى به المؤمن من عكس هذه الخصال ، أداء الأمانة وصدق القول ووفاء العهد والتمسك بالحق وعفة اللسان عند المخاصمة .

ومن وجدت فيه واحدة من صفات النفاق فقد تخلق بصفة من صفات المنافقين حتى يدعها . قال تعالى: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ . وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به) . وقانا الله تعالى شر النفاق والمنافقين .

تحليل الحديث وفقهه :

ورد هذا الحديث بروايات مختلفة منها قوله ﷺ آية المنافق ثلاث « إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وقد جمع العلماء بين الحديثين بأن النبى ﷺ ربما أخبر ببعض العلامات للمنافق فى وقت ثم ببعضها فى وقت آخر .

وقال النووى خصل من مجموع الروايتين خمس خصال ، لأنهما تواردتا على الكذب فى الحديث والخيانة فى الأمانة ، وزاد الأول الخلف فى الوعد وزاد الثانى الغدر فى المعاهدة والفجور فى الخصومة ، وقال العينى : إنها بالنظر إلى الحقيقة ثلاث وإن كانت بحسب الظاهر خمساً لأن قوله « إذا عاهد غدر » داخل فى قوله « إذا اؤتمن خان » وقوله وإذا خاصم فجر » يندرج فى الكذب فى الحديث .

وخصت هذه الخصال بالذكر لأنها منبهة على ما عداها إذ أصل

الديانة منحصر في ثلاث : القول والفعل والنية ، فنبه على فساد القول بالكذب ، وعلى فساد الفعل بالخيانة . وعلى فساد النية بالخلف ، إذ الخلف المذموم شرعا ما كان مبنيا على العزم وسبق الإصرار بأن اقترن الوعد بالعزم على الخلف ، أما لو كان عازما عل الوفاء فعرض له مانع أو بدا له رأى ، فهذا لم توجد فيه صفة النفاق ، يشهد لذلك ما رواه الطبرى « إذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف » وما رواه أبو داود والترمذى « إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى له فلا إثم عليه »(١) .

نعم قد توجد هذه الخصال في المسلم المصدق بقلبه ولسانه ولهذا وجه العلماء قوله « كان منافقا خالصا ».

بتوجيهات كثيرة منها :

١ ـ أن المراد من النفاق نفاق العمل لإنفاق الإعتقاد الذى هو كفر .

٢ ـ وأن الكلام على التشبيه ، أى كان كالمنافق الخالص لا أنه منافق في الإسلام مبطن للكفر ، فصاحب هذه الخصال شبيه بالمنافق فيها إذ النفاق إظهار ما يبطن خلافه وهو موجود فى صاحب هذه الخصال .

٣ ـ أو أن هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه وعادة له ، يدل عليه التعبير بإذا فإنها تدل على تكرار الفعل ، والتعبير بـ « كن فيه » يدل على تمكنها منه .

٤ ـ أو أن الغرض من هذا تحذير من اعتياد هذه الخصال خوفا أن يفضى به إلى النفاق فعلاً .

---

(١) راجع المنهل الحديث ص٢٨ ، جامع العلوم والحكم ص٣٧٥ .

٥ ـ أو أن المراد النفاق في هذه الخصال فقط دون غيرها [١].

وقوله في رواية الثلاث (إذا وعد أخلف) يقال وعدته خيرا ووعدته شراً . فإذا أسقط الفعل قالوا في الخير وعدته ، وفي الشر أوعدته والمراد بالوعد في الحديث الوعد بالخير ، وأما الشر فيستحب إخلافه وقد يجب ما لم يترتب على ترك إنفاذه مفسدة [٢].

وقد أمر الله عز وجل بالأمانة وهي عامة فالأمانة في الصلاة وفي الصوم وفي الحديث وفي الودائع أشد قال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ .

وقد حث النبي ﷺ على أداء الأمانة فقال « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك عليها » وقال « القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة » ، وقال في حجة الوداع « من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » .

قوله (وإذا حدث كذب) الكذب هو ضد الصدق فالصدق هو مطابقة الخبر للواقع والكذب الاخبار بغير الواقع : قال ﷺ (إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار) وعن أبي هريرة قال (من قال لصبي تعال هاك تمرا ثم لا يعطيه شيئا فهي كذبه) .

---

(١) فتح الباري جـ١ ص٩٠ .

(٢) ص٩٦ .

. قوله (وإذا عاهد غدر) سبق بيانه . ونقول أيضا ... بالعهد أمر الله عز وجل به فقال ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ ، وقال ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم) والغدر حرام فى كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد كافراً قال عليه الصلاة والسلام (من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » . وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالوفاء بعهد المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيء قال تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ ومن أعظم الإثم نقض عهد الإمام على من تابعه ورضى به وفى الصحيحين مرفوعا عن أبى هريرة (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يذكيهم ولهم عذاب أليم فذكر منها : ورجل بايع إماما لايبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف له) .

ويحرم الغدر فى جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التى يجب الوفاء بها وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه .

وقوله (وإذا خاصم فجر) المراد بالفجور : الخروج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا والباطل حقا . وهذا مما يترتب على الكذب كما سبق أن بينا فى حديث الرسول ﷺ . وقال عليه الصلاة والسلام « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت خصومته فى الدين أو الدنيا على

ذا قدرة عند الخصومة سواء كانت خصومته فى الدين أو الدنيا على أن ينتصر للباطل ويخيل للسامع أنه حق ويوهن الحق ويخرجه فى صورة الباطل كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال النفاق وفى سنن أبى داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « من خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله عليه حتى ينزع » .

والنفاق فى اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه وهو فى الشرع ينقسم إلى قسمين أحدهما النفاق الأكبر وهو أن يظهر الأنسان الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه . وهذا هو النفاق الذى كان فى عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله فى الدرك الأسفل من النار .

والثانى : النفاق الأصغر : وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة فى هذه الأحاديث فهو يرجع إلى إختلاف السرية والعلانية كما قال الحسن ، وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . وقال الحسن ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه الا منافق . وكان النبى ﷺ يتعوذ من النفاق فكان يقول (اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)[1].

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ أن النفاق له خصال كما أن الإيمان له شعب .

٢ ـ الحث على سلامة النية والقول والعمل ..

(١) أخرجه النسائى فى سننه جـ٨ ص٢٦٤ .

٣ ـ البعد عن الكذب وخيانة الأمانة ، وخلف الوعد ، وخيانة الأمانة لأنها صفات مذمومة شرعا .

٤ ـ ذم النفاق والمنافقين ووجوب تجنب خصالهم وصفاتهم .

٥ ـ الحث على أداء الأمانة والصدق فى القول والمحافظة على العهد والمواثيق والبعد عن الجور عند المخاصمة .

٦ ـ أن من كانت فيه خصلة من هذه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يتركها ، فإن كانت فيه كلها فهو منافق نفاقا تاما .

٧ ـ أن النفاق العملى مركب من هذه الصفات : الخيانة ،الكذب ، والغدر والفجور .

** ** **

جهاد النفس واجب شرعي

عن أبي محمد عَبْدالله بْن عَمْرو بْن العاص - رَضي اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللَّهُ ﷺ « لاَ يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّىَ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئتُ بِهِ » .

التعريف بالراوى :

هو أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص سبق [1].

معانى المفردات :

قوله (لايؤمن أحدكم) أي لايكون صادقا في إيمانه إيمانا كاملا .

قوله (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هواه أي أحبه وشرعا ميل النفس إلى خلاف ما يقتضيه الشرع إلى ما تحبه نفسه وتميل إليه وتدعو إليه شهواتها ويجمع على أهواء وأما الممدود وهو ما بين السماء والأرض فجمعه أهويه ، وجمعها قول بعضهم .

سكن الهواء مع الهوى في أضلعي ... فاستجمعت وسط الحشا نارانِ

فقصرت بالممدود عن وصل الظبا ... ومددت بالمقصود في أكفاني

قوله (تبعا لما) أي لجميع ما (جئت به) من الأوامر والنواهي والغالب أن الهوى لا يطلق إلا على الميل فيدخل فيه الميل إلى خلاف الحق كما قال تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ . وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره [2].

---

(١) سبق التعريف به في الحديث اللغو قبله ص٨٠ .

(٢) الفتوحات الوهبيه ص٢٨٦ .

المعنى العام :

هذا الحديث من جوامع كلم النبى ﷺ ففيه بيان لما يجب إن يكون عليه هوى النفس قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض خطبه ومواعظه « أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم » فعلى المؤمن أن يحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه . سواء ورد فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ ومحبة الرسول تابعه لمحبة مرسله . والله أعلم .

فقه الحديث وتحليله :

قوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » المراد ما جئت به من الأوامر والنواهى وغيرها فيجب ما أمر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا فى أكثر من موضع . قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيره من أمرهم ﴾ .

وذم سبحانه من كره ما أحبه الله تعالى وأحب ما كرهه الله تعالى . قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ وقال تعالى ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ .

فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه ، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه

منه كان ذلك فضلا ، وأن يكره ما كرهه الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه ، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان فضلا . وقد ورد فى الصحيحين عن النبى ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين » فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى الذى أرسله والمحبة الصحيحة تقتضى المتابعة والموافقة فى حب المحبوبات وبغض المكروهات .

قال تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره﴾ .

قال أصحاب رسول الله ﷺ « يارسول الله إنا نحب ربنا حبا شديدا ، فاحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل قوله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى ما يرضى الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك ، فإن ارتكب ما يكرهه الله ورسوله أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة .

قال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم

يحفظ حدوده قال بعضهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ، وقد وصف الله المشركين بإتباع الهوى قال تعالى: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ .وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع .

ومحبة الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان « أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ». وتحريم موالاة أعداء الله وما يكرهه الله تعالى وبهذا يكون الدين كله لله ، ومن أحب الله ، وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد إستكمل الإيمان وما كان لغير ذلك كان نقصا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة [1].

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ على المسلم أن يكون في نيته وأقواله وأفعاله موافقا لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

٢ ـ الإعراض عن موافقة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسلم كفر وفسق .

٣ ـ أن جهاد النفس واجب على المسلم حتى تستقيم على الصراط المستقيم ، والبعد عما يخالف محبة الله ورسوله .

---

(١) جامع العلوم والحكم بتصرف ص٤١٧

٤ ـ أن المسلم إذا وقع فى خطأ فعليه أن يسارع بالتوبة إلى الله تعالى فكل إبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

٥ ـ محبة الله ورسوله بإتباع الكتاب والسنه دليل على الإيمان ، وتقديم رضى الله وتقديم رضى رسوله على رضى الخلق أجمعين .

** ** **

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، ولاَ تَدَابَرُوا ، ولاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا . المسْلِمُ أَخُو الْمسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ ، وَلاَ يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِه ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وبِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمِ كُلُّ المُسْلِمِ على المسلم حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ »(١)

التعريف بالراوى :

ابو هريرة : عبدالرحمن بن صخر الدوسى (٢).

معانى المفردات :

(لاتحاسدوا) أصله تتحاسدوا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا والحسد لغة وشرعا تمنى زوال نعمة المحسود ويخالف الغبطة ، فإنما هى تمنى مثل تلك النعمة مع بقائها لصاحبها..

(لا تناجشوا) النجش لغة : إثارة الشىء بالمكر والحيلة والخداع (٣) . وأصله الإرتفاع والزيادة واصطلاحا الزيادة فى السلعة لا رغبة فيها بل ليخدع غيره سواء كان بالإتفاق مع صاحب السلعة أولا

(لا تباغضوا) المراد بالبغض : النفرة عن الشىء لمعنى فيه مستقبح وترادفه الكراهة ثم هو بين إثنين ، إما من جانبيها أو من

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده .
(٢) سبق التعريف به فى الحديث التاسع ص٦٠ .
(٣) دليل الفالحين ج٢ ص ٢٠ .

جانب أحدهما .

(ولا تدابروا) قال المازرى : معنى التدابر المعداه يقول دابرته أى عاديته [1] .

(ولا يظلمه) الظلم هو تجاوز الحد .

(ولا يخذله) أى لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الإحتياج والإضطرار .

(ولا يحقره) أى لا يستصغر شأنه ويضع من قدره .

المعنى العام :

هذا الحديث له طابع خاص بين الأحاديث السابقة فهو ينظم العلاقات الإجتماعية ، إذ يحتوى على آداب ضرورية لقوام المجتمع حتى يكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما شبه النبى ﷺ ما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى فى تواده وتراحمه وتعاطفه .

فحق الله عز وجل يسقط بالتوبة والرجوع إليه والإقلاع عن المعصية أما حق العبد فإنه لا يسقط إلا بالإستحلال منه وأداء ورد المظالم إلى أصحابها وإلا فهو معلق فى عنق صاحبه إلى يوم القيامة .

فالنبى ﷺ ينهى عند الحسد والمكر والخداع والتباغض بين المسلمين والتدابر فيما بينهم والبعد عن الظلم ونصرة المسلم لأخيه المسلم والبعد عن إحتقاره لأى سبب من الأسباب . فيقول (كونوا عباد الله إخوانا) . قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

---

(1) فتح البارى ج١٠ ص٤٨٢ .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (لا تحاسدوا) الحسد تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى فى ذلك أولا ، فإن سعى كان باغيا ، وإن لم يسع فى ذلك ولا أظهره ولا تسبب فى تأكيد الكراهة التى نهى الله المسلم عنها فى حق المسلم نظر : فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور ، وإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه فى مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها ، وقد روى عن اسماعيل بن أمية مرفوعا « ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيرة والظن والحسد قيل : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تتحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ)[1].

وقد وصف الله اليهود بالحسد فى مواضع من كتابه كقوله تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ ، وقال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ .

روى أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب)[2] .

أما الحسد المباح فهو بمعنى الغبطة وفيه يقول الرسول ﷺ « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار » وهذه هى الغبطة كما سبق وسماه حسدا من باب الإستعاره .

---

(١) فتح البارى ج ١٠ ص٤٨٢

(٢) رواه أبو داود

وقد أجمع الناس من المتشرعين وغيرهم على حرمة الحسد وقبحه .[1] إذا كان بمعنى تمنى زوال نعمة الغير سواء تمنى إنتقالها إليه أم لا . وقد أمر الله تعالى بالإستعاذة من شر الحسد ، وقال منصور الفقيه .

ألا قل لمن ظل لي حاسداً — أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه — إذا أنت لم ترض لي ما وهب

قوله (ولا تناجشوا) النجش بفتح وسكون هو أن يمدح السلعة ليروجها ويزيد في الثمن ولا يريد شراءها ليغتر بذلك غيره وهذا ضرب من الخديعة فمن نجش فقد عصى [2] .

قال محمد بن علان : « لا تناجشوا » أى لا ينجش بعضكم على بعض بأن يزيد في السلعة لا لرغبة فيها بل ليخدع غيره وهو حرام إجماعا على العالم بالنهى سواء كان بمواطأة البائع أم لا ، لأنه غش وخداع وهما محرمان ، ولأنه ترك للاصح الواجب ، ويصح تفسير النجش هنا بما هو أعم من ذلك لأن النجش لغة إثارة الشيء بالمكر والحيلة والخداع فالمعنى لا تتخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضا بالمكر والإحتيال وإيصال الأذى إليه قال تعالى : ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ .

فيدخل فيه على هذا جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس عيب وكتمه وخلط جيد برديء ويجوز المكر بمن يحل أذاه وهو الحربي ومن ثم قال ﷺ (الحرب خدعه) .

---

(1) دليل الفالحين ج٢ ص١٩ .

(2) سبل السلام ج٢ ص٤٨٢ .

قوله (ولا تباغضوا) أى لايبغض بعضكم بعضا ، وهو لغير الله تعالى حرام وهو مجمل الحديث . وقد إمتن الله تعالى بالألفة على عباده لكونها من أعظم النعم فقال « وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وقال ﷺ « من أحب الله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان » فقد نهى النبى ﷺ المسلمين عن التباغض بينهم فى غير الله تعالى بل على أهواء النفوس فإن المسلمين جعلهم الله إخوة ، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتبغاضون قال النبى ﷺ « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم »[1] .

وقد حرم الله على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء ، قال تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ . وقال تعالى ﴿ هوالذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ... ﴾ ولهذا المعنى حرم المشى بالنميمة لمَا فيها من إيقاع العدواة والبغضاء .

قوله (ولا تدابروا) قال أبو عبيدة : التدابر المصارمة والهجران مأخوذ من أن يولى الرجل صاحبه دبره ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع .[2] عن أبى أيوب عن النبى ﷺ قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذى

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) جامع العوم والحكم ص٢٥٨ .

يبدأ السلام) [1] وهذا فى التقاطع للأمور الدنيوية . فأما لأجل الدين فتجوز الزيادة على الثلاثة ، نص عليه الإمام أحمد واستدلوا بقصة الثلاثة الذين خلفوا وأمر النبى ﷺ بهجرانهم لما خاف منهم النفاق ، وفى معنى التدابر المجادلة والإستنثار .

قوله (ولا يبع بعضكم على بيع بعض) صورته : أن يبيع أخوه شيئا فيأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله أو أحسن منه بأقل من ثمن ذلك والشراء على الشراء حرام : بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتريه منه بأعلى ثمن [2] . والنهى فى الحديث نهى تحريم [3] وقيل للتنزيه .

قوله ﴿ وكونوا عباد الله إخوانا ﴾ عباد الله منادى مضاف أى يا عباد الله فحذف حرف النداء (إخوانا) خبر كان . وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها كأنه قال إذا تركتم التحاسد وما ذكر بعده كنتم إخوانا وإلا كنتم اعداء ومعنى كونوا إخوانا أى تعاطوا أسباب المودة وأكتسبوا ما تصبحون به إخوانا من الأمور المقتضية لذلك كابتداء السلام ورده وعيادة المريض وإجابة الدعوى ونحو ذلك .

وفى قوله (عباد الله) إشارة إلى أنكم عبيدالله فاجعلوا ذلك أساساً للإخوة قال القرطبى . المعنى كونوا كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والنصيحة والمعاونة [4] .

قوله (المسلم أخو المسلم) لأنه يجمعهما دين واحد هو الإسلام فأشبها الأخوين المجتمعين فى ولادة من صلب أو رحم أو منهما ، بل

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .
(٢) جامع العوم والحكم ص٢٥٨ .
(٣) دليل الفالحين ج٢ ص٢٠ .
(٤) جامع العلوم والحكم .

الأخوة الدينية أعظم من أخوة النسب الحقيقية لأن ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية . قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

فإذا كان المؤمنون إخوة أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب وإجتماعها ، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب وإختلافها ، وهذا من ذاك . وأيضا فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع ويكف عنه الضرر

قوله (ألا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره) معنى هذه الجملة أن من حق الإسلام وأخوته أن لا يظلم المسلم أخاه المسلم ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره . فالإسلام له حقوق يجمعها قوله ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وتخصص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا لإختصاصه به من كل وجه .

قوله (التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات) أى محل مادتها من الخوف الحاصل عليها القلب الذى هو عند الصدر قال ﷺ (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) (١) .

أى أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى ، وإنما تحصل بما يقع فى القلب من عظيم خشية الله ومراقبته ، فمن ثم كان نظر الله بمعنى مجازاته وثوابه على ما فى القلب من خير ومن شر دون الصور الظاهرة .

وفى هذه العبارة إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى فرُبَّ من يحقره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا هو أعظم عند الله تعالى ممن له قدر فى الدنيا قال تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

---

(١) أخرجه مسلم .

قوله (بحسب إمرىء ، الشر) أى كافيه منه (أن يحقر أخاه المسلم) المعنى أن الله تعالى خلقه وكرمه فاحتقاره إحتقار لما عظمه الله وشرفه وهو من أعظم الذنوب والجرائم . قال ﷺ (لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر) .

قوله (كل المسلم على المسلم حرام) أى أن المسلم معتصم بحرمة الإسلام ممتنع به ممن أراده . قوله (دمه) بدل بعض من كل ، المراد به نفسه بأن يتعرض لها بقتل أو أطرافها بالقطع .(ماله) بأن يغصب أو يخاف فيه (وعرضه) موضع المدح فيه بأن ينتهك بالسب والغيبة والبهت .

وقد جعلت هذه الثلاث كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره إليها . أما الدم فلأن به حياته ومادته المال فهو مادة الحياه ، والعرض به قيام صورته المعنويه . اقتصر عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها ، لأنها إذا قامت الصورة الحسية والمعنوية فلا حاجة إلى غير ذلك وقيامها بتلك الثلاثة لا غير . ولكون حرمتها هى الأصل لم يحتج إلى تقييدها بما إذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قوداً وأخذ مال المرتد فيئا وتقبيح المسلم تعذيرا ونحو ذلك . والله تعالى أعلم .

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ النهى عن التحاسد والخداع بالقول أو بالفعل .

٢ ـ النهى عن التقاطع بين المسلمين والهجران .

٣ ـ أن من حق الإسلام وأخوته ألا يظلم المسلم أخاه ويخذله فى موضع النصرة ولا يكذبه ولا يحقره .

٤ ـ إحتقار المسلم والتكبر عليه فيه شر مستطير .

٥ ـ أن الله تعالى حرم دم المسلم وماله وعرضه .

٦ ـ حث النبى ﷺ على ترك كل ما يؤثر فى ترابط المجتمع الإسلامى وقوته . فالشريعة الإسلامية هى أخلاق ومعامله .

٧ ـ الحث على التمسك بمكارم الأخلاق قال ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

٨ ـ الحث على كل صفة تعمل على دوام المحبة بين المسلمين .

٩ ـ أن التقوى محلها القلب لا يعلمها سوى الله عز وجل فيجازى عليها . والله أعلى وأعلم .

** ** **

مكانة العلم والحث على طلبه

عَنْ أبي هُرَيْرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، ومن يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدنْيَا والآخِرةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرهُ اللهُ فِي الدنْيا والآخرة ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إلى الجَنَّة ، وَما اجْتَمعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهَ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتهُمُ المَلائِكَةُ ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » (١).

التعريف بالراوى :

أبي هريرة : هو عبدالرحمن بن صخر الدوسى (٢) .

معانى المفردات :

(من نفس) أى أزال وكشف وفرج من تنفيس الخناق أى إرخاؤه حتى يأخذ له نفسا .

قوله (كربه) الكربة هى الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب ، فهى ما أهم النفس وغم القلب لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه .

(ومن يسر على معسر) الاعسار هو الضيق والشدة . (وما اجتمع قوم فى بيته) المراد بالبيت هنا المسجد (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما) يلتمس أى يطلب .

---

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ .

(٢) سبق التعريف به فى الحديث التاسع ص٦٠ .

(يتلون) أى يقرؤن (كتاب الله) أى القرآن لتبادره إلى الأذهان وأضيف إلى الله تعالى لأنه منزل من عنده معجزة لنبيه ﷺ قوله (ويتدارسونه بينهم) أى يقرأ هذا شيئاً ويقرأ الآخر عين ما قراه صاحبه هذه المدارسة الفضلى التى وردت من فعله مع جبريل ﷺ فى حديث (كان جبريل يدارسه القرآن) (١) .

قوله ﴿ إلا نزلت عليهم السكينة ﴾ السكينه هى فعيله من السكون والمراد بها هنا الحالة التى يطمئن بها القلب . وقيل السكينة اسم ملك ينزل فى قلب المؤمن يأمر بالخير . وقيل إنها الرحمة والوقار والسكون والخشية وغير ذلك .

قوله ﴿ وغشيتهم الرحمة ﴾ أى عمتهم وأحاطت بهم من كل جانب والمراد بالرحمة غايتها من الإحسان والفضل والإمتنان .

قوله (وحفتهم الملائكة) أى أحاطت بهم ملائكة الرحمة والبركة أو الملائكة الملتمسون للذكر ووجودهم أيضا فضل ورحمة من الله تعالى وقوله (وذكرهم الله فيمن عنده) أى أثنى عليهم أو أثبتهم فيمن عنده من الأنبياء والملائكة فالمراد بالعندية عندية الشرف والمكانة . وقوله (أبطأ) البطء نقيض السرعة والمراد قصر (به علمه) أو آخره عمله (لم يسرع به نسبه) أى لم ينفعه شرف نسبه.

المعنى العام :

عرفنا من الحديث السابق أن النبى ﷺ يحث دائما على ترابط المجتمع الإسلامى ويدل على أسباب هذا الترابط وما يقوى به المجتمع الإسلامى ، ففى هذا الحديث يحث على التكافل الإجتماعى ، فلابد

---

(١) دليل الفالحين ج٢ ص٣٦ .

أن يقدم المسلم يد العون لأخيه المسلم وينتشله مما يقع فيه من كرب وضيق ، وهذا له شأنه عند الله تعالى يوم القيامة .

قال ﷺ (من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته) [1] ثم يدع النبى ﷺ المسلم إلى الإهتمام بالعلم لأنه طريق لدخول الجنة ، وكان أول ما نزل على النبى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

وها هو عليه الصلاة والسلام يبين أثر مجلس العلم فما من قوم يجتمعون فى بيت من بيوت الله تعالى إلا كان ذكرهم فى الملأ الأعلى فتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحف بهم ملائكة الرحمة . فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

فقه الحديث وتحليله :

قوله (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا) المعنى من أزال بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعاء بظهر الغيب عن أخيه المؤمن شدة من شدائد الدنيا كان له مثل ذلك عند الله تعالى يوم القيامة فقد قال عليه الصلاة والسلام (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة) فهنا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل . وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى كقوله ﷺ « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » وقوله « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » فجزاء التنفيس التنفيس ، وجزاء التفريج التفريج [2] .

---

(١) دليل الفالحين ج٢ ص٣٦ .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

وأوثر المؤمن بالذكر لمزيد شرفه وحرمته فالثواب فيما يفعل معه من الإحسان آكد .

فإن قيل قال الله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ وهذا الحديث يدل على أن الحسنة قوبلت بمثلها ؟ فالجواب من وجهين :

الأول : أنه مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا بمعنى أنه يمنع النقيص ولا يمنع الزيادة .

الثانى : أن كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على أهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الأحوال إما عشرة أو تزيد عليها .

قوله (ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة) والتيسير يكون بإبراء أو بهبة أو صدقة أو نظرة إلى ميسرة أو نحو ذلك بأن يكون واسطة فى ذلك . والمعسر من عليه دين وتعسر عليه أداؤه من العسر ضد الضيق والشدة .

أما تيسير الله تعالى على من قام بذ" هو فى أموره ومطالبه فى الدنيا والآخرة ، وهذا يدل على أن الإعسار قد يحدث للفرد فى الآخرة وقد وصف الله تعالى يوم القيامة بأنه يوم عسير وأنه على الكافرين غير يسير فدل على أن يسره على غيرهم قال تعالى : ﴿ فإذا نقر فى الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير ﴾ (١) .

والتيسير على المعسر فى الدنيا من جهة المال يكون بأحد

---

(١) سورة القيامة آية ٨، ٩، ١٠ .

أمرين : إما بإنظاره إلى الميسرة وذلك واجب كما قال تعالى: ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ (١) . وتارة يكون بالوضع عنه إن كان غريما وإلا فباعطائه ما يزول به إعساره وكلاهما له فضل عظيم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « كان تاجرا يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لصبيانه وتجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز اللـــه عنه (٢) . وفى رواية قال تعالى :﴿ نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه ﴾ .

قوله : ﴿ ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ﴾ المعنى أى ستر عورته الحسية والمعنوية فالحسية بأن يرى عورة شخص بادية لعدم وجود ما يسترها به والمعنوية بإعانته على ستر دينه كأن يكون محتاجا لنكاح فيتوسل له بالتزويج أو الكسب أو يتوسل له فى بضاعة يتجر فيها أو نحو ذلك .

وفى قوله (ومن ستر مسلما) أى ستر بدنه باللباس أو عيوبه لعدم الغيبة والدفاع عن معايبه مما يسلم به عرض مسلم من الطعن والغيبة والذم .

قال ابن رجب واعلم ان الناس على ضربين :

أحدهما : من كان مستورا لا يعرف بشىء من المعاصى فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها لأن ذلك غيبة محرمة قال تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ﴾ . ومثل هذا لو أخذ بجريمته ولم يبلغ الإمام فإنه يشفع له حتى لا يبلغ الإمام

---

(١) سورة

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

روى عن عائشة أن النبى ﷺ قال « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » [1]

والثاني : من كان مشتهرا بالمعاصى معلنا بها ولا يبالى بما ارتكب منها ، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجر المعلن ، وليس له غيبة ، كما نص على ذلك الحسن البصرى وغيره . ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود ، ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ ولو لم يبلغ السلطان بل يترك حتى يقام عليه الحد ليكشف ستره ويرتدع به أمثاله . قال مالك : من لم يعرف منه أذى الناس وإنما كانت منه زلة فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام ، وأما من عرف بشر أو فساد فلا أحب أن يشفع له أحد ولكن يترك حتى يقام عليه الحد حكاه ابن المنذر وغيره [2].

وقوله ﷺ فى الكربة (نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة كما ورد فى التيسير والستر ؟ وجه ذلك أن الكرب هى الشدائد العظيمة ، وليس كل أحد يحصل له ذلك فى الدنيا بخلاف الإعسار و العورات المحتاجة إلى الستر ، فإن أحد لا يكاد يخلوا من ذلك ولو بتعسر الحاجات المهمة ـ وقيل لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيء فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الآخرة .

ويدل على ذلك قول النبى ﷺ « يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم ، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس بعضهم لبعض : ألا ترون ما بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع

---

(1) أخرجه العلوم والحكم بتصرف ص٣٦٨ .

(2) جامع العلوم والحكم بتصرف ص٣٦٨

لكم عند ربكم » وذكر حديث الشفاعة [١].

هذا وقد كثرت النصوص فى ستر المسلم عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حت يفضحه بها فى بيته)[٢].

قوله « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » والمراد بسلوك الطريق لإلتماس العلم إما الطريق الحقيقى وهو المشى بالأقدام إلى مجلس العلماء ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ومدارسته ومذاكرته ومطالعته وكتابته والتفهم له ، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التى يتوصل بها إلى العلم .

والعلم هنا ذكر على الإطلاق فهو وإن كان ينصرف بالدرجة الأولى إلى العلوم الشرعية ـ إلا أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من الإستفادة من أنواع العلوم الأخرى الدينيوية فنأخذ ما هو نافع ونترك ما هو ضار بمعنى أدق فإننا نأخذ ما وافق الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ونضرب بما خالفهما عرض الحائط .

وقوله (سهل الله له به طريقا إلى الجنة) ففى معناها عدة أقوال : منها أن الله تعالى يسهل له العلم الذى طلبه وسلك طريقه وييسره عليه ، فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة . ومنها : أن الله تعالى ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله تعالى والإنتفاع به

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٦٩ وقال خرجاه ـ أى البخارى ومسلم ـ من حديث أبى هريرة وخرجاه من حديث عائشة عن النبى ﷺ .

(١) أخرجه ابن ماجه .

والعمل بمقتضاه فيكون سببا لهداياته ولدخول الجنة بذلك ، ومنها : أن الله تعالى قد ييسر لطالب العلم علوما ينتفع بها وتكون موصلة إلى الجنة . قال تعالى ﴿ والذين إهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ ومنها : تسهيل طريق الجنة وهو الصراط وما قبله وما بعده من الأهوال فييسر ذلك ، ومنها أنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بأن لا يرى من مشاق الموقف ما لا يراه غيره قال الصديقى وهذا أقرب لظاهر الحديث .

وهذا يؤذن بعظيم فضل السعى فى طلب العلم ويلزم منه عظم فضل الإشتغال به . قال تعالى: ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ وعن أنس عن النبى ﷺ قال « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر »[1].

قال الإمام النووى : واعلم أن هذا الحديث له شرائط منها : العمل بما يعلمه وقال أنس رضى الله عنه : العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية قال الشاعر :

مواعظ الواعظ لن تقبلا ... حتى يعيها قلبه أولا

يا قوم من أظلم من واعظ ... خالف ما قد قاله فى الملا

أظهر بين الخلق إحسانه ... وخالف الرحمن لما خلا

---

(١) مسند الإمام أحمد .

ومن شرائطه : نشره . قال الله تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[1]

ومن شرائطه : ترك المباهاه والمباراة روى عن النبى ﷺ (أنه قال : من طلب العلم لأربعة دخل النار : ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يأخذ به الأموال أو يصرف به وجوه الناس إليه)[2].

ومن شرائطه : الإحتساب إليه فى نشره وترك البخل به قال الله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً ﴾ [3].

ومن شرائطه : ترك الأنفة من قول لا أدرى . قال ﷺ وسلم فى علو مرتبته لما سئل عن الساعة « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل »[4] وسئل عن الروح فقال « لا أدرى » .

ومن شرائطه : التواضع قال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » [5]

ومن شرائطه : إحتمال الأذى فى بذل النصيحة والإقتداء بالسلف الصالح فى ذلك قال الله تعالى « وإنه عن المنكر واصبر على ما أصابك » [6] وقال ﷺ « ما أوذى

---

(١) سورة التوبة .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) البخارى ومسلم .
(٥) سورة الفرقان .
(٦) سورة لقمان .

نبى مثل ما أوذيت »[1].

ومن شرائطه : أن يقصد بعلمه من كان أحوج إلى التعليم كما يقصد بالصدقة بالمال الأحوج فالأحوج ، فمن أحيا جاهلا بتعليم أحيا الناس جميعا [2].

وقوله « وما أجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . فى هذه الجملة بيان لمكانة قراءة كتاب الله تعالى وتدارسه بفهم معانيه وإدراك مراميه ، فتنزل على المجتمعين .لذلك من الله تعالى ما يطمئن به القلب وتسكن له النفس ، ويضفى الوقار والهيبة ويبعث الخشية والخشوع فى نفسهم ، ويزدادون إيمانا على إيمانهم قال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

كما أن الله عز وجل يعمهم برحمته والمراد غايتها من الإحسان والفضل والإمتنان والرضوان منه تبارك وتعالى .

وفى قوله (حفتهم الملائكة) فيه رعاية من الله عز وجل لمجالس الذكر فهم الملائكة الملتمسون للذكر ، أو ملائكة الرحمة والبركة إلى السماء الدنيا كما فى رواية للصحيحين [3]. وهذا فيه تعظيم للمذكور وإعظاما للذاكر على غاية من القرب والمواصله . بحيث لا يدعون للشيطان فرجة يتوصل منها للذاكر .

وفى الحديث مكرمة وشرف لا مزيد عليه وهو قوله (وذكرهم الله فيمن عنده) فقد أعلى ذكرهم بذكرهم مع الأنبياء والملائكة ،

---

(١) رواه أبو الفتح فى الحلية .

(٢) شرح متن الأربعين النووية بتصرف ص١١٧

(٣) دليل الفالحين ج٢ ص٣٧ .

فالله عز وجل يباهي بهم الملائكة ، وذكر الله عز وجل لعباده رحمة وفضلا وثناء عليهم وقبولا لأعمالهم ، ورفعا لشأنهم ، وكفى بذكر الله شرفا ذكر الله العبد في الملأ الأعلى .

قوله (ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب قال الشاعر :

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال الله عز وجل : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾. صدق الله العظيم.

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ من نفس أو فرج عن مؤمن شدة من شدائد الدنيا فرج الله عنه شدة من شدائد الآخرة ، فيختم له بخير ، لأن ذلك من أفضل الأعمال .

٢ ـ من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ .

٣ ـ من ستر مسلما فلم يظهر أمره للناس بعد أن رآه على معصيته أو فعل قبيح ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، فيستحب ستر المسلم إذا لم يعرف بالأذى والفساد .

٤ ـ من دخل طريق العلم إبتغاء وجه الله تعالى سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، فيستحب المشي في طلب العلم ، وكانت الرحلة قديما أساساً في طلب العلم .

٥ ـ الجلوس لمدارسة القرآن ـ وخاصة في بيت الله تعالى ـ يجلب

الطمأنينة ، والعناية الربانية والمغفرة ، فيسن مجالسة العلماء وملازمتهم فمن جالس العلماء وقر ومن جالس الجهلاء حقر .

٦ - فى الحديث بيان لعظم فضل السعى فى طلب العلم . ويلزم منه عظم فضل الإشتغال به . قال ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

٧ - أن من قصر فى عمله لم ينفعه عند الله عز وجل حسبه ونسبه قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه . ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾، وقال تعالى: ﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾ .

٨ - فى الحديث بيان لمدى حرص النبى ﷺ على سلامة المجتمع الإسلامى وترابط المسلمين حتى يصبحوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٩ - فى الحديث حث على العلم وإن كان المراد به فى الحديث العلوم الشرعية فغيره من العلوم الدنيوية أيضا مطلوب لمنفعة المجتمع الإسلامى ، وللجهاد فى سبيل الله تعالى قال تبارك وتعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله عدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ .

** ** **

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

** ** **

حق الجار والوصية به

٦) روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جارهُ ، ومن كان يؤمن باللهَ واليوم الآخر فليكرمُ ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكُتْ ﴾(١) .

أبو هريرة ﷺ تقدم التعريف به

الأبحاث العربية

(من كان يؤمن بالله) المراد بالإيمان الإيمان الكامل وهو الأعتقاد بالقلب أنه لا إله إلا الله وأن الله تعالى متصف بكل كمال يليق بجلاله ومنزها عن كل نق لا يليق به جل وعلا ، وأنه تعالى أرسل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وانقادت جوارحه لما اعتقده ، ونطق به ففعلت الخير ، واجتنبت الشر والإثم

(اليوم الآخر) هَو يوم القيامة . وأوله من وقت الحشر ، إلي أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار.

وسمى باليوم الآخر ، لأنه متصل بأخر أيام الدنيا ، وسمى بيوم القيامة لقيام الناس من قبورهم ، وقيامهم بين يدى خالقهم ، وقيام الحجة لهم أو عليهم.

(فلا يؤذى جاره) بإثبات الياء في يؤذى على أن لانافية والمبتدأ مقدر قبله والأصل فهو لا يوذى جاره أى هذا شأنه.

ويجوز أن تكون ناهية ، وتكون الياء للإشباع ، وإثباتها علي أنه خبر يراد به النهى فيكون أبلغ ومنه قوله تعالى (لاتضار والدة بولدها) على قراء الرقع أو قوله ﷺ (لايبع بعضكم على بيع بعض) ونظائره كثيره (٢) .

(١) البخارى : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره فتح ٤٦/١٠
ومسلم بشرح النووي : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ... إلخ ١٨/٢
(٢) شرح النووى ٢٠/٢

(ضيفه) الضيف يطلق علي الواحد والجمع والذكر والأنثى ، ويجمع على أضياف وضيوف وضيفان ، ويقال : أضفته إذا أنزلته بك ضيفا ، وضفته وتضيفته إذا نزلت عليه ضيفا وتضيفنى إذا أنزلنى[1] .

(فليقل) اللام فى فليقل وفى فليكرم للأمر (أو ليسكت) ولام الأمر ساكنة وفى ليسكت مكسورة.

الشرح والبيان

اشتمل الحديث على ثلاثة أمور من خصال الإيمان التى تجمع مكارم الأخلاق القولية والفعلية.

الأول : إكرام الجار   الثانى : إكرام الضيف

الثالث : قول الخير والصمت عما عداه.

وذلك لأن أعمال الإيمان تارة تتعلق بحقوق الله كأداء الواجبات وترك المحرمات ، ومن ذلك قول الحق والصمت عن غيره ، وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف وإكرام الجار والكف عن أذاه فقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يفعل كذا ويفعل كذا يدل علي أن هذه الخصال من خصال الإيمان وشعبه .

وإنما ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمعاد ، أى من كان يؤمن بالله تعالى إيمانا كاملا يتذكر به أن الله عز وجل هو الذى خلقه وصوره ، ودبر فى هذه الحياة أمره ، وسجل عليه قوله وفعله ، وسيجازى به فى اليوم الآخر على ماقدم . من كان إيمانه كذلك فليفعل هذه الأمور.

الأول : إكرام الجار ومنع آذاه .

ففى هذا الحديث نفى الرسول ﷺ كمال الإيمان وتمامه عمن يؤذى

---

(١) لسان العرب ٤/٢٦٢٥ مادة ضيف

جاره ، وأن من يؤذى جاره يفعل فعلا شنيعا ، ويصنع صنعا عجيبا فإثمه عظيم وعذابه شديد أليم وإيذاء الجار أشد إثما من إيذاء غيره روى مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك .... وفيه قال : ثم أن تزانى بحليلة جارك)(١) .

وذلك يتضمن إفسادها على زوجها واستمالة قلبها إلى الزانى وذلك فحش بين وهومع امرأة الجار أشد فحشا وأعظم قبحا لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه ويأمن بوائقه ويطمئن إليه ، وقد أمر بإكرامه والإحسان إليه فإذا قابل هذا كله بالزنا بأمرأته وإفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لايتمكن غيره منه كان فى غاية من القبح ، فمن كمل إيمانه اقتضاه هذا الريمان أن يحسن إلى جاره ، وأن يكف أذاه عنه ، فأذى الجار من الكبائر لما ورد فيه من الوعيد الشديد مثل قول النبى ﷺ ﴿ والله لا يؤمن والله لايؤمن ، والله لايؤمن قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جارهُ بوائقه﴾ (٢) البوائق : الغوائل والشرور واحدها بائقة وهى الغائلة والداهية ، وعند الإمام مسلم (لايدخل الجنة) فإذا حرم إيذاء المسلم عموما بأي لون من ألوان الإيذاء لقول الله تعالى ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ماكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾(٣) وقول النبى ﷺ ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ (٤) .

وإلى الجار خصوصا بإنتفاء الإيمان الكامل عنه ، مع بيان ماله من حقوق ثابته ومقررة فى الشرع من الأعتناء به والأحتفال بشأنه ومن شدة ذلك

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب أعظم الذنوب بعد الشرك ٢/ ٨٠

(٢) البخارى : كتاب الأدب : باب إثم من لايأمن جاره بوائقه عن فتح ٤٥٧/١٠ عن أبى شريح ومسلم شرح النووى : كتاب الإيمان : باب تحريم إيذاء الجار ١٧/٢ عن أبي هريرة

(٣) الأحزاب ٥٨

(٤) مسلم : كتاب الإيمان تفاضل الإسلام ١/٢ عن عبدالله بن عمرو

قال النبي ﷺ :﴿ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ﴾[١]

فجعل من أساب الإرث الجوار ، كما كان سببه أول الإسلام التحالف والتعاهد ، حتى نسخ بآية المواريث وما ذلك إلا لأجل بناء مجتمع سليم متماسك تسوده الألفة والمحبة ويعمه الأمن والأمان ، وترفرف عيه راية السعادة والأطمئنان وهذا مايدعوا إليه الإسلام ، ويحض المسلمين عليه ليعيشوا عيشة هنية أخوة متحابين وفي الخير متعاونين ، ولذا وسع الشارع الحكيم دائرة الجوار قال تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخوار ﴾[٢] .

فجعل الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك (وابن السبيل) المسافر والضيف (ومّا ملكت أيمانكم) من العبيد والإيماء.

والأذية كل مايعد فى العرف أذى حتى ورد فى الحديث أنه لا يؤذيه بريح قدره إلا أن يغرف له من مرقه ، ولا يحجز عنه الريح إلا بإذنه وقد بلغ من سماحة الإسلام أنه لم يفرق بين الجار المسلم والجار الذمي فكل له حق الجوار ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة يتعرض للأذى من جيرانه ومع ذلك يصبر على أذاهم ويقابل السيئة بالحسنة قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ فى بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى معيط ، وعدى بن حمران الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم – فيما ذكر لى – يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته ، إذا نصبت له حتى اتخذ النبى ﷺ حجراً يستتر به منهم

---

(١) البخاري : كتاب الأدب : باب الوصاة بالجار ١٠/٤٥٥ عن عائشة

(٢) النساء ٣٦

إذا صلى ، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله ﷺ على العود ، فيقف به علي بابه ، ثم يقول : يابني عبد مناف ، أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق(1) .

والناظر يجد أن الرسول ﷺ استنكر هذا التعامل ، وأنه حتى ولو اختلف الدين فإن للجار حقا يجب أن يصان ، ويتنزه الجار عن جاره وعلى من وقع عيه ظلم من جاره أن يتحمله ويصبر عليه .

الوصية بالجار والإحسان إليه

روى مسلم بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك ﴾(2) .

وعنه ﷺ قال : ﴿ إن خليلي ﷺ أوصاني : إذا طبخت مرقا فأكثر ماءها ، ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف ﴾(3) .

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : ﴿يانساء المسلمات لا تحقرن جارة ، لجارتها ولو فرسن شاة ﴾(4) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ، ثم يقول أبو هريرة : مالي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بهابين أكتافكم ﴾(5) . فهذه بعض أحاديث وردت عن النبي ﷺ

(1) السيرة لابن هشام ٤٥/٢ ط دار الجيل

(2) مسلم شرح النووي : كتاب البر والصلة والآداب : الوصية بالجار والإحسان إليه ١٧٦/١٦ عن أبي ذر

(3) المرجع السابق ص ١٧٧

(4) مسلم شرح النووي : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ١١٩/٧ عن أبي هريرة والفرسن الظلف

(5) البخاري : كتاب المظالم : باب لايمنع جارجاره أن يغرز خشبة في جداره فتح ١٣١/٥ عن أبي هريرة ومسلم : كتاب المساقاة والمزارعة باب غرز الخشب في جدار الجار ٤٧/١ عن أبي هريرة.

توصى بالإحسان إلى الجار وفعل البر معه ، وحض على مكارم الأخلاق والإرشاد لمحاسنها لمايترتب عليه من المحبة والألفة ، ولما يحل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة فقد يتأذى ألجار بقتار قدر جاره وعياله وصغار ولده ولايقدر على ذلك فتهيج من صغارهم الشهوة ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة ، وربما كان يتيما أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحرة والألم وكل ذلك ليدفع بتشر يكهم فى شيئ من الطبخ فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير وفى قول الرسول ﷺ إذا طبخت ... إلخ وقوله (بمعروف) إيماء إلى أنه ينبغى أن يكون المرسل به إلى الجيران شيئا به نفع فى الأئتدام ، فإن لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره ففى الحديث (لا تحقرن من المعروف شيئا) يخرج ويكون المهدى إليه مأمور بقبوله ذلك والمكافاة عليه ولو بالشكر فإنه وإن كان قليلا دليل على تعلق قلب المهدى بجاره . وهذا مايهدف إليه الإسلام ويدعوا إليه ، ولذا جاء فى الحديث النهى عن الاحتقار نهى للمعطية المهدية وكأن معنى حديث (يانساء المسلمات .... إلخ) لاتمنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندهابل يجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاه وهو خير من العمل قال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾(١) .

وقال الرسول ﷺ ﴿اتقوا النار ولو بشق تمرة ﴾(٢) وفى الحدث حتى رأيت وجه الرسول ﷺ يتهلل فرحا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وتعاونهم على البر والتقوى وينبغى للإنسان إذا رأى شيئا من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لمايرى ماعليه المسلمين من التآذر والتراحم والأبداء بالخيرات وسن السنن الحسنات ، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات ولزيادة التأكيد علي حق الجار على جاره جاء الحديث يؤكد أنه

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧، ٨.

(٢) مسلم بشرح النووى : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة وأنواعها ١٠٢/٧ عن عدى بن حاتم والمنذرين جرير عن أبيه

لايمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره [1] .

وفي قوله (لايمنع) بالجزم على أن لاناهية ، وبالرفع على أنه خبر بمعنى النهي ، ولأحمد (لايمنعن) بزيادة نون التوكيد وهي تؤيد رواية الجزم ، والحديث يستدل به على أن الجدار إذا كان لواحد وله جار فأراد أن يضع جزعه عليه جاز سواء أذن المالك أم لا فإن امتنع أجبز وأجبر المالك علي ذلك وأيد ابن حجر القول بوجوبه وقال : وقد قوى الشافعي في القديم القول بالوجوب بأن عمر قضى به ولم يخالفه أحد من أهل عصره فكان اتفاقا منهم على ذلك أ.هـ

ودعوى الأتفاق هنا أولى من دعوى المهلب من الماكية لقول أبي هريرة ﴿مالي أركم عنها معرضين ﴾ بأن الحمل كان في ذلك العصر علي خلاف ماذهب إليه أبو هريرة قال : لأنه لو كان على الوجوب لما جهل الصحابة تأويله ولا أعرضوا عن أبي هريرة حين حدثهم به ، ودعوى الأتفاق أولي وأقوى لأن أكثر عصر عمر كانوا صحابته وغالب أحكامه منتشرة لطول ولايته ، وأبى هريرة إنما كان يلي إمرة المدينة نيابة عن مروان في بعض الأحيان . وأيد الشافعي ماذهب إليه بما أخرجه مالك ورواه هو عنه بسند صحيح أن الضحاك بن خليفة سأل محمد بن مسلمة أن يسوق خليجا له فيمر به في أرض محمد بن مسلمة ، فامتنع فكلمه عمر في ذلك فأبى ، فقال : والله ليمرن به ولو علي بطنك ، فحمل عمر الأمرعلي ظاهره وعداه إلى كل مايحتاج إلي الأنتفاع به من دار جاره وأرضه . وفي دعوى العمل على خلافه نظر فقد روي ابن ماجه من طريق عكرمه بن سلمة أن أخوين من بني المغيره أعتق أحدهما إن عرز أحدا في جداره خشبا فأقبل مجمع بن جاريه ورجال كثير من الأنصار فقالوا : نشهد أن رسول الله ﷺ قال :......... الحديث ، فقال الاخر : يا أخى قد علمت

---

(١) الحديث تقدم ص ٤٦

أنك مقضى لك عليّ وقد خلفت ، فأجعل اسطوانا دون جدارى ، فاجعل عليه خشبك »[1] .

والإسلام دائما ينمى فى المؤمن روح الأخوة ويهذب ذوقه ويحيي فيه أدب رفيع.فكما حكم له بذلك ، فكان لابد من تقدم استئذان الجار فقد جاء في بعض طرق الحديث « من سأله جاره».

وأيضا فإن محل الوجوب عند من قال به أن يحتاج إليه الجار ولا يضع عليه مايتضرر به المالك ، ولا يقدم على حاجة المالك ، ولا فرق بين أن يحتاج فى وضع الجذع إل ثقب الجدار أولا ، لأن رأس الجذع يسد المنفتح ويقوى الجدار.

والأمر بإكرام الجار يختلف بإختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفايه ،وقد يكون مستحبا ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق [٢] .

ويندب تقديم الأقرب فالأقرب والحكمة من أن الأقرب يرى مايدخل بيت جاره من هدية وغيرها فيتشوق لها بخلاف الأبعد ، ولأن الأقرب أسرع إجابة لمايقع لجاره من المهمات ولا سيما فى أوقات الغفلة . قال ابن أبي جمرة : الإهداء إلى الأقرب مندوب لأن الهدية فى الأصل ليست واجبة فلا يكون الترتيب فيها واجبا.

حد الجوار (حق الجوار فى قرب الأبواب).

روى البخاري سنده عن عائشة ﵂ قالت : قلت يارسول الله إن لى جارين ، فإلى أبهما أهدى ؟ قال : إلي أقربهما منك بابا[٣] .

---

(١) ابن ماجه : كتاب الأحكام : باب الرجل يضع خشبة علي جدار جاره ٢/٧٨٣ فى الزوائد هشام بن يحيى بن العاص المخزومى ذكره ابن حبان فى الثقات وقال الذهبى : مختلف فيه ، وعكرمه لم أر من تكلم فيه لابتجريح ولا بيتوثق . وقال : ليس لمجمع هذا عند المصنف ولا بقية الكتب غير هذا الحديث.

(٢) فتح البارى ١٠/٤٦٠

(٣) البخارى ك كتاب الآدب : باب حق الجوار فى قرب الأبواب ١٠/٤٦١

وقد اختلف العلماء فى حد الجوار

فجاء عن على ﷺ ﴿ من سمع النداء فهو جار ﴾ وقيل « من صلى معك الصبح فى المسجد فهو جار » وعن عائشة « حد الجوار أربعون من كل جانب » وعن الأوزاعى مثله ، وأخرج البخارى فى الأدب المفرد مثله عن الحسن ، وهذا يحتمل كالأولى ، ويحتمل أن يريد التوزيع من كل جانب عشرة[1] .

وإذا كان الأمر كما ذكر فى حد الجوار ، فكأن الإسلام يربط بين أفراد المجتمع برباط الأخوة ، وأهتمام بعضهم بالبعض الآخر واعتناء بشأن الأقرب فالأقرب عند المضايقة ، وقد قدم من قرب بابه علي من بعد علي رأى من قال فى تفسير قوله تعالى [واعبدوا الله ولا تشرَكوا به شيئا ... إلخ] علي أن المراد بالقرب القرب بالمجاورة على الجار الجنب . قال الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد غضاضة　　　من وقع السيوف المهند

وخير الجيران خيرهم لجاره[2] وأكرمهم منزلة عند الله تعالى أكرمهم عنده منزلة قال تعالى { إن أكرمكم عند الله أتقاكم }[3] وورد مايعم ذلك فى حديث (الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعباده) فانظر يارعاك الله إلى تعاليم الإسلام السامية ، وأسسه القائمة التى تربط بين الناس برباط وشيج لاينفصم إذا روعيت ، أما وقد ضيعت تلك القيم الآن فخر البنيان وألحق بالمسلمين العار والشنار ، ففرقوا دينهم وكانوا شيعا ، فلله الأمر وإليه المرد.

ثانيا : أن يكرم المؤمن ضيفه

إكرام الضيف خصلة حميدة وسنة رفيعة يتحلي بها من كمل إيمانه

---

(١) وانظر الفتح ١٠/٤٦١ ، ٥/١٢٢،١٢٢ وشرح النووى ١١/٤٧

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله > خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » قال أبو عيسى : حديث حسن غريب . سنن الترمذى : كتاب البر والصله : باب ماجاء فى حق الجوار تحفه ٦/٥٠

(٣) الحجرات بعض آيه ١٣

وقوى يقينه ، وعرف بين الناس بالشهامة والمروءة ، وهي عنوان التآخي ، ونوع من الإيثار يورث بين الناس المحبة والوئام ويذهب من بينهم الخصام فهي من الأسس التى تجمع ولا تفرق وقد وصف الله عز وجل من أكرم ضيفه بأنه من المكرمين قال تعالى ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم مكرمون . فراغ إلي أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم فقال ألا تأكلون ﴾ (١).

فحينما دخلوا عليه حياهم ونفتحت أساريره في محياهم ، وذهب إلي أهله وذهب إلي أهله مع أنه لا يعرفهم وذلك من آداب الضيافة أن يحفى إتيانه بالضيافة عن الضيف ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ مستوي كما فى الآية الأخرى - فجاء بعجل حنيذ سمين فقر به إليهم فقال : ألا تأكلون ذكره بصبيعة العرض تلطفا فى العبارة ، وقال تعالى ﴿ وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ... ﴾ (٢). يهرعون يسرعون إليه عجلة لينل مطلوبهم من أضيافه ومنع لوط عليه السلام قومه من إيذاء أضيافه خوفا من إخزائه أمامهم فإخزاء ضيف الشخص إخزاؤه فدل على الأهتمام بالضيف ودفع المؤذيات عنه ولو بما يتأذى به من المضيف فذلك من الإكرام المأمور به له (أليس منكم رجل رشيد) يعرف حقيقة ما أقول وقد أثنى الله عز وجل على الأنصار من إيثارهم الضيف علي أنفسهم وأهليهم قال تعالى ﴿ ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾(٣).

وفى حديث البخاري عن أبى هريرة ﷺ قال: ﴿ أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أصابنى الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله ؟ فقام

---

(١) الزاريات من ٢٥ -٢٧

(٢) هود من الآية ٧٨

(٣) سورة الحشر بعض آية ٩

رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله ﷺ فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخر يه شيئا . فقالت : والله ماعندى إلا قوت الصبية . قال : إذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالىْ فأطفئ السراج ونطوى بُطوننا الليلة . ففعلت . ثم غدا الرجل علي رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانه . فأنزل الله عز وجل ﴿ويأثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(١) .

ومن إكرام الضيف تلقيه بطلاقه الوجه وتعجيل قراه والقيام بخدمته بنفسه ، وحسن استقباله .

عن أبى شريح الخزاعى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته؟ قال : يوم وليلتهُ ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه » وفى رواية لمسلم : ولا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمهُ ، قالوا : يارسول الله وكيف يؤثمه ؟ قال : يقيم عنده ولاشيئ له يقربه ﴾(٢) .

والمراد بجائزته إكرام يومه وليلته وكما جاء فى الحديث (الضيافة ثلاثة أيام) واختلف هل الجائزة منها أو زائدة عليها ، فإن كان منها قدر كما ذكر وإلا قدر جائزته زيادة يوم وليلته على أيام الضيافة الثلاثة لكن قوله (وما وراء ذلك) آى زيادة عليه (فهو صدقة) يؤيد أنها منها ، وقد قال العلماء : المطلوب من المضيف أن يبالغ فى إكرام الضيف اليوم الأول وليلته ، وفى باقى اليومين يأتى له بما يتيسر من الإكرام غير مبالغ فيهما كاليوم الأول.

وفى رواية لمسلم (ولا يحل) أي يجوز (لمسلم) التنكير فيه للتعميم (أن

---

(١) البخارى : كتاب التفسير : باب ويأثرون على أنفسهم فتح ٨/٥٠٠

(٢) البخاري : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره ١٠/٤٦٠ عن أبى شريح ومسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب الحث على أكرام الجار والضيف ٢/٢٠ عن أبى شريح

يقيم عند أخيه) والتعبير بأخيه فيه من الحث على النظر إلي حاله والتخفيف عنه فإن ذلك شأن الأخوة (حتى يؤثمه) أى إلى أن يوقعه فى الإثم (قالوا : يارسول الله وكيف يؤثمه ؟) أى يوقعه فيه قال : (يقيم عنده ولا يجد شيئا يقدمه) .

فيؤدى ذلك إلى الوقيعة فيه واغتيابه وإلى الأستدانة المفضية إلى الكذب وخلف الوعد كما فى حديث يارسول الله ما أكثر ما تستعيد من المعزم فقال : إن الرجل إذا غرم وعد فأخلف وحدث فكذب »

وتقديم الطعام للضيف لازم ولا يتكلف ماليس عنده ، فإن لم يكن عنده شيئ فلا يسوغ له حينئذ التكلف بالطبخ ونحوه .

وجواز الفطر معه من صوم التطوع . وهو قول الجمهور ولم يجعلوا عليه قضاء إلا أنه يستحب له ذلك ودليلهم حديث أم هانئ أنها دخلت علي النبى ﷺ وهى صائمة فدعا بشراب فشرب ثم ناولها فشربت ، ثم سألته عن ذلك فقال : أكنت تقضين يوما من رمضان ؟ قالت : لا ؟ قال : فلا بأس . وهذا وإن دل على شيئ فإنما يدل علي إكرام الضيف ، ومن إكرامه أيضا عدم إظهار الغضب والجزع عنده(١).

وحديث البخارى فى قصة أضياف أبى بكر التى ذكرها فى كتاب الأدب ١٠/٥٥١ دليل لذلك ففيها أن أبا بكر غضب أمام أضيافه ، وكان سبب غضبه من عدم تقديم عبدالرحمن الطعام لهم فى غيبته ، وقد ترجم الإمام البخاري لذلك بقوله (مايكره من الغضب والجزع عند الضيف)

وما تقدم من إكرام الضيف هو الإكرام الشرعى الجائز ، وأما مايفعله بعض الناس اليوم من منكرات الضيافة فلا ؟ ؟ مثل فرش الحرير للرجال ، وتبخير البخور فى مبخرة من فضة أو ذهب أو الشراب فى آنيتهما ، أو تقديم

---

(١) دليل الفالحين ٢/١٤١، ٣/ ١٨٤ و١٨٥

مسكر ، أو سماع أوتار ، واجتماع النساء مع الرجال فى مجلس واحد ، أو الأجتماع مع مبتدع يتكلم فى بدعة إلا إذا كان يقدر على الرد(١).

والإسراف فى الطعام وغير ذلك مما نسعمه وتشاهده ، فليست الضيافة شرعية ولا تكون بذلك صورة من صور المآخاة الإسلامية لأن هدف الشرع المآخاة بين المسلمين ، والضيافة صورة من وصورها إذا اجتنبت المنكرات ، فهى تألف بين القلوب وتزيد فى المحبة فزيارة الإخوان والمبيت عندهم تجمع ولاتفرق وهذا ماحرص عليه الإسلام ومن أكمل صورها مآخاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فاخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى وكان سعد ذا غنى ، فقال لعبد الرحمن : أقاسمك مالى نصفين وأزوجك ، قال : بارك الله لك فى أهلك ومالك .. إلخ)(٢).

ثالثا : الحث على قول الخير والصمت علي مالا خير فيه وعدم الخوض فى أعراض الناس وكثرة القيل والقال ، وقد يكون سببا من أسباب العداوة بين الإخوان ، واستشراء الشر بين المتحابين ، ولذا أمر الإسلام أن يمسك المسلم لسانه ، وترك العنان له مفسدة كبيرة وكما يقول القائل

جراحات السهام التآم ولا يلتام ماجرح اللسان

وفى الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) والحديث من جوامع كلمه ﷺ لأن القول كله إما خير وإما شر ، وإما ايل إلى أحدهما ، فدخل فى الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها مأنون فيه على أختلاف أنواعها ، ودخل فيه مايؤول إليه ، وماعدا ذلك مما هو شر أويئول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت.

---

(١) إحياء علوم الدين ٤٢١/٣ ومابعدها ط دار مصر للطباعة

(٢) البخاري : كتاب البيوع : وقوله وأحل الله البيع ٣٣٧/٤

قال الشافعي رحمه الله تعالى : في قوله (خيرا) لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به ، فإذا ظهر له أنه خير محقق لايترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه أتى به .

(أوليسكت) فيطلب الصمت حتى عن المباح لأنه ربما أدى إلى محرم ومكروه ، ويفرض أنه لا يؤدى إليهما ففيه ضياع للوقت فيما لايعنى وقد ورد (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعينه)(١).

والحديث من القواعد العظيمة لأنه بين فيه جميع أحكام اللسان الذى هو أكثر الجوارح فعلا ، وبهذا الأعتبار يصح أن يقال فيه إنه ثلث الإسلام ، وقال بعضهم : جميع آداب الخير تتفرع منه ، ويشار فيه إلى سائر خصال البر والصلة والإحسان ، لأن اكدها رعاية حق الجوار ، وبهذا الأعتبار يصح أن يقال فيه إنه نصف الإسلام ، لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق وهذا أفاده الثانى لأن وصلة الخلق تستلزم رعاية جميع حقوقهم.

وحفظ اللسان أكمل للعبد وأحفظ له دينا ودنيا ، فالإنسان لا يجنى من وراء لسانه إلا سخط الله جل وعلا ، وإساءة الظن بعباده ، وسبا ولعنا وبغضا وتضجرا وقسوة فى القلب فعن بلال بن الحارث المزنى عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ماكان يظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه ﴾(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة القلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى ﴾(٣).

---

(١) ابن ماجة : كتاب الفتن : باب كف اللسان في الفتنة ١٣١٥/٢ عن أبى هريرة

(٢) موطأ مالك : كتاب الجامع : باب مايؤمر به من التحفظ فى الكلام تنوير الحوالك ١٤٨/٢

(٣) الترمذى شرح التحفة : كتاب الزهد : باب ماجاء فى حفظ اللسان ١١٧/٧ قال أبو عيسى حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب

مايستفاد من الحديث

١) وجوب إمساك اللسان عن الشر ، والأمر بقول الخير .

٢) إن الإمساك عن الشر ، وإكرام الضيف والجار من صفات المؤمن التى يثاب عليها ، لا أن صفة الإيمان تنتفى عنه بانتفائها.

٣) منع الأذى عن الجار ، ووجوب إكرامه والإحسان إليه ، وقد جمع النبي ﷺ حقوق الجار فيما رواه معاذ بن جبل وغيره قال : قلنا يارسول الله ماحق الجوار ، إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له وإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ به ولده.

٤) الجيران ثلاثة جار له حق وهو المشرك له حق الجوار وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ،وجار له ثلاثة حقوق وهو جار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم (١).

والله أعلم.

---

(١) فتح ١٠/٤٦٠ وص ٤٥٦

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٧) عن النعمان بن بشير ﵁ عن النبي ﷺ قال :

﴿مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلَها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقَوا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا فى نصيبنا خرْقًا ولم نُؤذ من فوقنا فإنْ يتركوهُم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ﴾(١).

التعريف بالنعمان بن بشير ﵁

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس بن زيد الأنصارى الخزرجى يكنى أبا عبدالله له ولأبيه صحبة ولد النعمان على رأس أربعة أشهر من الهجرة وهو أول مولود من الأنصار بعد الهجرة ، روى عن رسول الله ﷺ مائة وأربعة عشر حديثا (١١٤) ، قتل بالشام بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين (٦٤)(٢).

الأبحاث العربية

القائم : إسم فاعل من قام يقوم والمصدر قيام والقيام علي أضرب : قيام الشخص إما بستخير ، أو أختيار ، وقيام للشيئ وهو المراعاة له والحفظ .

والمراد بالقائم فى الحديث . القائم على حدود الله الذى يراعيها ويحفظها

---

(١) البخارى : كتاب الشركة : باب هل يقرع فى القسمة ؟ والأستهام فيه فتح ٥ / ١٥٧ والترمذى : كتاب الفتن : باب منه ٦/ ٣٣١ تحفه عن النعمان بن بشير

(٢) الأصابة ٦/٣٤٦ طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣ تهذيب التهذب ١٠/٤٤٧

من وقوعه أو وقوع غيره فيها ، فيقوم بواجب الدعوة .

(حدود الله) الأشياء التى بين تحريمها وتحليلها ، وأمر أن لايتعدى شيئ منها فيتجاوز إلى غير ما أمر فيها أو نهى عنه منها ، ومنع من مخالفتها ، واحدها حد(١) .

(الواقع) الوقوع السقوط ، والمراد به هنا المرتكب للمنكرات (٢).

(قوم) القوم فى الأصل الجماعة من الرجال وهى مأخوذة من القيام ، لأن الرجال قوامون على النساء (٣)، والمراد بها فى الحديث الجماعة بغض النظر عن جنسهم .

(استهموا) الاستهام الاقتراع ، والمراد به هنا بيان الأنصبة في القسم وفى التنزيل (فساهم فكان من المدحضين) ويقول : قارع أهل السفينة فقُرع(٤).

(لو أنا خرقنا) الخرق الشق فى الحائط والثوب ونحوه يقال فى ثوبه خرق وهو فى الأصل مصدر (٥). والمراد به قطع الشيئ على سبيل الإمساك .

الشرح والبيان

الإسلام سبيل الحياة السعيدة ، وطريق يوصل إلى عيشة هنية .

(لاضرر ولا ضرار) اعتبر المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة (الفردية) وأن الضرر الخاص يحتمل لدفع الضرر العام واعتبر الإسلام أن

---

(١) لسان العرب ١/٧٩٩ مادة جدر

(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٨٩٤ مادة وقع

(٣) لسان ٥/ ٣٧٨٦ مادة قوم

(٤) لسان العرب ٣/ ٢١٣٥ مادة سهم

(٥) المرجع السابق ٢/ ١١٤١ مادة خرق

المجتمع الإسلامى كل لا يتجزأ (إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) التعاون على البر والتقوى هو أساسه والبر فعل ما أمر به الشرع والتقوى ترك مانهى الله ورسوله عنه ، وهذا الأمر عام فى سائر الطاعات ، فرض فى الفروض ،مندوب فى المندوب قال تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(1).

إشارة إلى أن الدعاة إلى الحق والخير أفضل الأمة ولذا ميزهم بالذكر وفى قوله (منكم) إشارة إلى أن الناس ليسوا سواء بل تتفاوت مراتبهم إذ فيهم العالم والأعلم ، والفاضل والأفضل .

قال تعالى ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (2).

(لفى خسر) خسران ونقصان ، إذا ضاعت الساعة منه في معصية وهو الخسران المبين الظاهر ، أو فى طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر علي الأتيان به ، فكان فى فعل غير الأفضل تضييع وخسران أيضا ، فبان بذلك أن الإنسان لاينفك عن خسران

(إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات) فليسوا فى خسر ، وكل مامر من عمر الإنسان فى طاعة الله فهو فى صلاح وخير وماكان بضده فهو فساد وهلاك .

(وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا بالإيمان والتوحيد وتواصوا بالصبر على الطاعة وعن المعصية وكأن مقاصد سورة العصر مؤدية ومنبهة بشرف

---

(1) آل عمران آية ١٠٤

(2) العصر من ١ – ٣

التـواصي بالحق وبالصـبـر ، ومن عـمل البـر ، وخـسـران من لم يكن كذلك[1] .

وبذلك يصبح المجتمع وحدة متكاملة لا ينفصل جزء عن آخر ، وبخاصة فيمـا يرضى الله عز وجل ، وإذا مـاحدث خلل فيـه يسـأل عنه أفـراد المجـتمع جميعا ويحاسبون على تقصيرهم في أداء واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخيـر ، والحديث مثل لذلك يضـربه رسول الله ﷺ وهو يشمل فرق ثلاثة . الناهي عن المعصية ، والواقع فيها ، والمرائي في ذلك ، وبيان وجوه الفرق الثلاثة في المثل المضروب أن الذين أرادوا خرق السفينة هم الواقعون في حدود الله الذين أخطئوا في منهاج حياتهم الذى اتبعوه ، فسلكوا سبيل الزيغ والضلالة ، ونشـروا الفساد بين أفراد الإنسانية تحدوهم في ذلك الشهوات ، وتحثهم الأهواء .

زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فـهم لا يهتدون ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم . ثم من عداهم إما منكر ، وهو القائم على حدود الله ، وإما ساكت وهو المداهن ، (كما جاءت بذلك رواية الترمذي) .

أمـا الذين أنكروا المنكر فـهم الذين ينظرون إلى المجـتمع نظرة الفاحص المدقق ، نظر المراقب لكل حـركـة فيـه تؤثر على سيـره ، وتطعن منهاجـه القويم وتعطب طريقه المستقيم ، فهم لا يدعون مجالا لآثم ينخر في جسم المجتمع ، ولا يتركوا لفاسد متسعا ينفذ منه لينشر فساده بين أفراد الناس ، وجماعاته ، ويقطعون أمامه كل سبيل فأولئك هم الذين وصفهم جل وعلا بقوله (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)[2].

كرهوا المنكر وأنكروه ، وخافوا منه فحاربوه بما وجب عليهم فبرءوا من

(١) دليل الفالحين ١/ ٤٤٦ وتحفة الأحوزي ٦/٣٢١ وإحياء علوم الدين ٢/٢٨٢ ومابعدها

(٢) الأعراف آيه ١٦٥

الواجب وسلموا من الأثم . بإنكارهم له باطنيا ومقاومتهم لأصحابه ظاهريا ، فهم الذين اقتفوا أثر سلفهم وصاروا على نهجهم وهديهم لا يخافون ولا يدهنون ، فأقاموا المعروف ونهوا عن المنكر .

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : « بايعنا رسول الله ﷺ علي السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى آثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم)[1] متفق عليه.

وأما الطائفة الثالثة فهم الذين رأوا المنكر بأعينهم فأغمضوها دونه وسمعوا الفساد بآذانهم فصموها ، كأنهم ليسوا من أفراد المجتمع ،ولا يهمهم ما يحدث فيه مع ظنهم الخير فى أنفسهم ، فهؤلاء لا خير فيهم وليسوا من أهل الفلاح والصلاح قال تعالي (ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) [2].

وهكذا صورنا الحديث بأننا نعيش فوق هذه الأرض كركاب السفينة فينا البر والفاجر والصالح والطالح فإن تركنا أهل الشر والفساد يسرحون ويمرحون ، ويفعلون ما يحلو لهم دون أن ننصح لهم ونخرهم إلى مافيه خيرهم ونأخذ على أيديهم إذا أرادوا الشرّ أو تطلعوا إليه ، كان ذلك سببا فى هلاكنا جميعا بعقوبة عاجلة قال تعالي (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد)[3]. وقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)[4]. وإلا فالنجاة للمجتمع بأسره ، وفقنا الله إلى العمل لمرضاته والبعد عن منكراته .

---

(١) البخاري : كتاب الأحكام : باب كيف يبايع الأمام الناس فتح ٢٠٤/١٣ ومسلم شرح النووي : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ٢٢٨/١٢

(٢) آل عمران ١٠٤

(٣) هود آية ١٠٢

(٤) الأسراء آية ١٦

مايستفاد من الحديث.

١) إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه ، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها .

٢) استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣) يبين العالم الحكم بضرب المثل .

٤) وجوب الصبر على أذى الجار إذا خشى وقوع ماهو أشد ضررا ، وأنه ليس لصاحب السفل أن يحدث علي صاحب العلو ما يضربه ، وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه ، وأن لصاحب العلو منعه من الضرر[١] .

٥) المجتمع وحدة متماسكة لا يُفصل جزء عن آخر وبخاصة فى التصرف .
والله أعلم.

---

(١) فتح البارى ٥/٢٣٩

تحريم الهجران بين المسلمين
فوق ثلاث أيام بلا عذر شرعي

٨) عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ﴾[١].

أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بني النجار من السابقين حضر العقبة وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وكان مسكنه المدينة ، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى مسجده وبيوته ، وآخي النبي ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير واستخلفه عليّ على المدينة لما خرج إلى العراق وشهد معه قتال الخوارج وتوفي في غزاة القسطنطينية سنة أثنتين وخمسين (٥٢) هـ[٢].

الأبحاث العربية

(لايحل لمسلم أن يهجر أخاه) الهَجْر ضد الوصل هجره يهجره هجرا وهجرانا والهجر ضد الوصل ، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجده أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة ، دون ما كان ذلك في جانب الدين ، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ، مالم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق [٣].

---

(١) البخاري : كتاب الأدب : باب الهجرة وقول النبي ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث فتح ١٠/٥٠٧ ومسلم بشرح النووي : كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الهجرة فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي ١٦/١١٧

(٢) الأصابة ٢/١٩٩ والأستيعاب ٤/٥ والثقات لابن حبان ٣/١٠٢ ط مجلس دائرة المعارف حيدر أباد

(٣) لسان العرب ٦/٤٦١٦ مادة هجر

والمراد ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا وهى فى الأصل الترك فعلا أو قولا ، وليس المراد ترك الوطن ، والمراد بالأخوة الأخوة الدينية قال تعالى (إنما المؤمنون أخوة)(١).

(فوق ثلاث ليال) وفى رواية أخري (فوق ثلاثة أيام) (٢).

فأفادت هذه الرواية أن المراد ثلاثة أيام بلياليها فحيث أطلقت الأيام أريد بلياليها وحيث أطلقت الليالى أريد بأيامها ويكون الأعتبار مضى ثلاثة أيام بلياليها إذا أبتدأت مثلا من الظهر يوم السبت كان نهايتها ظهر يوم الثلاثاء ، ويحتمل أن يلغى الكسر من السبت فيكون أول العد من ابتداء اليوم أو الليلة ، والأول أحوط.(٣)

﴿ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ﴾

الجملة بيان لكيفية الهجر أو استئنافية بيانية واقعة فى جواب سؤال مقدر كأن سائلا سأل وكيف ذلك ؟ فقال : (يلتقيان .... إلخ)

الشرح والبيان

فى الحديث الشريف يحذر النبى ﷺ المسلمين من التقاطع والتهاجر ويبين الله عز وجل أن ذلك خلاف مقتضى الأخوة قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (٤)

وقال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ (٥)ومن الأثم والعدوان قطيعة المسلم وهجرانه بلا عذر شرعى يبعد عن رحمة الله وغفرانه ويقرب من الشيطان عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

---

(١) الحجرات ١٠ بعض اية

(٢) البخاري رواية أنس ٤٩٦/١٠.

(٣) فتح ٥٠٧/١٠

(٤) الحجرات أيه ١٠

(٥) المائدة من الآية ٢

ﷺ قال : تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقالُ انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا) (١).

قال القاضي : قال الباجي : معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل . والشحناء العداوة كأنه شحن بغضا له لملائه .

فتؤخر أعمالهما حتى يفيئا أي يرجعا إلى الصلح والمودة وكرر ﷺ الصلح للتأكيد اهتماما بأمره.

والحديث ظاهر في تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأول بالنص ، وفوق الثلاث بمفهومه.

وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض . ولأن هذه المدة التي تهدأ فيها ثورة الغضب وتسكن عادة ، أما الزيارة على الثلاث فهي من قبيل العناد في الخصومة ومن علامات النفاق وفساد القلب (٢).

ثم بين الرسول ﷺ مايفعله المسلم بعد الثلاث من أنهما إذا إلتقيا فإن خيرهما وأفضلهما ثواباهو الذي يبدأ بالسلام فإن رد عليه فقد اشتركافي الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالأثم وخرج المسلم من الهجر فعن أبي هريرة رضي الله عنه « فإن مرت به ثلاث فلقيه فليسلم عليه فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد باء بالآثم وخرج المسلمُ من الهجر (٣)» .

وهذا بالنسبة للهجر بلا عذر شرعي أما الهجر بسبب شرعي فلا إثم فيه ويجوز ذلك لمن عصى الله بل هو من باب إنكار المنكر ونوع من أنواع التربية

---

(١) مسلم شرح النووي : كتاب البر والصلة والآداب : باب النهي عن الشحناء ١٢٢/١٦ وانظر شرح النووي ١٢٢و ١٢٣

(٢) فتح الباري ٥٠٧/١٠ وشرح النووي ١١٧/١٦

(٣) أبو داود : كتاب الأدب : باب فيمن يهجر أخاه المسلم ٣٠٢/٤ وصححه ابن حجر في الفتح ٥١١/١٠

والتهذيب ولعل من ذلك ما ذكر فى شأن الثلاثة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك ونهى النبى ﷺ السلمين عن كلامهم ، وذكر خمسين ليلة بل وأمر نساءهم أن يعتز لنهم وقد أثمر هذا التأديب وذلك الإنكار ثمرته فى نفوسهم وأحسوا به إحساسا وآلمهم غاية الألم فتابوا ورجعوا بعد أن علموا أن لا ملجأ إلى الله إلا إليه قال تعالى ﴿ وعلى وعلي الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عيهم ليتوبوا ﴾(1) .

فتاب عليهم وعفا عنهم إنه هو التواب الرحيم ﴿ لقد تاب الله علي النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم ﴾ (2).

وهذه صفة الهجران الجائز وأنه يتنوع بقدر الجرم ، فمن كان من أهل العصيان يستحق الهجران بترك المكالمة كما في قصة كعب وصاحبيه ، ما كان من المغاضبة بين الأهل والإخوان فيجوز الهجر فيه بترك التسمية مثلا أو بترك بسط الوجه مع هجر السلام والكلام كما جاء عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ « إنى لأعرف غضبك ورضاك . قالت : قلت وكيف تعرف ذاك يارسول الله ؟ قال : إنك إذا كنت راضية قلت بلى ورب محمد ، وإذا كنت ساخطة قلت لاورب إبراهيم . قالت قلت : أجل ، لا أهجر إلا اسمك »(3) .

وقد وقع ذلك مع تغلغل حب النبى ﷺ فى قلبها ، ولما وقعت قصة الإفك للسيدة العفيفة عائشة ﵂ وتغير قلب النبى ﷺ لذلك .لم يهجر عائشة فى السلام والسؤال عنها ولكنه لم يلاطفها ويؤانسها كما كان شأنه معها ولا سيما حينما تشتكى وهجران المسلم العاصى والمبتدع باللسان لأنه ينزجر بذلك غالبا إذ الشأن فى المسلم أن يتألم لمقاطعة إخوانه المسلمين له ؛

(1 ، 2) التوبة 117و118 وانظر تفسير ابن كثير 2/397 ومابعدها

(3) البخاري : كتاب الأدب : باب مايجوز من الهجران لمن عصى فتح 10/512

أما الناشر فهجرانه بالقلب وترك التودد والتعاون والتناصر لا سيما إذا كان حربيا ، ولم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره .

وإن كان يشترك مع المسلم في الكلام فدعوة كل منهما إلي الطاعة ، بخلاف المودة فهي خاصة بالمسلم ، قال تعالي ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾[(١)] .
قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه لايجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل علي نفسه أو دنياه مضره فإن كان كذلك جاز ، فرب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية[(٢)] .

وأكثر العلماء على أن الهجر يزول بمجرد رد السلام وهى المرتبة الأدنى والوعيد الشديد لمن يترك هذا المقام بالنسبة للأجانب والأعلى بذل السلام والكلام والموادرة بكل طريق ومن تركه بالنسبة للأجانب فلا يلحقه اللوم . بخلاف الأقارب فإنه يدخل فيه قطيعه الرحم . وإلى هذا أشار ابن الزبير فى حديث عائشة حين قالت هو لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدا .... إلخ . وقول ابن الزبير « فإنه لايحل قطيعتى »[(٣)] . أى إن كانت هجرتى عقوبة على ذنبى فليكن لذلك أمد ، وإلا فتأبيد ذلك يقتضى قطيعة الرحم .

وأما لو كان غائبا وكاتبه أو راسله عند غيبته فالأصح أن يزول الإثم بزوال الوحدة والقطيعة.

وعليه فإن الفرد فى المجتمع الإسلامى لابد أن يكون مؤثرا ومتأثرا مؤثرا في أهل الفسوق والعصيان بالإنكار عليهم ونبذهم وإرجاعهم عن غيهم بمايراه من وسيلة فعالة ، فلعل ذلك منه يرجع أهل الفسوق والفجور والظلم إلى سالف عهدهم ، ويترابط المسلمون فيما بينهم بالعرى الوثيقة التى لانفصام لها .

ويتأثر بما يصيب المجتمع من ترك الغاوى علي غوايته فيستشرى الفساد

---

(١) الممتحنة من الآية ١
(٢) فتح البارى ٥١١/١٠
(٣) البخاري : كتاب الأدب : باب الهجرة وقول الرسول ﷺ « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فتح ٥٠٦/١٠

ويعـز على المصلحين الإصـلاح فـتـضـعـف مكانة الفـرد وهذا يؤدى إلي ضعف المجتمع ، وتظهر فيه عادة عدم المبالاة بما فرط فى جنب الله وقام به من المعصية وتجاوز الحدود أو تفاخر بذلك أمام من يحبون العصيان ويد تمر ئونه ، وربما دفعه ذلك إلى حب انتشار المعصية فى المجتمع الإسلامى وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين والإسلام يدعوا أبناءه إلى التعاون علي البر والتقوى وترك التفرق والأختلاف ليهنأ بهم مجتمعهم ويهنأون بالعيش فى رحابه .

مايستفاد من الحديث .

١) عدم هجران المسلم لأخيه المسلم فوق ثلاثة أيام أما الثلاثة فقد تسومح فيها مراعاة للطبيعة البشرية فقد ركب فيها القوة الغضبية وغالبا ماتزول فى هذه الثلاثة ، أما هجران الكافر فهو جائز ولا إثم فيه .

٢) إنكار المنكر بأى وسيلة من الوسائل ولو كان بالهجران وهو جائز لأهل الفسوق والمعاصى كى يكون ذلك راد عالهم.

٣) إن المتهاجرين يخرجان من الإثم بإلقاء السلام من أحدهما والرد من الآخر وإلا فهما آثمان إن أعرض كل منهما عن الآخر فإن سلم أحدهما وأعرض الآخر خرج المسلم من الهجر وأثم من أعرض ، لأن السلام من دواعى الألفة والمحبة ، والمحبة عنوان الإيمان والإيمان طريق الجنة قال رسول الله ﷺ : « لاتدخلوا الجنة حتي تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » (١).

والسلام يرفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التى هي الحالقة ، وأن سلامه لله لايتبع فيه هواه ولايخص أصحابه وأحبابه به .

والله أعلم.

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ٢/٣٥

تعظيم حرمات المسلمين

وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

٩ - عن النعمان بن بشير ﵄ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾[١] .

النعمان بن بشير ﵄

الأبحاث العربية

(مثل) أى صفة المؤمنين[٢] .

(توادهم) الود المحبة [٣]، والتواد : تفاعل من المودة وهى تقرب شخص من آخر بما يحب ، والمقصود : تبادل المودة بين المؤمنين (تراحمهم) الرحمة ، رقة تقتضى الإحسان إلي المرحوم[٤] . والمراد أن يتبادل المؤمنون الرقة والإحسان فيما بينهم.

(تعاطفهم) العطف : يقال عطف الشيئ على الشيئ إذا أثنى أحد طرفيه إلى الأخر[٥] .

(تداعى) أى دعا بعضه بعضه إلى بعض للمشاركة فى الألم ويقال : تداعت الحيطان أى تساقطت أو كادت[٦] .

---

(١) البخارى : كتاب الأدب : باب رحمة الناس والبهائم فتح ٤٥٢/١٠ ومسلم بشرح النووى : كتاب البر والصلة والآداب ١٤٠/١٦

(٢) لسان العرب ٤١٣٣/٥ مادة مثل

(٣) المرجع السابق ٤٧٩٢/٦ مادة ودد

(٤) المرجع السابق ١٦١١/٢ مادة رحم

(٥) المرجع السابق ٢٩٩٦/٤ مادة عطف

(٦) المرجع السابق ١٣٣٨/٢ مادة دعا

(الحمى) بضم الحاء وتشديد الميم ارتفاع درجة الحرارة بما يضر بالأفعال الطبيعية [١].

الشرح والبيان

أساس المجتمع المسلم أن يكون مجتمعا مترابطا متكاتفا يتعاون أفراده في الخير ويتعاون أيضا على نبذ الشر فيما بينهم ، وهذا المثل الذى ضربه النبى ﷺ يجب أن يجعله المسلم نصبَ عينيه ، يتمثله فى نفسه ، ويسير عليه بين أصحابه وأقاربه وجيرانه ، ليكون المجتمع الإسلامى الذى نعيش فيه المجتمع المثالى فى الأرض الذى يزهر بالأخلاق الحميدة ، ويشع بالتعاون والتكاتف ، والألفة والمحبة ، وذلك ليعود إلي الأرض المجتمع الذى كان يعيشه الصحابه رضوان الله عليهم فى ظل تعاليم رسول الله ﷺ وتربيته وتوجيهاته ، حتي كانوا المجتمع الذى يضرب به المثل فى الإيثار والمحبة ، والتآلف والتكاتف ، يتفانون فى محبة بعضهم بعضا ، وفى إيثار غيرهم علي أنفسهم حتي ولو كانوا فى حاجة وضيق.

وحياة الصحابة فى كل مظاهرها أمثلة رائعة علي ذلك التآلف وتلك المحبة ، فعندما يضرب رسول الله ﷺ هذا المثل إنما يضربه للحض علي معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لابد منه ، فإن البناء لايتم ولاتحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه ، وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه ، وكذا المؤمن لايشتغل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته ، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه ، وعن مقاومة مضاده فحينئذ لايتم له نظام دنيا ولادين ويلحق بالهالكين والتعاون علي البر والتقوى صفة المؤمنين الكاملين ، لذا كانت حياة الصحابة عليهم الرضوان فى كل مظاهرها أمثلة رائعة للتآلف والمحبة ، وكلما ازداد إيمان المرء ازدادت محبته للناس ورغبته فى أن يعينهم ويساعدهم ، ويسأل

---

(١) المرجع السابق ١٠٠٩/٢ مادة حم

... ﷺ يسأل عن صحابته ، ويعرف أخبارهم ويتفقد أحوالهم ، ويعودهم في منازلهم ويواسي مصابهم وكان الصحابة ﷺ على نفس النهج وتلك السيرة فضرب النبي ﷺ المثل من واقع يعيشه لأن الإيثار علي أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ديدنهم ويقدمون كل ما لديهم للدعوة وفي سبيل الخير.

مايستفاد من الحديث

١) (تراحمهم وتعاطفهم) قال ابن أبي جمرة : الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينهما فرق لطيف فالتراحم المراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لابسبب شيئ آخر ، والتوادد المراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، والتعاطف : المراد به إعانة بعضهم بعضا[١] .

٢) (المراد بالسهر والحمى) الظرف متعلق بتداعى ، وتداعيه بالسهر لأن الألم يمنع النوم ، وأما الحمى فإن فقد النوم يثيرها ، قال ابن أبي جمرة : شبه ﷺ الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء ، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف فإذا أخل المرء بشيئ من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل ، وذلك الجسد أصل الشجر وأعضاؤه كالأغصان ، فإذا اشتكى عضو من جسد اشتكت الأعضاء كلها بالاهتزاز والإضطراب[٢] .

٣) الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم علي بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه . ففي الحديث عن النعمان بن بشير ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : المسلمون كرجل واحد إذا اشتكي عينه اشتكى كله ، وإذا اشتكى رأسه اشتكي كله »[٣] .

والله أعلم

---

(١) فتح الباري ٤٥٣/١٠

(٢) فتح الباري ٤٥٤/١٠

(٢) مسلم بشرح النووي : كتاب البر والصلة والآداب ١٤٠/١٦

الحب فى الله والحث عليه

الحب فى الله دعامة قوية من الدعامات التى يقوم عليها المجتمع السليم وتنهض بها الأمة المتحابة المتآلفة فلا تمزقها الأحقاد ولاتشوه صورتها الأطماع الفاجرة والأهواء الغادرة وفى دنيانا التى نكابدها وحياتنا التى نقاسى شدائدها ونعانى أهوالها ترى أن صلات الإنسان بأخيه الإنسان متعددة الجوانب متنوعة المظاهر مختلفة الألوان فهذه صلة لاتستهدف إلا غرض الحياة ومكاسبها المادية يشتعل فى ضلالها الحب و بالأحرى بنشط فى ظلماتها النفاق فإذا نقضت المنافع ونضب معين المكاسب تمزقت الروابط وتقطعت الأواصر وتناكرت الوجوه ونسى الأصدقاء بعضهم بعضا وتلك صلة تحالف الشيطان مع أربابها على إقامة دعائم باطلة وضياع حق واغتصابه فتري المجتمعين عليها أشبه باللصوص يخيفهم الضوء وتنشرهم الظلام ، ولاتكاد تنتهى هذه الصلة إلا ينشوب العدوان المتمكنة والخصومات الملتهبة ، وهكذا من تلك الألوان التى يجتمع عليها الناس من تقارب فى الأهواء أو تماثل فى المنازع أو رغبة في الوصول إلى دنيا أو الحصول علي علم أو نيل جاه أو الظفر بمنصب إلى غير ذلك مما يبغيه الإنسان ويسعى إليه وكل هذه الأغراض والغايات كثيرا ماتتعرض لنزغ الشيطان وتتأثر بتضارب الأميال وتصادم الرغبات وتوزع الغايات فقد يبغى المرء شيئا ويطمع فيه سواه وقد يتجه هواه إلى أمر ويطمح إليه صاحبه أو يظفر به فيحس فى نفسه بالحقد والحنق وتشتعل نفسه بالألم والغضب ويعيش من أجل ذلك فى هم مقعد مقيم ، ومن هنا جعل الدين الإسلامى أسسا فاضلة يجتمع عليها الناس وظلا لاورافة إذا تبنوها عاشوا فى آلفة حانية وصحبة صادقة لا تفرقهم دنيا ولاينزغ بينهم شيطان هذه الأسس الفاضلة هى الحب في الله الحب لالدنيا يصيبها ولا لامرأة ينكحها ولا لمنصب يقتضيه ولا لجاه يطمع فيه ولا لغرض من أغراض الدنيا يسعى إليه والحب فى الله ينزع من القلب الأطماع والشهوات ويملؤه بنور الإيمان واليقين . فلا مجال فيه لغل أو حقد ولا موضع لطمع أو إثرة ،

وإذا عمل الإنسان عملا صالحا بأن ساق جميلا أو أسدى معروفا لم ينتظر على ذلك جزاءا ولاشكورا إلا من ربه ﴿ ومن أراد الأخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾[1].

علم يربط عملا بعمل ولم يجعل منفعة تواجه منفعة وإنما سما بمنطق الإسلام وحقق فى نفسه سماحته ويسره وانتظر ثواب ربه وجزاء مولاه ومن كانت هذه صفته كانت الجنة مثواه لأن الآخرة مبتغاه ، وسعد فى دنياه وآخراه عن أبي هريرة ﷺ عن النبى ﷺ « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته[2] ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال :أريد أخالى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها [3] قال لا : غير أنى أجببته في الله عز وجل قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » [4].

فمن ذا اللذى ينتظر ثواب العبد وجزاءه بعد ثواب الخالق . حقا إن هذا لمن أعظم الأعمال وأفضل القرب إذا تجرد عن هوى النفس .

فالحب في الله يحفظ المجتمع من التصدع والأنهيار ويعصمه من التنازع علي الدنيا ويجعل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى مؤمننان قط إلا أفاد الله أحدهما من صحابه خيرا وفى الحديث عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة »[5] فعلى المرء أن ينظر من يخالل .

---

(١) الإسراء الآية ١٩

(٢) المدرجة بفتح الميم والراء الطريق لسان العرب ٢/١٣٥٢ ماده درج

(٣) تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك شرح النووى ١٦/١٢٤

(٤) مسلم شرح النووى : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل الحب فى الله تعالى ١٦/١٢٤

(٥) المرجع السابق باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ١٦/١٧٨

اختر صديقك واد ...ه تفاخرا * إن القرين إلى المقارن ينسب
واحذر مخالطة اللئيم فإنها تعدى * كما يعدى الصحيح الأجرب.

(الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)[1]

أى الأصدقاء والأحباب يوم القيامة يصبحون أعداء إلا من كانت صداقته ومحبته لله .

قال ابن كثير : كل خلة وصداقة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ماكان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه قال ابن عباس : صارت كل خلة عداوة إلا ماكان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه تشريفا وتطييبا لقلوبهم فيقول (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون الذين أمنوا بأياتنا وكانوا مسلمين) [2].

ومن أجل ذلك حثت الأحاديث الشريفة على أن تكون الصلة التى تربط الإنسان بأخيه الإنسان هى الحب فى الله ومنها مارواه أبو هريره ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابين بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى »[3] .

فهم مع حبهم لله قائمون بحق تعظيمه والخوف منه مطروقون إجلالا لهيبته ، فجمع بينهما هذا الوصف العظيم (بجلالى) لاكما يجمع حب المتحابين على شهواتهم الخسيسة الباعثة على ترك الهيبة وإلقاء جلباب الحياة هيهات كم بين المحبتين.

---

(١) الزخرف الآية ٦٧

(٢) الزخرف الآيه ٦٨ ـ ٦٩ وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٣

(٣) مسلم بشرح النووى : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل الحب فى الله ١٢٣/١٦ عن أبى هريرة

وفي كل هذا إشارة إلى التخلي بالفضائل ليجد المؤمن حلاوة تحيل أمامه ظلمة الأحداث إلى نور ، وشدائد الدنيا إلى رخاء وعسرها إلى يسر وتجعله ربانيا يقول للشيئ كن فيكون.

والتخلي عن الرذائل كالحسد والتدابر ، والتباغض وكل مايقطع أواصر المحبة والمودة.

فإذا سلك الإنسان طريق شرع ربه ووطن نفسه علي فعل كل محبوب وابتعد عن كل فعل غير مرغوب ، وجاهد نفسه وشيطانه وهواه ، عاش المجتمع وكأنه أسرة واحدة يسعى الكل لإسعاد نفسه وإسعاد من حوله من بني البشر.

١٠) عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كـ ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار﴾[١] .

أنس بن مالك ﷺ تقدم التعريف به

الأبحاث العربية

* (ثلاث) مبتدأ والجملة بعده خبر ، وإنما جاز الأبتداء بالنكرة هنا لأن التنوين عوض عن المضاف إليه والتقدير (ثلاث خال) .

(كن) أن حصلن فهي تامة (وجد حلاوة الأيمان) أى من الوجدان بكسر الواو في المصدر أى أدرك وأصاب فلا تحتاج إلا لمفعول واحد وهو حلاوة الإيمان .

والحلاوة : ضدر المرارة ومعنى الحلاوة في الحديث الأستلذاذ بالطاعات وتحمل المشاق في الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا.

(والإيمان) الثقة بإظهار الخضوع في قبول الشريعة ، وإن كان الإيمان في الحديث مطلقا لم يقيد بشيئ إلا أنه محمول على ماهو معروف عند المخاطبين من إذعان النفس وأنقيادها لله تعالى ، وتصديقها بكتبه ورسله واليوم الآخر خيره وشره والذى ينطبق عليه قول الحق جل وعلا ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذاتليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾[٢] .

---

(١) البخارى : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان فتح ٧٧/١ ومسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١٣/٢

(٢) الأنفال الآية من ٢ ـ ٤

وقوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[1].

﴿ من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴾ وفى رواية البخارى ﴿أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴾ الجملة فى تأويل مصدر خبر لمبتدأ محذوف والتقدير إحداها كون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ويصح أن يكون بدلا من ثلاث والتثنية فى قوله «مما سواهما إما مراعاة للإختصار لأن المقام مقام إيجاز ، وإما لإفادة أن حب الله وحب رسوله شيئ واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، فحب الله وحده لايكفي وحب رسوله وحده لا يكفى فدلت التثنية على أن المعتبر المجموع المركب من الجهتين لا كل واحد منهما.

وأما ما ورد عن الرسول ﷺ حين أسكت الخطيب إذ قال : « من يتبع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى» وقال له بئس الخطيب أنت فلأن الهدف من الخطبة الأفصاح والمقصود هنا الإيجاز في اللفظ ليحفظ ولأن كلا من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف فى تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين فى الحكم .

وفى قوله (مما سواهما) آثر التعبير بما بدلا من « من » لأن من للعقلاء أما ما فتعم العاقل وغيره . فمحبة الله ورسوله أحب إليه من ملء الأرض ذهبا ومن البنين.

(والمحبة) ميل النفس إلى الشيئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على مايقربها إليه ، والمراد به هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، والشرع لايأمر ولاينهى إلا بصلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل إذا أقتضى رجحان ذلك تمرن

(١) سورة الحجرات الآية ١٥

على الأئتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ويلتذ بذلك التذاذا علقليا ، إذ الألتذاذ العقلى إدراك ماهو كمال وخير من حيث هو كذلك ، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة وشاهد هذا قوله تعالى ﴿قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتي يأتى الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾[1].

﴿ وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ﴾ قال يحيي بن معاذ : حقيقة الحب فى الله أن لايزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

﴿ وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ﴾ يكره من كرهت الشيئ أكرهه كراهة وكراهية أى لا يرضي الكفر ولا يحبه .

﴿ بعد أن أنقذه الله منه ﴾ الإنقاذ التخليص من ورطة قال تعالى ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[2] والإنقاذ أعم من المعصية منه ابتداءا بأن يولد على الفطرة ويستمر ، أو بالأخراج من ظلمة الكفر إلي نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة ، وعلى الأول فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثانى فإن العود فيه على ظاهره (يعود) العود الرجوع إلى الشيئ بعد الأنصراف عنه ولفظ عاد يتعدى بإلي ولكنه عدى هنا بفى لأنها ضمنت معنى يستقر كأنه قال : أن يعود مستقرا فى الكفر ويصح أن تقدر (فى) بمعنى إلى كقوله تعالي ﴿ أولتعودن فى ملتنا ﴾[3] أى لتصيرن إلى ملتنا ولعل السر فى التعبير (بفى) إن الذى يرتكز فى الكفر ويتردى فى حمأته ويتمكن منه ويستولى عليه ويحيط به إحاطة الظرف بالمظروف كما أن النار ، كذلك تحيط بالمقذوف فيها هذه الإحاطة تشوى لحمه وعظمه.

---

(١) سورة التوبة ٢٤

(٢) من الآية ١٠٣ آل عمران

(٣) من الآية ١٣ سورة إبراهيم

قوله ﴿ كما يكره أن يقذف فى النار ﴾ الكاف فى محل المفعول المطلق أى يكره العودة إلى الكفر كراهية تشبه القذف فى النار[1].

الشرح والبيان

أخبرنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الحديث بثلاث صفات إذا حازها المرء جمعت له خيرى الدنيا والآخرة فإن المتحلى بها لابد أن يحس فى قلبه بالرضا ويشعر فى حياته بالأطمئنان والراحة ويذوق حلاوة الإيمان أولى هذه الصفات (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) .

أن يسمو بحبه فوق كل حب وجدٌ فى هذه الدنيا بأن يكون حبه إلى من يستحق الحب الكامل وهو من وهبه نعمة الخلق من العدم وتعهده من نطفة وشق له سمعه وبصره وصوره فأحسن تصويره وجعله فى أحسن تقويم وسخر له كل مافى الحياة لخدمته وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين

﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾[2].

فالله عز وجل هو المانح ولامانع فى الحقيقة سواه ، وأن الرسول ﷺ هو الذى بين للناس مراد ربه ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ﴾[3] وذلك يقتضى أن يتوجه المرء بكليته نحوه فلا يحب إلا مايحب ولا يحب من يحب إلا من أجله ، وأن يتيقن أن جملة ماوعد وأوعد حق يقينا ويخيل إليه الموعود كالواقع وفى معنى الحديث يشير قوله تعالي ﴿ قل أن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله

---

(1) مستفاد من فتح البارى ١/٧٥،٧٦ ومن شرح النووى ٢/١٥ و ١٦ ودليل الفالحين ٢/٢٤٨ وما بعدها.

(2) سورة الأعلى من ١ ـ ٤

(3) بعض آية ٤٤ سورة النحل

فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين }[1] .

قال بعض العلماء : محبة الله على قسمين فرض ونفل فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال أوامره والأنتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله حيث قدم هوى نفسه .

والندب أن يواظب علي النوافل ويتجنب الوقوع فى الشبهات ، وكذلك محبة الرسول ﷺ فينبغى أن لا يتلقى شيئا من المأموات والمنهيات إلا من مشكاته لأن الرسول ﷺ هو الذى بلغ رسالة ربه وصبر وكابد ألوان الضر والأبتلاء.

فهل يكون هنا شيئ يحب غير حب الله وحب رسوله ﷺ ؟

فحب الله وحب رسوله ﷺ يقتضى أن يتبع الإنسان شريعته ويؤثر سنته ويتمسك بهما ويتفانى فى طاعة الخالق واتباع النبى ﷺ

(١) سورة التوبة الأية ٢٤

قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[١].

ولا بد لذلك من علامات بينات وبراهين واضحات.

وآية حب الله أن تهوى النفس فى سبيل المحبوب وأن تنسى من أجله كل مرغوب ومطلوب وأن ترتفع فوق الحياة بما فيها من صراع وتسموا على الدنيا بما تزخر به من جاه ومتاع وأن ترضى في سرور وغبطة أن تقتل فى سبيله وأن تجود بالنفس والنفيس من أجل إعلاء كلمته ونشر دعوته فإننا إن لم نفعل "فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)[٢].

ولذا كان المسلمون الأولون من حبهم لله وإقبالهم على تعاليمه يؤثرون الموت فى سبيل الله على الحياة ، بل كانوا يتمنون القتل ويتنسمون منه عبير الجنة فيبادرونها بكل مافيهم من حب وشوق فهذا خالد بن الوليد حين مات على فراشه كان يحس بالأسى والمرارة فيقول: لقد طلبت القتل مظانّه، فلم يقدّر لى إلا أن أموت على فراشىء؛ وما من عملى شيء أرجى عندى بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتّها وأنا مُتترسٌ والسماء تهلنى تمطر إلى صبح ، حتى نغير على الكفار؛ ثم قال : إذا أنامت فانظرونى فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة في سبيل الله[٣].

وهاهو سعد بن أبى وقاص يقول: قال لى عبدالله بن جحش يوم أحد: ألا تأتى فندعو قال: فخلونا فى ناحية فدعا سعد، فقال: يارب، إذا لقينا القوم غدا فلقنى رجلاً شديداً حرده، أقاتله فيك، ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه، قال: فأمن عبدالله بن جحش، ثم قال عبدالله : اللهم ارزقنى رجلاً

---

(١) آل عمران آية ٣١

(٢) من الآية ٥٤ المائدة.

(٣) [illegible] ٢١.

شديداً حرده، أقاتله فيك حتي يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلتُ: هذا فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد : فكانت دعوة عبدالله خيرا من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلق في خيط[1].

هذا هو الحب الصادق لله وفي الله الفناء في سبيله لا ما يتشدق به المتشدقون ويدّعيه المدعون وهم مقيمون على العصيان سادرون في الغرور والضلالة والخسران حتى ليصدق فيهم قول القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب المطيع

وحب الله عز وجل له ثمرات طيبة تؤتى أكلها كل حين إذا أذاقها المؤمن أحسن بالسعادة التى لا يشقى بعدها أبدا، ومن هنا يحب المؤمن لقاء الله وينسى أهوال الموت ومرارته إذ يدرك حلاوة اللقاء إذا شخص البصر وحَشْرَج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه ومحبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد للنوافل والمشتملة عليها ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله قال: من عاد لى ولياً فقد آذنته فى الحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه. ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. ولئن سألنى لأعطيته . ولئن استعاذ بى لأعيذنه؛ وماترددت عن شىء أنا فاعلة ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته[2].

---

(١) الاصابة ٣٢/٤ وأورده الهيثمى في مناقب عبدالله بن جحش رضى الله عنه وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ٣٠١/٩.

(٢) البخارى: كتاب الرقاق : باب التواضع فتح ٣٤٨/١١ عن أبى هريرة.

الصفة الثانية:

أن يحب العبد المؤمن الناس ويتقرب إليهم ويودهم ويتعاطف معهم فتلك دعامة قوية وهي من الدعائم التي يقوم عليها المجتمع السليم وتنهض بها الأمة المثالية ، فلا تمزقها الأحقاد، ولا تشوه صورتها الأطماع الفاجرة والأهواء الغادرة وفي دنيانا التي نحياها ونقاسي شدائدها ونعاني من أهوالها ترى أن صلات الإنسان بأخيه الإنسان متعددة الجوانب متنوعة المظاهر مختلفة الألوان.

فتقوم الصلات على الأهداف المادية الصرفة فيشتعل في ضلالها الحب الزائف وينشط في ظلالها النفاق، فإذا انقضت المنافع وتضب معين المكاسب تمزقت الروابط وتقطعت الأواصر وتناكرت الوجوه، وتنافرت الشخصيات ، وتلك صلة تحالف الشيطان مع أربابها فلا تدوم على حال ولا يهنأ لأصحابها بال بل تلتهب بينهم الخصومات وتتصادم الرغبات وتتنوع الغايات ، ويصبح الجميع في كدر عميم وهم مقيم.

ومن هنا جعل الدين الإسلامي أسساً فاضلة يجتمع عليها الناس وظلالاً وارفة إذا تنبؤها عاشوا في ألفة حانية وصحبة صادقة لا تفرقهم دنيا ولا ينزغ بينهم شيطان هذه الظلال هي الحب الصادق الحب في الله لا لدنيا يصيبها ولا لامرأة ينكحها ، ولا لمنصب يقتضيه ولا جاه يبتغيه ، وإنما المسعى والمطلب هو الحب الخالص البعيد عن الأهواء والأطماع فإذا كان هذا هو المقصد والمطلب نزع من القلب الأطماع والشهوات وكان الحب صفة إيجابية يضيفها القلب على كل من حوله من بني البشر لوجه الله تعالي وإن كان القلب يحب الله تعالي ويبغي مرضاته فلا يمكن أن يجمع القلب الشيء وضده ، فيعيش المجتمع أسرة واحدة يحميه هذا الحب من التصدع والانهيار ويعصمه من الزلل والخسران ويكون الأخ لأخيه مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، ومن أجل ذلك حث الحديث الشريف على أن تكون الصلة من أجل مصلحة باقية تتوارثها الأجيال وتعمر بها الديار والأمصار، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد

أحدهما من صاحبه خيراً، فبهذا الدستور النبوى العظيم يعيش الناس سعداء آمنين وبرضا ربهم عليهم هـسين.

الصفة الثالثة:

فى وجدان حلاوة الإيمان كراهية الكفر، ولما كانت الصفة الأولى خاصلة بصلة المؤمن بربه وخالقه والصفة الثانية تتعلق بصلة الإنسان بأخيه الإنسان والأسس التى يجب أن يقوم عليها والمقومات التى ينبغى أن تتوفر لها ، فجادت الصفة الثالثة تهدف إلى حسن تكوين الإنسان نفسه وطبعه على الحق والخير والعدل حتى يكون إنساناً مؤمنا نافعاً وعضوا عاملاً في مجتمعه ، قد أحس بنور الإيمان وحلاوته، وكره الكفر ومرارته كما يحس المرء بلدغ النار ويتألم بمسها وينفر منها فلا تستطيع قوة ما أن تصده عن دينه أو تصرفه عن عقيدته ولعل ذلك يفسره ماجاء فى بعض فقرات الكتاب المرسل إلى هرقل من قبل النبى ﷺ منها أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم) [1] اتبعوه أى أن أهل الإيمان أهل استكانة لا أهل استكبار أصروا على الشقاق بغياً وحسداً.

ولذا لا يريد أحد من المسلمين سخطه لدينه - كرهه للدين - بعد أن يدخل فيه فقال: لا: فقال: هرقل: وكذلك الدين الحق حين تخالط بشاشته القلوب انشرح له الصدر وانفتح له القلب (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)[2] فكذا حقيقة الإيمان نور يقذفه الله فى القلب يكره صاحبه الكفر وأهله كما يكره القذف فى النار، بل إنه لو أجبر على الكفر لرضى بالعذاب بنار الدنيا والاكتواء بلهيبها عن الرجوع عن الإيمان وفى التاريخ الإسلامى أمثلة رائعة لأولئك الذين استهونوا نار الدنيا وحققوا فى أنفسهم نار جهنم أشد حرا فآثروا العذاب الدنيوي ورضوا به دون

---

(١) انظر الحدي بتمامه فى صحيح البخارى: كتاب بدء الوحى فتح ١/٤٢.

(٢) الأنعام آية ١٢٥.

أن يتزعزع إيمانهم قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار ابن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذبوه برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول ، فيما بلغنى صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة، فأما أمه فقتلوها ، وهي تأبى إلا الإسلام[1].

وهذا هو بلال رضي الله عنه الصادق الإسلام الطاهر القلب من المعذبين الذي كان يخرجه أمية بن وهب بن حذافة إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو فى هذا البلاء: أحد أحد [2] هكذا يكون المؤمن حريصاً على دينه يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ∴ على أى جنب كان في الله مصرعى

يفتدى عقيدته بالمال والولد (لايؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3].

يرى العذاب في سبيله من أروع اللذات وأكرم المتع نوقه حب الله والحب فى الله والبغض فى الله شعاره رب حزن ساعة أورثت فرحا طويلاً.

مايستفاد من الحديث

١) الترغيب في الخصال الثلاث المذكورة في الحديث

٢) رضا الله عز وجل هو ميراث المؤمن في حبه للآخرين.

٣) حلاوة الإيمان تتجلى في طاعة الله عز وجل والعمل على تمحيص الإيمان والإخلاص فيه

٤) فى الحديث إشارة إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل والحث

---

(١) السيرة لا هشام ٢٧٩/١.

(٢) ابن دشام ٢٧٧/١.

(٣) مسلم بشرح النووى: الايمان: وجوب محبة الرسول ﷺ ١٥/٢ عن أنس.

على التحابب فى الله عز وجل.

قـال الإمام النووى حديث عظيم يتـضـمن أصلاً من أصـول الدين ومحبة العبـدلله تحصل بالتزام طاعته والكف عن معصيته ومـحبته للرسول ﷺ هو اتباعه في كل ما علمه [1] والله أعلم.

النهى عن الحسد و التباغض

استـهدف الإسـلام فى جميع تشريعاته أن يجعل المسلمين أسرة واحـدة لا تباغض ولا تقاطع ولا تحاسد بينهم، ولذلك سعى إلى إزالة كل الأسباب التى تؤدى إلى التـفرقـة والتنازع فنهى عن ترك التـواصل المؤدى إلى البـغـضـاء والنكرة (والتدابر) بالأجساد أى أن يولى الرجل أخاه إذا لقيه ظهره إعراضاً عنه قال تعالى (إنما المؤمنون أخوة)[2] وشأن الأخوة التواصل قال تعالي في مدح المؤمنين (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) [3] وقال تعالى (أذلة على المؤمنين)[4] أى متذللين لهم عاطفين عليهم خافضين لهم أجنحتهم (أعزة على الكافرين) [4] متغللين عليهم، وهذا شأن محمد ﷺ وصفته وأصحابه قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء فيما بيهم)[5] أى صفة محمد ﷺ وأصحابه غلاظ على الكفار كما قال مخاطبا نبيه (واغلظ عليهم) (رحماء بينهم) أي يتراحمون ويتعاطفون برحمة الإيمان وصلته بينهم وكل مامن شأنه أن يفرق جمع المسلمين نهى الإسلام عن تعاطى أسبابه حتي لايجد الشيطان ثغرة يفذ منها إلي صفوفهم فيفرق جمعهم ويوغل صدور بعضهم من بعض قال تعالى وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن مع الصابرين)[6] أطيعوا الله ورسوله فى جميع أموركم ولا تخالفوا أمرهما فى شيء (ولا تنازعوا) ولا تختلفوا فيما بينكم فتضعفوا

---

(١) شرح النووى ١٥/٢
(٢) الحجرات ١٠ بعض آية.
(٣) الرعد ٢١ بعض آية
(٤) آية ٥٤ المائدة.
(٥) الفتح آية ٢٩.
(٦) الأنفال ٤٦

وتجبنوا عن لقاء عدوكم وتذهب قوتكم ويأسكم ويدخلكم الوهن والخور.

كونوا يا بنى إذا اعتدى خطب .·. ولا تتفرقوا آحادا

تأب الرماح إذا اجتمعن تكسرا .·. وإذا تفرقن تكسرت أفراد!

ولذا فإن الخير كل الخير في سلامة الصدر والبعد عن الشيطان (إن الذين اتقوا إذا مسم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)الحق، وقدحكم النبى ﷺ على الأنصارى بأنه من أهل الجنة لما كان فيه من سلامة الصدر وصدق النيه وسلامه الطوية عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبى ﷺ : مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل علي مثل حاله الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ: مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبى ﷺ تبعه، عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إنى لاحيت أبى فسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمض فعلت قال: نعم قال أنس: وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعادّر وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر وقال: عبدالله غير أنى لم أسمعه يقول الأخيرة. فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن احتقر عمله قلت ياعبدالله إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذى بلغ بك ماقال رسول الله ﷺ فقال: ما هو إلا ما رأيت قال: فلما وليت دعانى فقال: ما هو إلا مارأيت غير أنى لأجد فى نفسى لأحد من

المسلمين غشا ولا أحسد على خير أعطاه الله إياه فقال: عبدالله هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق[1].

وعن عبدالله بن عمر و قال: قيل يارسول الله أى الناس أفضل قال: مخموم القلب صدوق اللسان قال: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال: هو التقى النقى الذى لا إثم فيه ولابغى ولا حسد"[2].

فيجب على كل مسلم أن يكون كذلك لا غل فيه ولا حسد وهذا شأنه أن يكون ودودا رحيماً متعاوناً شفوقاً نصوحاً يتعامل مع إخوانه على العبودية التى تربط بينهم وهى العبودية لله تبارك وتعالي وهذه العبودية أقبلوا عليها مختارين ورضوا بها طائعين فحقهم أن يتعاونوا بها وأن يتآخوا من أجلها فهى عبودية المؤمنين بالله وحده الذين رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً وروسولاً وهاك الحديث يتضمن جمله من النواهى وهذه تتضمن الأمر بالتحاب والتآلف والتواد والتواصل ونسبة هذه الأمور إلى الله تعالى لأن الرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطا ع الله)[3].

فيجب طاعته امتثالاً للأمر في كل ما يأمر به وفي كل ما ينهى عنه.

١١- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا تحاسدوا . ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبعْ بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدرة ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم

(١) مسند الإمام أحمد ١٦٦/٣ قال المنذرى على شرط البخارى ومسلم والنسائى ١٣/٤ ط دار التراث – القاهرة.

(٢) ابن ماجة : كتاب الزهد : باب الورع والتقوى ١٤٠٩/٢ فى الزوائد إسناد صحيح ورجاله ثقات.

(٣) النساء ٨٠ بعض آية.

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"[1].

أبو هريرة رضي الله عنه تقدم التعريف به

الأبحاث العربية: -

(الحسد) تمنى زوال نعمة عن مستحق لها، وربما كان مع سعى في إزالتها[2].

(تناجشوا) النجش بالجيم والشين المعجمة ، وهو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها لنفع غيره فيها[3].

(ولا بتاغضوا) البغض من الأمور الوجدانية فنهى عن تعاطى أسبابه كالتعدى على النفوس والبغض يحصل للإنسان من غير اختيار.

(ولاتدابروا) التدابر مأخوذ من تولية الرجل الآخر دبره إذا أعرض عنه حين براهٔ والمحب بالعكس.

(ولا يبعْ بعضكم على بيع بعض) وصورته أن يقول لمن اشترى شيئاً فى زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه أو يقول للبائع فى زمن الخيار: افسخ هذا البيع وأنا اشتريه منك بأكثر من هذا الثمن وفى البخارى (لا يبيع) بإثبات الياء على أن لاناقية ويحتمل أن تكون ناهية وأشبعت الكسرة لقراءة من قرأ (إنه من يتقى ويصبر) وبحذف الياء على أنها ناهية.

وكونوا عباد الله إخواناً) بلفظ المنادى المضاف، وهذه الجملة تشبه التعليل لما تقدم، كأنه قيل إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانا وممفهومه إذا

---

(١) البخارى: الأدب: باب ماتنهى عن التحاسد والتدابر فتح ٤٩٦/١٠ ومسلم بشرح النووى: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ١١٥/١٦.

(٢) لسان العرب ٨٦٨/٢ حسب.

(٣) المرجع السابق ٤٤٥٣/٦ بخش.

لم تتركوها تصير وأعداء.

(لا يظلمه) فى نفس ولا مال، ولا عرض بوجه والجملة وما بعدها خبرية لفظاً إنشائية معنى.

(لايخذُله) بضم الذال أى يترك نصرته وإعانته ويتأخر عنه.

ولا يحقره بكسر القاف: أى يهينه ولا يعبأ به.

الشرح والبيان

فى هذا الحديث ينهانا الرسول ﷺ عن بعض الأمور التى من شأنها أن تحدث الفرقة بين المسلمين وتؤدى إلى تنازعهم وتقاتلهم حفاظاً من الشارع الحيكم على أن يكون المجتمع الإسلامى مجتمعاً متماسكاً قوى البنيان لا تزعزعه الأهواء المضلة ولا يزلزل كيانه الفساق والمنحرفين بل يبقى مصونا غاية الصيانة بفضل سمو تعاليمه وأولّ ماجاء فى الحديث كما فى البخارى ومسلم (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)

والظن: قال القرطبى : أي التهمة التى لا سبب لها كمن يتهم بفاحشة من غير ظهور مقتضيها ولذلك عطف عليه ولا تجسسوا وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة فيزيد تحققه فيتجسس ويبحث فنهى عن ذلك، وهو موافق لقول الحق جل شأنه (اجتنبوا كثيراً من الظن) ودل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهى عن الخوض فيه بالظن، فإن قال أبحث لأتحقق قيل له – ولا تجسسوا – فإن قال: تحققت من غير تجسس قيل له – ولايغتب بعضكم بعضاً – وقال الحافظ فى الفتح: ليس المراد به ترك العمل بالظن الذى تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذى يضر بالمظنون به وكذا ما يقع فى القلب من غير دليل.

وقال النووى :ليس المراد فى الحديث بالظن ما يتعلق بالاجتهاد الذى يتعلق بالأحكام أصلاً بل الاستدلال له بذلك ضعيف أو باطل.

وتعقب بأن الضعف ظاهر، أما البطلان فلان اللفظ صالح له لاسيما إن حمل علي ظن مجرد عن الدليل ليس مثبتاً ولا تحقيق نظر كما قاله عياض وكذا قال القرطبي: الظن الشرعي وهو تغليب أحد الجانبين ليس مرادا من الآية ولا من الحديث، فلا ينظر لمن استدل بهما على إنكار الظن (فإن الظن أكذب الحديث) قيل أريد من الكذب عدم المطابقة للواقع سواء كان قولا أم لا ويحتمل أن يراد بالظن ماينشأ من القول فيوصف به الظن مجازاً [(١)] والهدف من ذلك النهى عن ظن السوء بالمسلم لتبقى النفوس طيبة والقلوب سليمة ويبقى المسلم أخ للمسلم يصون عرض كل منهما غاية الصيانة لتقدم النهى عن الخوض فيه بالظن ولذا جاء النهى في الحديث أيضاً عن التجسس (ولا تحسسوا، ولا تجسسوا) إحدى الكلمتين بالحاء المهلمة ، والأخرى بالجيم، وفي كل منهما حذف إحدى التائين تخفيفاً وكذا فى بقية المناهى التى فى حديث الباب والأصل (تتحسسوا) قال الخطابي: معناه لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها، قال تعالي حاكياً عن يعقوب عليه السلام اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) [(٢)] وأصل هذه الكلمة التى بالمهملة من الحاسة إحدى الحواس الخمس، وبالجيم من الجس بمعنى اختبار الشيء باليد وهي إحدى الحواس، فتكون التى بالحاء أعم، وقال إبراهيم الحربي: هما بمعنى واحد، وقال ابن الأنباري: ذكر الثانى للتأكيد كقولهم بُعدا وسحقاً ، وقيل بالجيم البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يكون فى الشر، وبالمهملة عما يدرك بحاسة العين والأذن ورجحه القرطبى وقيل بالجيم تتبعه لأجل غيره، وبالحاء تتبعه لأجل نفسه، وقيل هما بمعنى طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال.

---

(١) فتح البارى ٤٩٦/١٠ وشرح النووى ١١٩/١٦ ودليل الفالحين ٤٣٢/٤.

(٢) يوسف ٨٧ بعض آية وانظر لسان العرب ٦٢٤/١٠ مادة جسس.

ثم يستثنى من النهي عن التجسس : إذا تعين ...
كأن يخبر باختلاء إنسان بآخر ليقتله ظلماً أو بامرأة ليزني بها. فهذا التجسس مشروع حذراً من فوات استدراكه.

وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على حفاظ الشارع الحكيم على حماية الفرد والمجتمع من العابثين فكل ما كان مصلحة يستثنى من النهي، وما تحقق ضرره سواء أكان ذلك بالنسبة للفرد أو بالنسبة للمجموع فهو المنهى عنه قال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً) لأن المتجسس على المعايب مؤذٍ لصاحبها بما اكتسب لمأ أخفى ذلك ولم يتجاهر به نهي عن التطلع الى أمره والتوصل إليه طلبا للستر بحسب الإمكان

وفي بعض روايات الحديث ولا تنافسوا) بالفاء والسين المهملة من المنافسة: وهى الرغبة في الشيء والانفراد به، والمعنى فى الحديث التبارى في الرغبة فى الدنيا وأسبابها وحظوظها.

(ولا تحاسدوا) والحسد معناه تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها، أعم من أن يسعى فى ذلك أم لا، فإن سعى كان باغياً، وإن لم يسع فى ذلك ولا أظهره ولا تسبب فى تأكيد الكراهة التى نهى عنا في حق المسلم نظر، فإن كان المانع عن ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور ، وإن كان المانع من ذلك التقوى فقديعذر لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسية فيكفيه فى مجاهدتها أن لا يعمل ولا يعزم على العمل بها أخرج عبدالرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية مرفوعاً ثلاثة لايسلم منها أحد الطيرة، والظن ، والحسد، قيل فما المخرج منها يارسول الله قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تتحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ)[1].

---

(١) عبدالرزاق : كتاب الجامع؛ باب الطيرة ١٠/٤٠٣ط المكتب الاسلامي بيروت .

ويقول الحسن البصرى (مامن آدمى إلا وفيه الحسد مالم يجاوز فمن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظلم لم يتبعة شىء)[1].

الأمور التى تدعو إلى الحسد بغض الحاسد للمحسود بسبب نعمة أسبغها الله عليه مع عجز الحاسد عن تحصيل ما منح الله لصاحبه من نعم وفضائل ومناقب مع فساد سريرة الحاسد وخبث نيته وبخله بنعم الله على عباده.

هل تقع العين؟

عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: العين حق ولو كان شىء يسبق القدر لسبقته العين. وإذا استغسلتم فاغتسلوا)[2] ولم يبين ابن عباس صفة الآغتسال في هذا الحديث وإنما بينته رواية سهل بن حنيف، ومفادها أن عامربن ربيعة مر بسهل بن حنيف وهو يغتسل وكان أبيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة وقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فليط - أى صرع - (وزناً ومعنى) سهل فأتى النبى ﷺ فقال:هل تتهمون به من أحد قالوا: عامر بن ربيعة فدعا عامر بن ربيعة فتغيظ عليه فقال: علام يقتل أحدكم أخاه هلاَّ إذا رأيت مايعجبك بركّت ثم قال: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ثم يصب عليه الماء من خلفه على رأسه ثم يكفأ القدح ففعل به ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[3].

---

(١) فتح البارى ٤٩٨/١٠.

(٢) صحيح مسلم بسرح النووى: كتاب السلام : باب الطب والمرضى والرقى ١٦٩/١٤ وفي البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (العين حق ونهى عن الوشم : كتاب الطب باب العين: حق ٢١٣/١٠.

(٣) وفتح البارى ٢١٤/١٠و ٢١٥ وقال ابن حجر: ورواية سهل صححها ابن حبان من رواية الزهرى عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى إذا كانوا بشعب الحزار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وأخرجه أحمد فى المسند ٤٨٦/٣ مسند سهل بن حنيف.

قال ابن حجر: قال المازرى : هذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفه وجهه من جهه العقل، فلا يرد لكونه لا يعقل معناه

وقال ابن العربي: إن توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله أعلم.

وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة.

ولا اعتراض عليه من متفلسف أيضاً، فالرد عليه أظهر لأن عنده من أن الأدوية تفعل بقواها، وقد نفعل بمعنى لا يدرك ، ويسمون ما هذا سبيله الخواص

وقال ابن القيم: هذه الكيفية لا ينتفع بها من أنكرها ولا من سخر منها ولا من شك فيها أو فعلها مجربا غير معتقد وإذا كانت فى الطبيعة خواص لا يعرف الأطباء عللها بل هى عندهم خارجة عن القياس ، وإنما تفعل بالخاصية فما الذي تنكر جهلتهم من الخواص الشرعيه هذا مع أن في المعالجة بالاغتسال مناسبة لاتأباها العقول الصحيحة فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها وهذا علاج النفس الغضبية توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر تلك العين كشعلة نار وقعت على جسد ففى الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة ثم لما كانت هذه الكيفية تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لشدة النفوذ فيها ولا شيء أرق من المغابن فكان فى غسلها إبطال لعملها ولا سيما أن للأرواح الشيطانية فى تلك المواضع اختصاصا وفيه أيضاً وصول أثر الغسل إلى القلب من أرق المواضع وأسرعها نفاذا فتطفيء تلك النار التى أثارتها العين بهذا الماء[1].

وهذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة فأما عند الإصابة وقبل الاستحكام فقد أرشد الشارع إلى ما يدفعه بقوله فى قصة سهل بن حنيف السابقة (ألا بركت عليه) وفى رواية ابن ماجة (فليدع بالبركة)[2] أى على من

---

(١) الطب النبوى لابن القيم ص ١٠٧ وما بعدها ط دار نور الإسلام.

(٢) ابن ماجه: كتاب الطب: باب العين ٢/١١٦٠.

رأى شيئاً يعجبه أن يقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) لم يضره [1].

فالعين حق وأنها تؤثر بقدر الله تعالى ،وماسبق به علمه وقد بين العلماء أن من عُرف بإيذاء المسلمين وكانت هذه صفته أنه ينبغي أن يجتنب ويتحرز منه وينبغي للإمام منعه من مداخلة الناس ويأمره بلزوم بيته فإن كان فقيرا رزقه مايكفيه ويكف أذاه عن الناس فضرره أشد من أكل الثوم والبصل الذى منعه النبى ﷺ من دخول المسجد لئلا يؤذى المسلمين . ومن ضرر المجزوم الذى منعه عمر رضى الله عنه والعلماء بعده من الاختلاط بالناس ، ومن ضرر المؤذيات من المواش التى يؤمر بتعريبها إلي حيث لا يتأذى منها أحد، قال الإمام النووى: وهذا الذى قاله هذا القائل صحيح متعين ولا يعرف عن غيره تصريح بخلافه [2] ا.هـ.

هذا عقابه دنيوياً أن يعزل عن الناس حتى لا تستشرى سمومه فيهم ويستفحل مرضه وخطره، ويعظم أذاه، حفاظا على المجتمع.

أما عقاب الله تعالى له فكما جاء عن النبى ﷺ قال:"إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[3].

فحذر النبىﷺ ونهى عنه وعلل النهى بأنه يذهب الحسنات ويبطلها وأنه في سرعة إبطاله لها كما في المشبه به، فالحسد من الكبائر ولما ورد فيه من الأحاديث الكثيرة التى تنهى عنه وتحذر من الاتصاف به، وهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها سواء أكانت نعمة دين أو دنيا، أما تمنى مثلها فغبطة فإن كان فى الدين فمحمود والإفلا ولذا ذم الله عز وجل اليهود بقوله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيماً)[4].

---

(١) الفتح ٢١٥/١٠.

(٢) شرح النووى ١٧٢/١٤.

(٣) أبو داود: كتاب الأدب: باب فى الحسد ٢٩٩/٤ عن أبى هريرة

(٤)سورة البقرة ١٠٩.

قال ابن عباس: حسدوا النبى ﷺ علي النبوة وحسدوا أصحابه على الإيمان[1] وقال تعالى (ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تيبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شيء قدير)[2] نزلت هذه الآية فى كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعراً ويهجو النبى ﷺ بعدما تبين لأولئك اليهود وعرفوا الحق أن محمداً ﷺ يجدون صفته عندهم فى التوراة والإنجيل فهم لم يجهلوا الحق ولكنهم امتنعوا عن قبوله حسدا، وهذا الحسد هو الذي حملهم على الجحود[3].

فالحسد ليس من صفات المؤمنين لأن المسلم لا يتمنى زوال نعمة أنعم الله بها على أخيه وإنما يرغب ويحرص على حصوله على تلك النعمة وخصوصاً إذا كانت نعمة في الدين.

قوله ﷺ(ولا تناجشوا) من الأمور التى نهى عنها الرسول ﷺ النجش لأنه من العوامل التي تحدث الفرقة بين المسلمين وقد تؤدى إلى تنازعهم وتقاتلهم ومن هدف الشريعة الغراء ربط المسلم بأخيه المسلم فالسياسة الشرعية تقوم على التجمع لا التفرق تؤلف بين أبنائها وتربط بينهم برباط وثيق هو رباط الأخوة الإسلامية بخلاف السياسات الباطلة التى تبنى على تفرق الشعوب وقاعدتهم (فرق تسد) فهى تقوم على المصلحة الخاصة بخلاف السياسة الشرعية تقدم المصلحة العامة على المصلحة الفردية وبهذا ساد الإسلام فى سياسته العالم واعترفوا به وأخذوا منه وإن كان معتقدهم على خلافه وهذا يظهر للفطناء من المسلمين فنادوا بأعلى صوتهم لتطبيق مبادىء الإسلام ولذا حرم الشرع الحكيم النجش وهو أن يزيد فى ثمن السلعة لا لرغبة

---

(١) صفوة التفاسير ٢٨٢/٢ ط دار الرشد سور ياحلب.

(٢) أية رقم ١٠٩ البقرة.

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٢/١.

فيها ليخدع غيره ويغره ليزيد ويشتريها.

وهذا حرام بالإجماع والبيع صحيح، وقد خالف الإمام مالك فحكم ببطلان البيع، وجعل النهى عنه مقتضياً للفساد.

والإثم مختص بالناجش إن لم يعلم به البائع فإن وطأه على ذلك أثما جميعاً ولا خيار للمشترى إن لم يكن من البائع موطأة، وكذا إن كانت في الأصح لأنه قصر فى الاغترار ويدل لذلك مارواه البخارى بسنده عن ابن أبى أوفى رضى الله عنهما قال: (أقام رجل سلعته فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعطها فنزلت (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً)(١) قال ابن أبى أوفى الناجش آكل ربا خائن ، ولذا كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم يحتاطون فى مثل هذه المسائل ويعرضون عما جلب لهم من مال ولا يقبلون المال إلا ما تحقق لديهم أنه مال محترم شرعاً، ومن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق من طريق عمر بن عبدالعزيز أن عاملا باع سبيا فقال له: لولا أنى كنت أزيد فأنفقه لكان كاسداً فقال عمر: هذا نجش لا يحل فوق منادياً ينادى إن البيع مردود إن البيع لا يحل) (٢) قال ابن بطال : أجمع العلماء على أن الناجش عاصى بفعله(٣).

ومن الصور المحرمة أيضاً في البيوع والتى وردت فى الحديث (البيع على البيع) وصورته أن يقول لمن اشترى شيئاً فى زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه أو يقول للبائع فى زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن.

ومثله فى النهى السوم على السوم صريحاً ففي صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا يسم المسلم على سوم أخيه"(٤).

---

(١) البخارى : كتاب الشهادات : باب قول الله فى آل عمران إن الذين يشترون الآية ٧٧ فتح ٥/٢٢٨، وفى كتاب البيوع: باب النجش ٤/٤١٦ عن ابن عمر، وفى كتاب التفسير باب إن الذين يشترون - الخ ٨/٦٠.

(٢) عبدالرزاق : كتاب البيوع : باب لابيع حاضر لباد ٨/٢٠١.

(٣) فتح البارى ٤/٤١٦.

(٤) مسلم بشرح النووى : كتاب البيوع:باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه والسوم على سومه ١٠/١٥٩.

والجمهور على أن النهى عن ذلك للمسلم والذمى، وهذا من سماحة الإسلام أنه لايحل الخديعة والغدر حتى بالنسبة لمن يعتنق غير الإسلام.

وذكر الأخ في الحديث خرج مخرج الغالب، وماهذه المنهيات التى ينهى الحديث عنها إلا لأن إلحاق الضرر بالغير سواء في نفسه أو ماله حرام وما ينبغى أن يكون عليه التعامل بين المسلمين هو أنه (لا ضرر ولا ضرار) ووجوب إنزال الأخوة الدينية منزلة الأخوة النَّسبية ، وكذا عناية الإسلام بكل ما يجمع شمل المسلمين ويبعد عنهم الشقاق والخصام ويجلب لهم المودة والمحبة والسلام.

قوله ﷺ(ولا تباغضوا) البغض من الأمور الوجدانية التى تحصل للإنسان من غير اختيار أو كسب ولذا كان المراد بالنهى فى الحديث النهى عن تعاطي أسباب البغض كالتعدى على النفوس أو الأموال أو الأغراض أو إيذاء الغير فى دينهم ودنياهم، أو الحيلولة بين الناس وبين الوصول إلى حقوقهم أو تأخيرها والبغض المذموم ماكان لدنيا أو ماكان لحظ نفس.

أما البغض فى الله ولأجل دينه فهو من الإيمان بل هو الإيمان الكامل ويثاب عليه صاحبه، فالحب لله عز وجل هو الدائم الذى لاينقطع وهو الذي عليه الأجر والمثوبه من الله عز وجل فعن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ(إن من عباد الله لأناساً ماهم بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يارسول الله: تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس وقرأ الآية (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون)[1] يونس٦٢.

قوله ﷺ(ولاتدابروا) التدابر ملازم للخصال السابقة أى حين يراه لأن

(١) أبو داود : كتاب الإجارة: باب فى الرهن ٣/٢٧٤ عن عمر رضى الله عنه

التدابر يبدأ بالأعراض وترك السلام ثم إن استمر على ذلك فهو المهاجرة فإن استمر على المهاجرة وقعت المعاداة، ولذا نهى الشارع المبلم على استدامة هجر المسلم أخاه فوق ثلاث قال ﷺ(لايحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث : يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام)[1] إلا إذا كان الهجر لله عز وجل وله أسباب واضحة فإن ذلك لا بأس به ولا لوم عليه، وهو هجر مطلوب ونهى عن منكر مرغوب وما يقع بين المسلم وأخيه المسلم إنما هو تحريش الشيطان بينهم بالخصومات والشحناء والفتن وإشعال العداوة ، وهذا شأنه وهذه خاصية من خصائصه روي مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال: سمعت ﷺ يقول: إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم)[2] والتحريش: هو الإغراء وتغيير القلوب والتقاطع سبب من أسباب عدم تجلي الله عز وجل بالمغفرة والرحمة وتأخير ذلك إلى أن يزول التقاطع مصداق ذلك ماجاء فى صحيح مسلم عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتي يصطلا انظروا هذين حتى يصطلحا "[3] فالمؤمن مطالب بالتحلى بالأخلاق الفاضلة، فيتبع تعاليم ربه وقد أمر الله عز وجل نبيه محمدا بقوله ﷺ(خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [4] وهذا وإن كان أمرا له صلوات الله وسلامه عليه إلا أنه تأديب لخلقه وتعليم لأمته ﷺ ودفعا لهم باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم، وذكر ابن حجر أنه ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوة الإنسانية عقلية

(١) مسلم بشرح النووى: كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب تحريش الشيطان ١٥٦/٧.

(٢) مسلم بشرح النووى : كتاب البر والصلة والآداب: باب النهى عن الشحناء ١٢٢/١٦.

(٣) المرجع السابق: كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب تحريش الشيطان ١٥٦/١٧.

(٤) سورة الأعراف أية ١٩٩.

، وسهوية وغضبية، فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والشهوية العفة ومنها الأخذ بالعفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم عيينه بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شباباً فقال: عيينه لابن أخيه يابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه قال: سأستأذن لك عليه قال: ابن عباس فاستأذن الحرٌ لعُيينه فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هىْ يا بن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتي هم به فقال له: الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله"[١].

قال ابن كثير: قال بعض العلماء: الناس رجلان فرجل محسن ما عفالك من إحسانه فلا تكلفه فوق طاقته ولا مايحرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده كما قال الله تعالي (ادفع بالتى هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون)[٢] تعاليم نبيله وآداب رفيعه وأخلاق عالية وهدى جميل من معلم الإنسانية وراعى الأمة الإسلامية الأول تتمثل فى قول القائل

خذ العفو وامر بمعروف كما ... أرت وأعرض عن الجاهلين

ولن فى الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذى الجاه لين

فالمؤمن مأمور بالحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة والصبر عند الغضب ومجاهدة النفس ومغالبتها حتى يغلبها ومن كانت هذه الخصال شيمته

---

(١) البخارى : كتابي التفسير : باب خذ العفو وامر بالمعروف فتح ١٥٥/٨.

(٢) سورة المؤمنون آية ٩٧، ٩٨.

هداه الله الى الحق وعصمه من الشيطان ، وأخضع له عدوه، وجمع له خيري الدنيا والآخرة، وكان ممن عمل بوصية الرسول ﷺ حين سأله رجل وقال له أوصني قال: لاتغضب ، لا تغضب فردد مرارا ، قال: لا تغضب"[١]. والسائل هو جاريه بن قدامه أو سفيان بن عبدالله الثقفي وأجابه بتلك الوصية الجامعة، وذلك لأن للغضب آثاره الظاهرة والباطنة، فأما آثاره الظاهرية هي كما قال بعض العلماء خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان فهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينين من الدم لأن البشرة تحكى لون ماوراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر اللون حزنا وإن كان علي النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويترتب علي الغضب تغير الظاهر والباطن كتغير اللون والرعدة فى الأطراف وخروج الأفعال من غير ترتيب واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسه فى حال غضبه لكان غضبه حياءاً من قبح صورته واستحالة خلقته هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر لأنه يولد الحقد في القلب والجسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه بل أولى شيء يقبح منه باطنه وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه وهذا كله أثره في الجسد، وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش فاللذى يستحى منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أو القتل وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فميزق ثوبه ويلطم خده وربما سقط صريعاً ، وربما أغمى عليه أو كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ(لا تغضب) من الحكمة واستجلاب

---

(١) البخارى: كتاب الأدب: باب الحد من الغضب ....الخ فتح ١٠/٥٢٥.

المصلحة ودرء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته وهذا كله في الغضب الدنيوى لا الغضب الدينى ولكثرة الأضرار الناتجة منه بالنسبة للغاضب والمغضوب عليه وتأثير كل ذلك على الوحدة الإسلامية وتفريق جمعها نهى النبى ﷺ عنه ووصف العلاج الناجح لمن اتصف به واستحكم عنده وعليه أن يستحضر ما جاء فى كظم الغيظ من الفضل، وما جاء فى عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد وأن يستعيذ من الشيطان كما جاء فى حديث النبى ﷺ(إن الغضب من الشيطان خلق من النار، وإنما تطفى النار بالهاء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ)[1] وأن يتوضأ كذلك كما بين هذا الحديث أو يغير جلسته ومكانه ليزول عنه ماهو فيه كما جاء فى حديث أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)[2]وقال الطوفي: أقوى الأشياء فى دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقى وهو أن لا فاعل إلا الله وكل فاعل غيره فهو آله له فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية[3].

وبعد المنهيات التى جاءت في الحديث (لاتحاسدوا، ولاتباغضوا ، ولا تدابروا) وفى رواية (ولا تحاسدوا ولاتباغضوا، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تناجشوا) وفي أخرى (ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا) وفي ثالثة (ولا تهاجروا ولا بيع بعضكم على بيع بعض)[4].

جاء قول النبىﷺ (و كونوا عباد الله إخوانا) وهذه الجملة كالتعليل لما

---

(١) أبو داود : كتاب الأدب: باب مايقال عند الغضب ٤/٢٦٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) بتصرف من فتح البارى ١٠/٥٢٧.

(٤) الحديث بكل رواياته فى صحيح مسلم ١٦ من ١٥ - ٢٠ وروى البخارى أكثرها انظر الفتح ١٠/٤٩٧ وانظر دليل الفالحين ٤/٤٢٠ وما بعدها.

قبلها كأنه قال إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً، وإذا لم تتركوها [illegible] أعداء، ومعنى كونوا إخواناً اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتاً ونفياً ، وقوله (عبادالله) أي ياعباد الله بحذف حرف النداء، وفيه إشارة إلى أنكم عبيدالله فحقكم أن تتواخوا بذلك ، قال القرطبى : المعنى كونوا كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمساواة والمعاونة والنصيحة ولذا أمر الله تعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى بفعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم، فالآثم : ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما حد الله فى دينكم ومجاوزة مافرض الله عليكم في أنفسكم وفى غيركم قال صلى الله عليه وسلم: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال: تأخذ فوق يده) وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: :انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره)[1] وهذا شأن المؤمنين الذين ناداهم بقوله (عبادالله) إشارة إلى أن حق العبيد إطاعة أمرسيدهم بأن يكونوا كالإخوان فيما أمر، ووجه طاعة الله فى كونهم إخوانا متعاضدين على إقامة وإظهار شعار الدين إذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك كما قال تعالي (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم)[2] وقوله ﷺ (المسلم أخو المسلم) أى لأنهما يجمع بينهما دين واحد أشبه بالأخوين المجتمعين فى ولادة من صلب أو رحم أو منهما بل الأخوة الدينية أعظم من الأخوة الحقيقية لأن هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية ومن حق المسلم على أخيه (أن لايحقره ولا يظلمه) أى لا يستصغر شأنه ويستقل به بل علي المسلم أن يحترم أخاه المسلم ويعرف له حقوقه المذكوره في القرآن الكريم وفى السنه

---

(١) البخارى: كتاب الاكراه: باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه ...الخ فتح ٣٢٨/٥.

(٢) سورة الأنفال ٦٢ ـ ٦٣.

وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته وكرامته عند ربه وإن كان حقيراً عند الناس فالله عز وجل لاينظر نظر اعتبار إلى الأجساد والصور والأعمال ولا يترتب الثواب على كبر الجسم وحسن الصورة وكثرة العمل ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضه اقرءوا - فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً"(١).

وجاء في مناقب ابن مسعود "لرجل عبدالله تعادل في الميزان جبل أحد"(٢).

وهذا ما يبينه ويشير إلى صدره صلى الله عليه وسلم في الحديث بقوله (التقوى ها هنا ثلاث مرات وفي رواية (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلي قلوبكم) فإن كانت القلوب متوجهة إليه مقبلة عليه أقبل بسحائب فضله ووابل جوده على أصحابها وإن كانت معرضة عنه مشغولة بما سواه أعرض عن أصحابها فكأن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى، وإنما تحصل التقوى بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته، ونظر الله عز وجل مجازاته ومحاسبته وإنما يكون ذلك على مافي القلب دون الصورة الظاهرة وهو جل شأنه وعظم ثناؤه محيط بكل شيء ومقصود الحديث أن الإعتبار في هذا كله بالقلب (ألا إن في الجسد مضغة).

والمسلم محترم مكرم من قبل خالقه وعلى أخيه أن يراعي فيه ذلك ليحسن بذلك حال المسلمين في دنياهم ويعظم ثوابهم في أخراهم (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) محظور وممنوع ومن المحظورات دمه بدل بعض من كل، وجعل العرض والمال منه فيه مبالغة في المنع من التعرض

---

(١) مسلم شرح النووي: كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب جهنم أعاذنا الله منها ١٧/١٢٩.

(٢) المسند ج ٣ /حديث رقم - ٩٢٠ عن علي جـ ٦ رقم ٩٢٦١ عن ابن مسعود ط مؤسسة الرسالة والإصابة ٤/١-٢ وقال ابن حجر : إسناده حسن.

بالسوء لهما كالمنع من الدم والعرض والحسب ، يقال فلان نقي العرض: أى بريىء من العيب، والمراد منع هذه الأمور بما لم يأذن الشرع فيه من نحو قصاص فى الأول وتعزير فى الثانى وقضاء ما متنع من أدائه مما هو واجب عليه[1].

والحديث عظيم اشتمل على جمل من الفوائد والآداب التى يحتاج إليها كل فرد من أفراد المجتمع.

مايستفاد من الحديث

١ - إن الدين الإسلامى دين يدعو إلى الفضائل وينفر من الرزائل ويحض علي فعل الخير ونبذ الشر، فيحرم بغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعى، والحسد له على ما أنعم الله به عليه وأن يعامله معاملة الأخ فى النسب وأن لا ينقب عن معايبه ولافرق فى ذلك بين الحاضر والغائب، وقد يشترك الميت مع الحى فى كثير من ذلك.

٢ - بيان ما ينبغى أن يكون عليه التعامل بين المسلمين ووجوب إنزال الأخوة الدينية منزلة الأخوة النسبية.

٣- عناية الإسلام بكل ما يجمع شمل المسلمين ويبعد عنهم الشقاق ويجلب لهم المودة والوفاق.

٤ - فضل سلامة الصدر وبيان عظم الجزاء عليه.

٥ - النهى عن تعاطى الأسباب التى تؤدى إلي بغض المسلم لأخيه المسلم كالتعدى على النفوس، أو إيذاء الغير في دينهم ودنياهم، أو الحيلولة بين الناس وبين الوصول إلى حقهم أو تأخيره.

٦- البغض المذموم ماكان لدنيا أو ماكان لحظ نفسى أما البغض لله

---

(١) مستفاد من شرح النووى ١٢١/١٦ ودليل الفالحين ٤٢٢/٤.

ومن السنه احترام كبير السن أو صاحب المنزلة أو من عنده فضل علم أو صلاح فيكون لهما حق الإجلال والتوقير، وإن كان صغيراً فله حق الرحمة والتواضع وخفض الجناح قال صلي الله عليه وسلم: (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)[1] قال النووى : صحيح وعنه ﷺ(إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط)[2] قال تعالي (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن)[3] وكيف يحتقر المسلم أخاه المسلم وقد كرمه الله تعالى ، ومن تكريمه إياه أنه لما خلقه لم يحقره بل رفعه وخاطبه وكلفه فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية فى الكبرياء وهو ذنب عظيم ومن ثم ورد فى الحديث "يحسب امرىء من الشر" فالآحتقار ناشىء عن الكبر فهو بذلك يحتقر الغير ويراه بعين النقص ولا يراه أهلا لأن يقوم بحقه ولشدة هذا الأمر وعظمته عند الله وهو احتقار المسلم لأخيه المسلم قال ﷺ: (من الشر) وذلك لما فيه من إهمال حق الغير وهو (أخيه) والإعراض عنه والنظر لنفسه والرضا عليها، وقد لا يدرى أن ذلك المحتقر عند الله بمكان روي مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) [4] متلبد الشعر مغبره لا يؤذن له بل يحجب ويطرد لحقارته عند الناس وهو عند الله بمكان ولمكانته عند ربه لو حلف يميناً بحصول أمر طمعاً في كرم الله له لأبر الله قسمه بإجابة دعائه وسؤاله وصيانته من الحنث فى يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيراً عند الناس وهو عند الله بمكان ولمكانته عند ربه لو حلف يميناً بحصول أمر طمعاً في كرم الله له لأبر الله قسمه بإجابة دعائه

---

(١) أبو داود: كتاب الأدب: باب فى الرحمة ٢٦١/٤.

(٢) أبو داود : كتاب الأدب : باب فى تنزيل الناس منازلهم ٢٨٢/٤ عن أبى موسى رضى الله عنه.

(٣) سورة الحجرات ١١.

(٤) مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيميا : باب جهتم أعاذنا الله منها ١٨٧/١٧.

... الإيمان الكامل الذي يثاب عليه

... القلب وعدم الركون إليهم

...

... ما جاء

... سلامة صدر المسلم .

٨- تعامل ... الود والرحمة والتعاون والمحبة وشفقة

بعضهم على بعض ... كما يتعامل الأخوة من النسب والبعد

عن الأهواء المضلة أو ...

٩- وصف الحديث الظان بأنه أشد من الكاذب لأن الكذب في أصله

مستقبح مستغنى عن ذمه بخلاف الظن فإن صاحبه مستند إلى شيء فوصف

بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر

من الكذب لدقائه غالباً ووضوح الكذب المحض[1] والله اعلم.

---

(١) فتح الباري ٤٩٧/١٠

تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث

١٢- روى مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه)[١].

عبدالله بن مسعود رضى الله عنه

تقدم التعريف به

الأبحاث العربية

(يتناجى) النجوى إسما ومصدرا والمراد في الحديث أي لايتساران منفردين عن الثالث [٢] (ثلاثة) بالنصب على أنها خبر كان، ووقع فى مسلم ثلاثة بالرفع على أن كان تامة.

(يحزنه) الحزن والحزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور[٣] لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هى لسوء رأيهما فيه أولا سببسة غائلة له حتى يختلط الثلاثة بالناس.

الشرح والبيان

فى هذا الحديث الشريف يبين النبى ﷺ أنه من حسن الأدب أن لا يتناجى الاثنان أو الأكثر دون الواحد حتى لا يدرى ما يقولان وإن سمع بعض الكلمات إذا تحدثا جهرا بلسان لا يفهمه لأن ذلك قد يؤدى إلى وقوع الريبة

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب السلام: باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث ١٦٨/١٤.

والبخارى: كتاب الاستئذان : باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة فتح ٨٥/١١.

(٢) لسان العرب ٤٣٦١/٦ مادة نجا.

(٣) المرجع السابق ٨٦١/٢٣ مادة حزن.

قال: إنك لزهيد . قال : فنزلت أأشفقتم الآية ، قال علي : فبي خفف عن هذه الأمة"[1].

لكن بقى الحكم الأشد وهو النهى المحرم الوارد في الحديث وقد عنون الإمام مسلم للحديث بقوله (باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه) والنهى الوارد في الحديث النهى عن تناجى الأثنين دون الثالث وثلاثة دون واحد ولا عشرة لأنه نهى أن يترك واحدا، وهذا مستنبط من حديث الباب، لأن المعنى فى ترك الجماعة للواحد كترك الإثنين للواحد.

وقال المازدى ومن تبعه: لا فرق في المعنى بين الإثنين والجماعة لوجود المعنى في حق الوحد، زاد القرطبى : بل وجوده فى العدد الكثير أمكن وأشد فليكن المنع أولى وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتصور فيه ذلك المعنى ، فمهما وجد المعنى فيه ألحق به فى الحكم.

وهل المنع باق إذا انفرد جماعة بالتناجى دون جماعة؟

وحديث عائشة فى قصة فاطمة رضى الله عنهما إذ بكت لما سارها الرسول ﷺ ثم ضحكت لما سارها ثانيا فسألتها عن ذلك فقالت: ما كنت لافشى.

وحديث ابن مسعود في قصة الذى قال: "هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى والمراد منه قول ابن مسعود" فأتيته فساررته يدلان على الجواز وأن المنع يرتفع إذا بقى جماعة لايتأذون بالسرار ، وكذا يرتفع المنع ما إذا أذن من بقى سواء أكان واحدا أم أكثر للإثنين في التناجى دونه أو دونهم فإن المنع يرتفع لكونه حق من بقى.

---

(١) الترمذى شرح تحفة الأحوزى : أبواب التفسير: تفسير المجادله ١٥٧/٩ قال أبو عيسى: حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

وأما إذا تناجي اثنان ابتداء وكان هناك ثالث لا يسمع كلامهما أو تكلما جهرا فأتى ليستمع عليهما فلا يجوز ، كما لم يكن حاضرا معهما أصلا ويدل لذلك ماورواه البخارى فى الأدب المفرد من رواية سعيد المقبرى قال مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث فقمت إليهما فلطم صدرى وقال: إذا وجدت اثنين فلا تقم معهما حتى تستأذنهما ، زاد أحمد فى روايته من وجه آخر عن عبدالله بن دينار وقال: أما سمعت أن النبى ﷺ قال:إذا تناجي اثنان فلا يدخل معهما غيرهما حتى يستأذنهما(١).

وقال ابن عبدالبر: لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجين فى حال تناجيهما، وقال ابن حجر: ولا ينبغى لداخل القعود عندهما ولو تباعد عنهما إلا بإذنهما لما افتتح حديثهما سرا وليس عندهما أحد دل على أن مرادهما أن لا يطلع أحد على كلامهما ويتأكد ذلك إذا كان صوت أحدهما لا يتأتى له إخفاء كلامه ممن حضر وقد يكون لبعض الناس قوة فهم بحيث إذا سمع بعض الكلام استدل به على باقية فالمحافظة على ترك ما يؤذى المؤمن مطلوبة وإن تفاوت المراتب.

فانظر يارعاك الله على أدب الإسلام الرفيع وحرصه الدقيق فى مراعاة حال المؤمنين لتدوم الألفة وتبقى المودة ويحل الوفاق والوئام مكان التباعد والخصام وهذا ما يحرص عليه الإسلام أشد الحرص.

وهل المسارة بالحديث هي المناجاه ام بينهما فرقا؟

في رواية البخارى عطف المناجاة على المسارة من عطف الشىء على نفسه إذا كان بغير لفظه لأنهما بمعنى واحد، وقيل بينهما مغايرة وهى أن المسارة وإن اقتضت المفاعلة لا كنها باعتبار من يلقى السر ومن يلقى إليه

---

(١) مسند أحمد ٧٩/٢.

والمناجاة تقتض وقوع الكلام سر [1].من الجانبين فالمناجاه أخص من المسارّه فتكون من عطف الخاص ـ 'لعام لكن ظاهر الحديث وماجاء فيه يدل على أنهما واحد وحكمهما واحد وهو مذهب الإمام البخارى حيث ذكر باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة وذكر فى ذلك حديثين الحديث السابق أول الكلام وحديث ابن مسعود قال: قسم النبى ﷺ يوما قسمة فقال رجل من الأنصار إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله قلت أما والله لآتين النبىﷺ فأتيته وهو فى ملأ فساررته فغضب حتي احمر وجهه ثم قال رحمه الله على موسى أوذى بأكثر من هذا فصبر [2].

والسر أمامة ولا يجوز إفشاؤه وقد حفظ أنس بن مالك رضي الله عنه سر رسول الله ﷺ حتى عن أمه حينما سألته فقال لها إنها سر فقالت : لاتخبر بسر رسول الله ﷺ أحدا ولفظ الحديث كما جاء فى البخارى عن معتمر بن سليمان قال : سمعت أبى قال : سمعت أنس بن مالك أسرَّ إلى النبى ﷺ سرا فما أخبرت به أحدا بعده وقد سألتنى أم سليم فما أخبرتها به)[3] .

ولعل هذا السر الذى حفظه أنس رضي الله عنه لصاحبه كان يختص بنساء النبى ﷺ وليس له تعلق بالعلم وإلا فلو كان من العلم لما وسعه كتمانه وقال ابن بطال : الذى عليه أهل العلم أن السرّ لايباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة وجواز إفشاء السر إذا زال مايترتب على إفشائه من المضرة لأن الأصل فى السر الكتمان وإلا فما فائدته كأن يكون فيه سفك دم حرام أو فرج حرم أو اقتطع فيه مال بغير حق .

---

(١) انظر الفتح ٨٧/١١.

(٢) البخارى: كتاب الاستئذان : باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة فتح ٨٥/١١.

(٣) البخارى : كتاب الأستئذان : باب حفظ السر فتح ٨٤/١١ وأخرجه مسلم شرح النووى : كتاب الفضائل : فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه ٤١/١٦ عن ثابت عن أنس

وما تقدم فهو باعتبار حال حياة المُسر فما حكم الإفشاء بعد موته ؟
أكثر العلماء أنه إذا مات لايلزم من كتمانه ماكان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة وقال ابن حجر : الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى مايباح ، وقد يستحب ذكره ولو كره صاحب السر كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك وإلي مايكره مطلقا وقد يحرم إذا كان يترتب على الإفشاء مضرة وقد يستحب كأن يكون فيه مايجب ذكره كحق عليه كأن يعذر بترك القيام به فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك ويدل لذلك حديث أبي داود عن جابر . (المجاليس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس ماسفك فيه دم حرام وفرج حرم أو اقتطع فيه مال بغير حق)[1] .

مايستفاد من الحديث

١ ـ النهي الوارد في الحديث التحريم إلا بالإذن الدال على الرضا .

٢ ـ ظاهر الحديث الإطلاق وأنه لافرق في ذلك بين الحضر والسفر وهو رأي الجمهور خلافا لمن قال بأن ذلك يختص بالسفر الذي لايأمن فيه الرجل علي نفسه وقد رد هذا بما قاله الجمهور قال ابن العربي : الخبر عام اللفظ والمعنى والعلة الحزن وهي موجودة في السفر والحضر فوجب أن يعمهما النهي جميعا[2] .

٣ ـ يؤخذ منه أنهم إذا كانوا أربعة فلا يمتنع تناجي اثنين لإمكان أن يتناجى الإثنان الآخران وفي الأدب المفرد وأبي داود وصححه ابن حبان من طريق أبي صالح عن ابن عمر رفعه قلت فإن كانوا أربعة قلت لايضره وفي رواية مالك عن عبدالله بن دينار كان ابن عمر إذا أراد أن يسار رجلا وكانوا ثلاثة دعا رابعا ثم قال للإثنين استريحا شيئا فإني سمعت فذكر الحديث[3] .

٤ ـ فيه جواز إفشاء السر إذا زال مايترتب على إفشائه من المضرة.

٥ ـ بيان محاسن الإسلام حيث ينهى عن كل مايؤدي إلى التباغض والتقاطع وكذلك بيان مافيه من حسن الأدب ومراعاة شعور الآخرين وأحاسيسهم .

والله أعلم .

---

(١) أبو داود : كتاب الأدب : باب في نقل الحديث ٢٨٩/٤ عن أبي سعيد . (٢) فتح ٨٧/١١

(٣) أبو داود : كتاب الأدب : باب في التناجي ٢٨٤/٤ من طريق أبي صالح عن ابن عمر . قال ابن حجر : وصححه ابن حبان من هذا الطريق فتح ١٨٦/١١

١٣) عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال : تعدل بين الإثنين صدقة وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقه قال : والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة﴾(١) .

أبو هريرة ﷺ تقدم التعريف به

الأبحاث العربية

(كل سلامى من الناس عليه صدقة) كل بالرفع مبتدأ خبره عليه صدقة

سُلامى بضم السين وتخفيف اللام مع القصر هو العضو وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء والسلامى جمع سلامية وهى الأنملة من أنامل الأصابع وقيل جمعه ومفرده واحد ويجمع على سلاميات وهى التى بين مفصلين من أصابع الإنسان ، وقيل كل عظم مجوف من صغار العظام وفى شرح النووى مفصل وقد فسره فى رواية عائشة وهو أن فى الإنسان ثلاثمائة وستين مفصلا وأيده النووى بهذه الرواية (٢).

(من الناس) فى محل الصفة لسلامى (عليه) أى على ذلك الجنس والضمير فيه عائد على الجنس أو الضمير عائد على السلامى وذكره باعتبار أنه عضو أو مفصل عليه .

(صدقة كل يوم) بالنصب على الظرفية الزمانية ، وأجاز الحافظ فى الفتح رفعه مبتدأ أولا ، وتعدل مبتدأ ثان وصدقة خبر الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول والرابط مقدر . أى كل يوم تطلع فيه الشمس العدل فيه صدقة

(١) البخارى : كتاب الصلح : باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم فتح ٥/٣٦٤ وكتاب الجهاد والسير باب من حمل متاع صاحبه فى الغزو فتح ٦/١٠٠

(٢) لسان العرب ٣/٢٠٨٣ مادة سلم

وفيه الشمس جملة صفة ليوم في مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه من خلق السلاميات من باهر النعم ودوامها ويعدل أي يصلح وهو بتقدير أن قبله في تأويل مصدر مبتدأ خبره صدقة أو أوقع الفعل فيه موقع المصدر أي من قطع النظر عن (أن) وكذا فيما بعده من قوله وتعين ومابعده.

(بين الإثنين) المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن يحملهما لكونه حاكما أو محكما أو مصلحا بالعدل والإنصاف والإحسان بالقول أو الفعل على الصلح الجائز والكلمة الطيبة : هي كل ذكر أو دعاء للنفس أو للغير وسلام عليه ورد وثناء بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتآلفها

(وتميط الأذى) بضم أوله تزيل الأذى مايؤذي المارة من حجر أو شوك أو نحوهما (عن الطريق) مذكر ومؤنث (صدقة) أخرت هذه لأنها دون ماقبلها كما يشير إليه خبر (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) [١].

الشرح والبيان

الحديث يبين ويعدد خصالا كثيرة من خصال الخير ويحدد أنواعا من الصدقات الميسورة يحددها للإنسان وهي عليه صبيحة كل يوم في مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه في خلق تلك السلاميات ومما يزيد العبد تيقظا لنعمة الدوام عليه أنه تعالى قادر على سلب نعمة الأعضاء عن عبده كل آن وهو في هذا عادل في حكمه فعفوه عن ذلك وإدامة نعمة العافية عليه صدقة توجب الشكر بدوامها فيتعين على العبد شكر المنعم المتفضل بالصدقة مما يأتي في الحديث وغيره مقابلة لتلك النعم بقدر الطاقة مع ماورد من أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها ووجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم كما يفيده ظاهر الحديث (فإن لم يفعل فليسمك عن الشر فإنه له صدقة)[٢] .

(١) مسلم بشرح النووي : كتاب الإيمان : الحياء شعبة من الإيمان ٢/٥و٦ عن أبي هريرة

(٢) البخاري : كتاب الأدب : باب كل معروف صدقة فتح ٤٦٢/١٠ عن أبي موسى ضمن حديث وكذا مسلم : كتاب الزكاة : كل معروف صدقة ٦٤/٧ .

وهو يدل علي أنه يكفيه أن لايفعل شيئا من الشر ويلزم من ذلك القيام بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات ، وهذا هو الشكر الواجب ، وهذا الشكر كاف في شكر هذه النعم وغيرها أما الشكر المستحب فهو أن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة كالأذكار والمتعدية كالإغاثة والعدل وهذا هو المراد من هذا الحديث وأمثاله مع أن فيه ذكر بعض الطاعات ولذا فيجد ربنا التركيز على هذا العنصر لأهميته بين الناس لما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشير إليه بقوله تعالى (لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)[1]

أى الناس ومايتناجون ويتحدثون به إلا نجوي عمل بر أو إصلاح بين الناس فكأن الكلام الذى يقال للإصلاح بين الناس هو من خير الكلام وأحسنه قال تعالى (والصلح خير) من الفرقة والنشوز والإعراض وقال تعالى (وأصلحوا ذات بينكم) أى حقيقة مابينكم بالمودة وترك النزاع

. وقد ترجم الإمام البخاري لحديث (كل سلامى .... الخ) بقوله فضل الإصلاح والعدل ولم يورد في هذا الحديث الذي ترجم له إلا العدل كل سلامى من الناس علية صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة . فكأنه لما خاطب الناس كلهم بالعدل وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم كان عدل الحاكم إذا حكم وعدل غيره إذا أصلح ، وقال غيره الإصلاح نوع من العدل وعطف العدل عليه من عطف العام علي الخاص ولذا فالحاكم يستحب له الإصلاح بين المتنازعين كما يستحب لغيره الإصلاح بين المتخاصمين وفى حديث الرجل الذى باع العقار فوجد المشترى فيه جرة ذهب فتناكرا فأصلح بينهما رجل على أن يزوج أحدهما بنته ابن الآخر وينفقا ويتصدقا منه[2] .

---

(١) النساء الآية ١١٤

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الأقضية : استحباب إصلاح الحاكم بين المتخاصمين ١٩/١٢ وانظر الفتح ٣٦٤/٥

دليل على ذلك وقد استحب جمهور العلماء الحاكم أن يشير بالصلح وإن اتجه الحق لأحد الخصمين والشفاعة إلى صاحب الحق وحسن التوسط بينهم وقبول الشفاعة في غير معصية روى البخاري بسنده عن عائشة ﵂ قال «سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيئ وهو يقول والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال : أين المتألي على الله لايفعل المعروف فقال : أنا يارسول الله فله أي ذلك أحب » وعن كعب بن مالك أنه كان له على عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي مال فلقيه فلزمه حتى ارتفعت أصواتهما فمر بهما النبي ﷺ فقال : ياكعب فأشار بيده كأنه يقول النصف فأخذ نصف ماله عليه وترك نصفا .

وللإمام إذا أشار بالصلح فأبى من عليه الحق حكم عليه بالحكم البين كما وقع في قضية الزبير بن صفية بنت عبد المطلب . مع غريمه الأنصاري . فأمر النبي ﷺ الزبير بالقصد والتوسط مراعاة للجوار وأن يتسامح ببعض حقه على سبيل الصلح ، لأن من حق الزبير أن يمسك الماء لأنه الأعلى وهو مقدم في الشراب بأن يغطى الماء الأرض حتى لاتشربه ويرجع إلى الجدار ثم يطلقه ، فلما لم يرضى الأنصاري بالصلح والتسامح استقصى الحكم وحكم به وهي ماتدل عليه رواية شعيب عن الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجل من الأنصار وقد شهد بدرا إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كان يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ للزبير : اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال : يارسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه النبي ﷺ ثم قال : اسق يازبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذ حقه للزبير وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأى فيه سعة له

وللأنصارى فلما أحفظ الأنصارى رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه فى صريح الحكم قال : عروة قال الزبير : والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا فى ذلك (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) . ومثلها لمعمر(١) .

ولما للصلح من نفع عميم وشأن عظيم فى إزالة البغضاء بين الناس وحل الوئام مكان الخصام ورجوع أواصر المحبة والمودة بين المتخاصمين جوّز ارتكاب الكذب فيه لعظم منفعته ففى الحديث عن أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا » وفى رواية مسلم بزيادة « قالت : ولم أسمعهُ يرخصُ فى شيئ مما يقول الناس إلا فى ثلاث تعنى الحرب والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها(٢) .

قال القاضى : لاخلف فى جواز الكذب فى هذه الصورة واختلفوا فى المراد باكذب المباح فيها ماهو فقالت طائفة : هو على إطلاقه وأجازوا قول مالم يكن فى هذه المواضع المصلحة وقالوا الكذب المذموم مافيه مضرة واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ بل فعله كبيرم ، وإنى سقيم وقوله إنها أختى وقول منادي يوسف ﷺ أيتها العير إنكم لسارقون قالوا : ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عندهم مختف وجب عليه الكذب فى أنه لايعلم أين هو وقال آخرون : لايجوز الكذب فى شيئ أصلا وماجاء من الإباحة فى هذا المراد به التورية واستعمال المعاويض لاصريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا وينو إن قدر الله ذلك وحاصله أن يأتى بكلمات محتملة يفهم

---

(١) البخارى : كتاب الصلح : باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين فتح ٥/٣٦٥ والآية النساء ٦٥ وانظر الفتح د/٤٣ـ٤٨

ومسلم شرح النووى : كتاب المساقاة : باب استحباب الوضع من الدين ١٠/٢٢٠و٢٢١

(٢) البخارى : كتاب لاصلح : باب ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فتح ٥/ ٣٥٢ ومسلم : كتاب البر والصلة والاداب : باب تحريم الكذب ومايباح منه ١٦/١٥٧

المخاطب مايطيق قلبه وإذا سعى فى الإصلاح نقل عن هؤلاء لهؤلاء كلاما جميلا ومن هؤلاء لهؤلاء كذلك وورّى ، ويأتى من المعاريض المباحة فكل هذا جائز وتأولوا قصة يوسف وإبراهيم عليهما السلام وماجاء فى هذا من المعاريض[1] .

لكن التعريض أولى - وقال ابن حجر أيضا : واتفقوا أيضا على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لايسقط حقا عليه أو عليها أو أخذ ماليس له أولهما ، وكذا فى الحرب فى غير التأمين ، واتفقوا علي جواز الكذب عند الإضطرار[2] .

ومن الأمور المهمة التى تتطلب النظر وتؤخذ فى عين الأعتبار لكل من الخصمين النطق عند التحاكم بالحق ويتحاشا كل منهما الباطل وتزييف الحقائق لأن الأمة إنما كلفوا القضاء على الظاهر وعليهما أن يعلما أن قضاء القاضى لايحرم حلالا ولايحل حراما وعلى الأمام أن يعظ الخصوم بذلك لتطيب نفوس العباد للإنقياد للأحكام الظاهرة من غير نظر إلى الباطن وليعلم الخصوم أنه إذا قضى القاضى لأحدهما بظاهر يخالف الباطن فهو حرام يئول إلى النار كما جاء فى الحديث (فليحملها أو يذرها) وليس معناه التخيير بل هو التهديد والوعيد كقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[3] .

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ (إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضى له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار[4]

---

(١) شرح النووى ١٥٨/١٦

(٢) شرح النووى ١٦/ ١٥٧ ، ١٥٨ وفتح البارى ٣٥٣/٥ و٣٥٤ و٦/ ١٨٤

(٣) الكهف ٢٩ بعض آية

(٤) البخارى : كتاب الأحكام : باب موعظة الإمام الخصوم ١٦٨/١٣ وباب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه فإن قضاء القاضى لايحل حراما ولايحرم حلالا فتح ص. ١٨٤

ومعنى الحديث لعل أحد الخصمين أبلغ وأعلم من الآخر بالحجة فيقضى له بالحق لأن النبى ﷺ بشر كما جاء فى رواية كأخرى (إنما أنا بشر) للتنبيه علي حالة البشرية وأن البشر لايعلمون من الغيب وبواطن الأمور شيئا إلا أن يطلعهم الله تعالى على شيئ من ذلك وأنه يجوز عليه فى أمور الأحكام مايجوز عليهم وأنه يحكم بين الناس بالظاهر والله يتولى السرائر فيحكم بالبينة وباليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر مع إمكان كونه فى الباطن خلاف ذلك ولكنه كلف الحكم بالظاهر ونظيره قوله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ولو شاء الله تعالى لأطلعه على باطن أمر الخصمين فحكم بيقين نفسه من غير حاجة إلى شهادة أو يمين فى المسائل التى تحتاج إلى ذلك وحكم بها النبى ﷺ أى بالشاهد أو اليمين ، لكن لما أمر الله تعالى أمته باتباعه والأقتداء به أجرى له حكمهم فى عدم الأطلاع على باطن الأمور تعليما لهم وإرشادا إلى أن مبنى الأحكام على الأمر الظاهر الذى يستوى فيه جميع المكلفين ، وليس فى الحكم مايخالف القاعدة الأصولية من أنه ﷺ لايقر على خطأ فى الأحكام قال الإمام النووى : لاتعارض بين الحديث وقاعدة الأصوليين فيما حكم فيه باجتهاده .

فهل يجوز أن يقع فيه خطأ ؟

فيه خلاف الأكثرون علي جوازه ، وقالوا إن النبى ﷺ لايُقر على إمضائه بل يعلمه الله تعالى به ويتداركه وأما الذى فى الحديث فمعناه إذا حكم بغير اجتهاد كالبينة واليمين فهذا إذا وقع منه مايخالف ظاهره باطنه لايسمى الحكم خطأ بل الحكم الصحيح بناء على ما استقر به التكليف وهو وجوب العمل بشاهدين مثلا فإن كانا شاهدى زور أو نحو ذلك فالتقصير منهما وممن ساعدهما وأما الحَكَمْ فلا حيلة له فى ذلك ولا عيب عليه . بخلاف ما إذا أخطأ فى الاجتهاد فإن هذا الذى حكم به ليس هذا هو حكم الشرع . قوله (فمن قطعت له من حق أخيه) أو فى رواية البخارى (قُضِيَ) بدل

قطعت أي شخصية شيء أخوة بالمعنى الأعم ، وهو الجنس لأن المسلم والذمي والمعاهد والمرتد في هذا الحكم سواء ، وأن مالهم كمال المسلم فهو مضطرد في الأخ من النسب ومن الرضاع ومن الدين وغير ذلك [1].

كأن الحكم بين الناس على الظاهر لطف من الله تعالى ليستتر الناس به ويبقوا في ستر من الفضيحة العظمى ، إذ لو اطلع أحد على العيب لم يحتج أحد إلى شاهد في دعواه ولظهر من كل مبطل ماقصده ونواه ، وعلى من قلده الله تعالى شيئا من أمر المسلمين واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم فإذا خان فيما أؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييعه تعريفهم مايلزمهم من دينهم وأخذهم به وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعه والذب عنها لكل متصد لإدخال داخله فيها أو تحريف معانيها أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم أو ترك حماية جوزتهم ومجاهدة عدوهم أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم .

قال القاضي : وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة من الجنة عن الحسن قال : أتينا معقل بن يسار نعوده فدخل علينا عبيد الله فقال له معقل : أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ فقال : (مامن والي يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة)[2] .

وقوله (وهو غاش) قيد للفعل مقصود بالذكر ، يريد أن الله إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة لا ليغشهم حتى يموت على ذلك ، فلما وقعت القضية استحق أن يعاقب بالحرمان من دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين وهذا هو معنى قوله ﷺ كما جاء في رواية لمسلم (لم يدخل معهم الجنة) بل يؤخر عنهم عقوبة له إما في النار وإما في الحساب وإما في غير ذلك[3] .

ورفق الراعي وهو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ماقام عليه وماهو تحت

---

(١) شرح النووي ١٢ / ٢١٥ وفتح الباري ١٣/١٨٥ ومابعدها

(٢) البخاري : كتاب الأحكام : باب من استرعى رعية فلم ينصح فتح ١٣/١٣٦ ومسلم شرح النووي : كتاب الإيمان : باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ٢/١٦٦

(٣) انظر شرح النووي ١٢/٢١٥ وفتح الباري ١١/١٣٧

٣) أن كل مايدخل السرور على المؤمن ويجمع القلوب ويؤلفها مطلوب شرعا وكذا سائر ماقيه معاملة بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ومنه قوله ﷺ (ولو أن تلق أخاك بوجه طلق).

٤) فيه العفو عن القصاص والشفاعة فى العفو والصلح على الدية ودليله حديث البخارى عن أنس ﷺ قال : كسرت الربيع - وهى عمة أنس بن مالك - ثنية جارية من الأنصار فطلب القوم القصاص ، فأتوا النبى ﷺ فأمر النبى ﷺ بالقصاص ، فقال : أنس بن النضر عم أنس بن مالك : لا والله لاتُكسرُ سنُّها يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ يا أنس كتاب الله القصاص - فرض القوم وقبلوا الأرش ، فقال : رسول الله ﷺ إن من عباد الله لو أقسم على الله لأبرَّه (١).

٥) بيان ماكان عليه النبى ﷺ من الصفح والحلم والصبر على الأذى فى الله والدعاء إلى الله وتأليف القلوب على ذلك ، وهذا يفيده حديث البخارى أن أنس ﷺ قال : « قيل للنبى ﷺ : لو أتيت عبدالله بن أُبيٍّ . فانطلق إليه النبى ﷺ وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاه النبى ﷺ قال : إليك عنى ، والله لقد أذانى نتن حمارك .. الخ (٢)

٦) حم الحاكم لايغير الباطل فهو لايحل حلالا ولا يحرم حراما .

والله أعلم

---

(١) البخارى : كتاب الصلح : باب ماجاء فى الإصلاح بين الناس فتح ٥/٣٥١ وانظر الفتح ١٢/٢٣٤

(٢) البخارى : كتاب الصلح : باب الصلح فى البداية فتح ٥/٣٦٠

والتفسير :باب الجروح قصاص ٨/ ١٢٤

والديات : باب السن بالسن ١٢/٢٢٣

١٤) روى مسلم بسنده عن عن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : ﴿ الدين النصيحة قلنا لمن قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ (١) .

التعريف بالصحابى تميم الدارى رضي الله عنه

وهو أبو رقية - بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء ابنة له لم يولد له غيرها وهو تميم بن أوس بن حارثة الدارى نسبة إلى جد له ، ويقال أيضا الديرى نسبة إلى دير كان يتعبد فيه وكان نصرانيا وقدم المدينة فأسلم وذكر للنبى ﷺ قصة الجساسة والدجال إذ وجده هو وأصحابه فى البحر فحدث النبى ﷺ بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه إذ لم يقع نظيره لغيره وأسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم ولهما صحبة قال ابن إسحاق قدم المدينة وغزا مع النبى ﷺ روى له ثمانية عشر حديثا توفى رضي الله عنه سنة أربعين ودفن ببيت جبرون من بلاد فلسطين ، وكان راهب أهل فلسطين وعابد أهل فلسطين وأول من أسرج السراج فى المسجد وكان كثير التهجد قام ليلة بآية حتى أصبح وهى (أمْ حسب الذين اجترحوا السيئات) الجاثية ٢١ رضي الله عنه (٢) .

الأبحاث العربية

(الدين) يطلق الدين ويراد به الجزاء على الأعمال والحساب عليها قال تعالى (مالك يوم الدين) (٣) أى يوم الحساب والجزاء على الأعمال ، ويطلق الدين أيضا ويراد به الاسلام عقيدة وشريعة قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) (٤)

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة ٢/ ٣٧

والبخاري : كتاب الإيمان : باب قول النبى ﷺ (الدين النصيحة) فتح ١/١٦٦و ١٦٧ وفى الصلاة ٢/ ١٠ والزكاة ٣/ ٣١٤ والبيوع ٤/٤٣٢ عن جرير ضمن حديث بلفظ (والنصح لكل مسلم)

(٢) الإصابة ١/٤٨٧ والثقات لابن حبان ٣/٣٩ وتهذيب التهذيب ١/ ٥١١

(٣) سورة الفاتحة ٤ (٤) آل عمران ١٩

وأل فى الدين للعهد أى دين الإسلام النصيحة ، وهذه الجملة معرفة الطرفين والجملة المعرفة تفيد الحصر ، ويحتمل أن يراد من الحصر المبالغة أى معظم الدين النصيحة كما قيل فى حديث (الحج عرفة) ويحتمل أن يحمل على ظاهره فيكون حصرا حقيقيا وهو الظاهر . كما سيتضح من تفسير النصيحة وأنها جمعت الدين كله .

(النصيحة) أصل النصح فى اللغة الخلوص يقال : نصحت العسل إذا صفيته ويقال : نصح الشيئ إذا خلص ، ونصح له القول إذا أخلص له (١) .

الشرح والبيان

هذا حديث عظيم الشأن وهو أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام وعده بعض العلماء من الأحاديث الخمسة التى تجمع أمور الإسلام وهى قوله ﷺ

١ - إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى ...

٢ ـ الحلال بين والحرام بين

٣ ـ لاضرر ولا ضرار

٤ ـ الدين النصيحة

٥ ـ « مانهيتكم عنه فاجتنبوه ، وماأمرتكم به فأتو منه ماستطعتم ».

وبالغ الأمام النووى فقال : بل المدار على هذا وحده ، ذلك أن (النصيحة) كلمة جامعة معناها إرادة الخير للمنصوح له ، وهى من وجيز الأسماء ومختصر الكلام فليس فى كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معني هذه الكلمة ، كما قالوا فى الفلاح ليس فى كلام العرب كلمة أجمع لخيرى الدنيا والآخرة منه .ولأهمية النصيحة قامت عليها أيضا الرسالات

---

(١) لسان العرب ٦/ ٤٤٣٨ مادة نصحت

السابقة قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام وما قاله لقومه (وأنصح لكم).

قال الشيخ محمد بن علان : قال السلمى فى الحقائق قال بعضهم : أنصح لكم أدلكم على طريق رشدكم ، وقال شاه الكرمانى : علامة النصيحة ثلاثة : اغتمام القلب بمصائب المسلمين ، وبذل النصح لهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوا وكرهوه (١) .

وقال تعالى مخبرا عن قول هود لقومه (وأنالكم ناصح أمين) أى فيما أمركم به من عبادة الله وترك ماسواه (أمين) على تبليغ الرسالة وأداء النصح والأمين الثقة على ما أؤتمن عليه.

والنصيحة تقتضى ناصحا وهو كل مسلم مخاطب بهذا الحديث : ومنصوحا ماستفهم عنه الصحابة من رسول الله ﷺ فبينه لهم بقوله : (لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولائمه المسلمين وعامتهم) ولذلك أستوعب الرسول ﷺ فى جوابه كل أنوا ع النصحية . وهى :

النصيحة لله ومعناها يرجع إلى الإيمان به ونفى الشريك عنه وترك الإلحاد فى صفاته وأسمائه ووصفه بصفة الكمال والجلال وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، والجهاد فى رد العاصين اليه ، روى الثورى عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى ثمامة صاحب على قال الحواريون : لعيسى عليه السلام ياروح الله من الناصح ؟ قال : الذى يقدم حق الله على حق الناس (٢)

والأعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلا ص فى جميع الأمور والدعاء إلي جميع الأوصاف المذكورة ، والحث عليها ، والتلطف فى جمع الناس عليه ، ومن أمكن منهم علمها : قال الخطابى : وجميع هذه الأشياء وتلك الأوصاف راجعة

---

(١) دليل الفالحين ١/٤٥٨

(٢) فتح البارى ١/١٦٧

فى حقيقتها إلى نصح العبد نفسه فى شأن الله تعالى والله جل شأنه غنى عن نصح الناصحين .

والقصد من تلك الإضافة الترغيب فيها .

قوله ﷺ (ولكتابه) الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتحليل ماحلله وتحريم ماحرمه والأهتداء بما فيه والتدبر لمعانيه والقيام بحقوق تلاوته والاتعاظ بمواعظه والأعتبار بزواجره ودفع تأويل المحرفين وطعن الطاعنين عنه والعلم بمحكمه والإيمان بمتشابهه مع التنزيه عما يوهمه ظاهره مما لايليق بجلاله والإمساك عن الخوض فى تفسيره مادام لم يجتمع فيه آلاته والدعوة إلى جميع ذلك ، والحض عليه والترغيب فيه ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه فى التلاوة وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه ،والتفكر فى عجائبه ،والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، وننشر علومه والدعاء إليه وإلى ماذكر من نصيحته .

والنصحية لرسوله ﷺ تصديقه علي الرسالة وكل ماجاء به ، وأنه خاتم النبيين لانبى بعده وطاعته في أمره ونهيه وبيانه للشريعة فإن طاعته من طاعة الله ، قال تعالى :(من يطع الرسول فقد أطا ع الله) (١) .

وتوقيره حيا وميتا وكذا نصرته ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ، وإعظام حقه ، وإحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر شريعته وتعليم علومها والتفقه فى معانيها ، والدعاء إيها والتلطف فى تعليمها. وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ، ومحبة آله وأصحابه ، وبغض أهل البدع فى السنة والمتعرضين لأحد من الصحابة ، والدعاء لجميع ذلك .

---

(١) سورة النساء الآية ٨٠

والنصيحة لأئمة المسلمين) والمراد بهم الخلفاء ونوابهم والنصيحة لهم ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب المسلمين لطاعتهم ، وأن لايغروا بالثناء الكاذب عليهم ويدعى لهم بالصلاح ، قال الخطابى رحمه الله : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، هذا كله بناء علي أن المراد بهم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين ، وهذا هو المشهور وحكاه الخطابى ثم قال : وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين ، ومن نصيحتهم قبول مارووه وتقليدهم فى الأحكام وإحسان الظن بهم . وبث علومهم ونشر مناقبهم .

(وعامتهم) من عدا ولاة الأمر ونصيحتهم إرشادهم لمصالحهم فى دنياهم وآخراهم وإعانتهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم وسد خلاتهم ، ورفع المضار عنهم ، وجلب المنافع إليهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق ، وأن يحب لهم مايحب لنفسه ، ويذب عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بالقول والفعل وتنشيط هممهم إلى الطاعات ، وحثهم على التخلق بجميع ماذكرناه من أنواع النصحية ، وقد كان فى السلف ﷺ من تبلغ بهم النصيحة إلى الإضرار بدنياه ، فهذا هو جرير بن عبدالله البجلى ﷺ . كان من وفائه بما التزم من النصح أنه أمر مولاه أن يشترى له فرسا فاشترى له فرسا بثلاثمائه درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم قال ذلك إليك يا أبا عبدالله فقال : فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال : إنى بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم (١).

---

(١) شرح النووى على صحح مسلم ٢/٣٩و٤٠

وفتح البارى ١/١٦٧ ومابعدها ودليل الفالحين ١/٤٥٨ ومابعدها

وكان أولا رضى بماقل من ذلك بكثير بذلا للنصيحة وتنفيذا لكلام رسول الله ﷺ ولو أضر ذلك بدنياه طمعا فى مرضات مولاه وبذلوا فى ذلك أموالهم فى سبيل رضاه قال ابن بطال رحمه الله تعالى : والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين قال : والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشئ على نفسه أذى فهو فى سعة .

والنصيحة للغير فرض كفاية ، ونصح الكافر جائز ونصحه أن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب إذا استشار ، وتقييد النصيحة بالمسلم فى رواية جرير (والنصح لكل مسلم) للأغلب .

وليس على المسلمين من سبيل إذا أخلصوا فى الإيمان والعمل الصالح فلم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم ولم يثيروا الفتن قال تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) (١) .

والنصحية يجب أن تكون سرا ، وإلا خرجت عن حد النصحية ، ولذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرا حتى قال بعضهم : من وعظ أخاه سرا فهو نصيحة ومن وعظه على رؤوس الأشهاد فإنما وبخه .

ومن ثم قال الفضيل : المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير ، وقد بدأ الحديث بالنصيحة لله لأن الدين له حقيقة ولأنها الأساس المقدم فى الرتبة على مابعده وثنى بكتابة الصادع بحججه وبيناته المعجز بنظمه وأسلوبه ثم ذكر رسوله الداعى إلى دينه المبين لأحكامه والمفصل لشريعته ، ثم أولى الأمر الذين هم الأمراء أوالعلماء خلفاء أنبيائه وورثتهم القائمون بشريعتهم تبيتا وإلزاما ثم العامة لأنهم أتباع الأئمة .

---

(١) سورة التوبة الآية ٩١

مايستفاد من الحديث

١ - بيان عظم شأن النصيحة وأنها لما اشتملت عليه تعتبر الدين كله .

٢ - إن الدين يشمل الأعتقاد والأقوال والأفعال ، إذ سمى النصيحة دينا وهى شاملة لكل ذلك .

٣ - إن النصيحة لأئمة المسلمين أهم من النصيحة لعامة المسلمين ، حيث ذكر أئمة المسلمين فى الحديث على جهة الاستقلال ، بينما جعل العامة تبعا لأئمتهم ، إذ بصلاح الراعى تصلح الرعية وبفساده يفسدون.

٤ - وجوب التلاحم بين الحاكم والمحكوم والراعى والرعية ، حيث جعلهم الحديث كالشيئ الواحد ولم يفصل بينهما باللام كما هو الحال فى المعطوفات الأول لأن الاستقلال فيها عن المعطوف عليه وهو لفظ الجلالة واضح لايحتاج إلى بيان .

٥ - النصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشى علي نفسه فهو فى سعة.

٦ - بيان عظم وعلو شأن الترابط الإسلامى والتمسك به ومراعاة ذلك

٧ - أن من حق المؤمن على أخيه أن ينصحه إذا رأى به مايشينه فى دينه أو دنياه ولو أضر ذلك بدنياه فالمؤمن مرآة أخيه .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو أهمل العمل به لفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق على الراقع ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد .

لذا فهو من الفرائض والسنن والآداب ومحاسن الأخلاق المحمودة شرعا، فالأمر بالمعروف أمر بكل فعل يعرف بالشرع والعقل حسنه قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(١) والخير دينى أو دنيوى ليس فيه كراهة دينية ، وكل مايرغب فيه من الأفعال الحسنة . وقد بين الله تعالى شرف أمة محمد ﷺ على الأمم الماضين بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فمن تحقق فيه هذا الوصف فهو من أفضل الأمة ، لا كالأمم الماضية فى تفرقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعوف والنهى عن المنكر مع قيام الحجة عليهم قال تعالى (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)(٢) .

فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم المفلحون الناجون فالمفلح هو الظافر بالمطلوب الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ، وهذا هو شأن المؤمنين وسبيل الموحدين قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)(٣) أى أنصار يتعاونون على العبادة ويتبادرون إليها ، وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويعينه على سبيل نجاته ألا ترى النبى ﷺ يقول (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله ﷺ (المؤمنون كالجسد

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤

(٢) آل عمران ١٠٥

(٣) سورة التوبة من الآية ٧١

الواحد) قال ابن علان : فـ ازن : لما كان نفاق الأتباع وكفرهم حصل بتقليد المتبوعين به وبمقتضى الطبيعة قال فيهم (بعضهم من بعض) ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ضد وصف المنافقين الذين هجروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير الأمم قال تعالى (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لايستحقون مدحا فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيما فيذموا ، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الناجين أو من الهالكين علي قولين[1] .

وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون)[2] .

أى أنهم استحقوا اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ، ثم فسر الإعتداء بقوله (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) أى لاينهى بعضهم بعضا عن المنكر (لبئس ماكانوا يفعلون) الام لام القسم : أى أقسم لبئس ماكانوا يفعلون ، يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان قال رسول الله ﷺ : (إن أول مادخل النقصُ على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقولُ : ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا [ولا] يمنعُه ذلك كأن يكونَ أكيلهُ وشريبه وقعيدهُ ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم

(١) تفسير ابن كثير ٢/٨٢ ومابعدها

(٢) سورة المائدة ٧٨

قال : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم - إلى قوله - فاسقون) (١).

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهوُن عن المنكر ولتأخذُن على يَدى الظالمِ ، ولتأطُرنَّه على الحق أطرًا ، ولتقصرُنه على الحق قصرًا) وعن ابن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ بنحوه وزاد : (أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم) فهذا الباب أى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبتغى لطالب الآخرة والساعى فى تحصيل رضا الله عزوجل أن يعتنى به فإن نفعه عميم وفائدته عظيمة لاسيما وقد ذهب معظمه ، ويخلص لله نيته ولايهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال (ولينصرن الله من ينصره) وليعلم أن الأجر على قدر النصب ولايتاركه أيضا لصداقة أحد أو مودته ، فإن الصداقة والمودة توجب حقا ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى فى عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص فى دنياه وعدوه من يسعى فى ذهاب أو نقصِ آخرته وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم فى مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها ، فالعقوبة مستحقة على العموم بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ، كل بحسب طاقته ، وليحذر المؤمن العاقل من تهييج الفتن واختلاف الكلمة ، فلتكن الأمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، والآيات التي تحث علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة معلومة والأحاديث كذلك ومنها حديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. ... الخ) وسنفصل القول فيه إن شاء الله تعالى.

---

(١) أبو داود : كتاب الملاحم : باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٠٩/٤ عن ابن مسعود والترمذى : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة المائدة ٢٤٨/٨ نحوه عن ابن مسعود وقال : حسن غريب وابن ماجة : كتاب الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٣٢٧/٢ عن أبى عبيدة وعن عبدالله بن مسعود وانظر احياء علوم الدين ٢٨٢/٣

١٥ ــ عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ﴾[١] .

التعريف بالصحابي (أبو سعيد الخدري رضي الله عنه)

هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجي استشهد أبوه يوم أحد ولم يترك له مالا فتحمل أبو سعيد هموم العيش ومصاعب الحياة صغيرا ، لكن لم يمنعه ذلك من حضور مجالس النبى ﷺ وتلقى الحديث عنه في رغبة أكيدة وحرص شديد حتى تحمل عنه مالم يتحمله من كان مثله فعد من مشهورى الصحابة وفضلائهم ومحدثيهم ، روى الحديث عن أبى سعيد كثير من الصحابة والتابعين وشهد مع النبى ﷺ اثنتى عشرة غزوة أولاها الخندق ، وكان قوالا للحق لايرهب فيه أحدا . مهما عظم سلطانه وعلا شانه وجاء عنه في هذا (لايمنعنَ أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه) رفعه .

قال أبو سعيد : فحملنى ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة عن أشياخه ، قال : لم يكن أحد من أحداث رسول الله ﷺ أفقه من أبى سعيد الخدرى) ونقل عنه أصحاب الحديث (١١٧٠) ألفا ومائة وسبعين حديثا توفي أبو سعيد بالمدينة سنة أربع وسبعين (٧٤) نشرفيها كثيرا من الحديث ، وكان محل تقدير الصحابة والتابعين فرضى الله عنه[٢] .

الأبحاث العربية

(من رأى منكم) الخطاب لجميع الأمة حاضرها بالمشافهة وغائبها بطريق التبع والمراد من الرؤية العلم عن طريق أى حاسة من الحواس .

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان : باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/٢١

(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة ٢/٦٥ وتهذيب التهذيب ٣/٤٧٩

والمنكر فى الحديث ضد المعروف وهو كل ماقبحه الشرع وحرمه أو كرهه .

(وذلك أضعف الإيمان) ذلك إشارة إلى التغيير بالقلب والمراد من ضعف الإيمان ضعف أثره وثمراته .

الشرح والبيان

من شعب الإيمان بل من أقواها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو من النصيحة فى الدين وسنة من سنن المرسلين وهو الركن الذى لوانهدم لعم الفساد ، وكثر الخبث ، وظهرت الفاحشة واشتعلت الفتن ، ونزل العذاب وشمل الخراب.

عن حذيفة ﵁ عن النبى ﷺ قال : (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أوليُوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه تدعونه فلا يستجاب لكم) .

أى بالمعروف شرعا (ولتنهون عن المنكر) أو ، عاطفة أى ليكون أحد الأمرين : إما امتثال ما أمرتم من الأمر والنهى أو الوقوع ما أنذرتم به (أن يبعث عليكم عقابا منه) بجور الولاة أو تسليط العداة أو غيره من البلاء (أو تدعونه) برفع ذلك (فلا يستجاب لكم) لكون الحكمة الإلهية جعله جزاء لما فرطتم فيه من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وفيه أن المنكر إذا لم ينكر عم شؤمه وبلاؤه فاعله وغيره كما جاء فى الحديث المتفق عليه عن زينب بنت جحش ﵂ (أن النبى ﷺ دخل عليها فزعا يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبثُ) (١).

---

(١) البخارى : كتاب الفتن : باب قول النبى ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب فتح ١٣/١٣

ومسلم بشرح النووى : كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢/١٨

والمعنى أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كثر الصالحون ففيه بيان شؤم المعصية و حريض على إنكارها ، وذلك لأن المعصية إذا لم يستعلن فاعلهاكان ضررها مقصورا عليه ، أما إذا أعلنها ولم يوجد من يغيرها تعدى ضررها إلى عامة المسلمين ، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك بقوله : (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)[1] قال ابن كثير يحذر الله تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختبارا ومحنة يعم بها المسيئ وغيره لايخص بها أهل المعاصي ولامن باشر الذنب بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع .... ثم قال : وورد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين أن لايقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بعذاب وهذا تفسير حسن جدا .

وأيد كذلك بأن الخطاب في الآية يعم الصحابة وغيرهم فقال : والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم هو الصحيح[2].

فكأن الضرر لايقتصر على الظالمين المرتكبين للمعصية بل تعمهم وغيرهم ممن أقروها وسكتوا عنها ولم يغيروها ، وقد ورد الوعيد الشديد على إقرار المنكرات والسكوت علي تغييرها من ذلك حديث عبد الله بن مسعود المتقدم وآية سورة المائدة ٧٨ .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم مادام المعروف من الواجبات الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة أنه واجب أو فرض ، ومادام المنكر من المحرمات المشهورة كقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق - وكالزنا وشرب الخمر ولعب الميسر ، وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة أنه حرام أما إذا كان المعروف أو المنكر من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالإجتهاد اقتصر وجوب الأمر

---

(١) سورة الأنفال ٢٥

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٨/٢ ومابعدها

بها أو النهى عنها على من علموها وفهموا أدلتها وهم العلماء الذين عناهم الله تعالى بقوله (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (١).

وقد علمنا رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فى هذا الحديث مراتب تغيير المنكر فقال صلوات الله وسلامه عليه :(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) منكرا أى شيئا قبحه الشرع فعلا أو قولا أى فى غيره من المؤمنين (فلينكره بيده) وفى رواية الشيخين فليغيره أى بأن يمنعه بالفعل بأن يكسر الآلات ويريق الخمر ويرد المغصوب إلى مالكه (فمن لم يستطع) أى التغيير باليد وإذالته بالفعل لكون فاعله أقوى منه (فبلسانه) أى فليغيره بالقول من نحو صياح واستغاثة وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه ، وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة

ولايسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكونه لايفيد فى ظنه بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وأن الذى عليه الأمر والنهى لا القبول وكما قال الله عز وجل ماعلى الرسول إلا البلاغ ومثل العلماء هذا بمن يرى إنسانا فى الحمام أو غيره مكشوف بعض العورة ونحو ذلك .

قال العلماء : ولا يشترط فى الآمر والناهى أن يكون كامل الحال ممتثلا مايأمر به مجتنبا ماينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلا بما يأمر به والنهى وإن كان متلبسا بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الاخلال بالآخر ؟.

ولايختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين.

قال إمام الحرمين : والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة فى

---

(١) سورة التوبة ١٢٢

الصدر الأول والعصر الذى يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير ولاية.

ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه وذلك يختلف باختلاف الشيئ فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها .

وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب . وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم ، وعلى المذهب الآخر المعيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والاثم مرفوع عنه لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق فإن العلماء متفقون علي الحث على الخروج من الخلاف إذ لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع فى خلاف آخر (1).

وعليه فالواجب علي من رأى منكرا أن يغيره ويزيله بكل وسيلة يمكنه إزالتها بها فعلا أو قولا - فإن علم أو غلب على ظنه أن التغيير باليد ربما يؤدى إلى منكر أشد كف يده واقتصر على القول باللسان فإن خاف أن يلحقه ويصيبه بسبب ذلك ضرر لايتحمله غير بقلبه وذلك بكراهيته لذلك الأمر ومقته وعدم الرضا به ، والانسحاب من المجالس والمحافل التى بها ذلك المنكر ، والإعراض عنها حتى تعود إلى رشدها قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)(2).

---

(1) شرح النووى ٢١/٢ ومابعدها

(2) سورة الأنعام : ٦٨

وليتحمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مايصيبه من الأذى والضرر فى هذا السبيل مادام فى ذلك إعزاز الدين وإظهار كلمة الحق فهذه صفة أولى العزم والجد والصبر . قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين)(١) .

وقال : (ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) (٢).

ولايتعارض وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع قول الحق جل وعلا (يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم) (٣).

أى فيجازى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وليس فيها دليل علي ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكنا (٤)

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير يعني ابن معاوية حدثنا إسماعيل بن أبى خالد حدثنا قيس قال :قام أبوبكر الصديق ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم ....الخ) وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه)(٥).

---

(١) سورة العنكبوت : ٦٩

(٢) سورة الحج : ٤٠

(٣) سورة المائدة : ١٠٥

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٩/٢ وتحفةالأحوزى ٣٥٨/٨

(٥) أخرجه أبو داود : كتاب الملاحم : باب الأمر بالمعروف والنهى ١٠٧/٣

والترمذى : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة المائدة ٣٥٨/٨ ت وقال : حسن صحيح وأخرجه أحمد مسند أبى بكر ٢/١ الكل عن قيس بن أبى حازم

وأخرجه ابن ماجه : كتاب الفتن : باب قوله تعالى : (يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم) ١٣٣٠/٢ عن أبى ثعلبة الخشبى

وانظر شرح الحديث فى شرح النووى ٢١/٢ ومابعدها

ودليل الفالحين ٤٦١/١ باب فى الأمر بالمعروف

تحفة الأحوزى ٣٥٨/٨ و ٣٢٩/٦ و ٣٣٠

والمراد بقوله ﷺ (أضعف الإيمان) أى أقله ثمرة .

قال القاضى عياض : هذا الحديث أصل فى صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا ، وأما الرضا بالمنكر فلا يدخل فيما أتى هذا الحديث له ولا يتفق مع الإيمان بل يتنافى معه ، ومن ثم قال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر .

مايستفاد من الحديث

١ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢ ـ تحديد مسئولية الأفراد فى حماية المجتمع من المنكرات والعمل على إزالتها .

٣ ـ أن آخر الخصال المتعينة على العبد وأضعفها إنكار المنكرات بالقلب ، ويزداد الإيمان بمقدار مشاركة المسلم مشاركة إيجابية فى إحقاق الحق ورد العدوان ، والدفاع عن حدود الله ، وحقوق المجتمع .

٤ ـ تحديد مسئولية الأفراد فى حماية المجتمع من المنكرات والعمل على إزالتها .

والله أعلم

١٦- روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده عن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « إياكم والجلوسَ بالطرقات قالوا يارسول الله : مالنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدثُ فيها قال رسول الله ﷺ : إذا أبيتم إلا المجلسَ فاعطوا الطريق حقهُ قالوا : وما حقُّهُ قال : غضُّ البصر وكفُّ الأذى ورد السلام والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر » (١).

أبو سعيد الخدرى ﷺ تقدم التعريف به

الأبحاث العربية

(إياكم) هى للتحذير حذف العامل وجوبا ، والأصل أحذركم .

(فى الطرقات) جمع طريق وهو يذكر ويؤنث ويجمع على طرق . والمراد به كل سبيل يمر به الناس ذهابا وإيابا(٢) ومثله (الصُعُدات) بضمتين جمع صعد كذلك جمع صعيد كطريق وطرق وزنا ومعنى ، وزعم ثعلب أن المراد بالصعدات (٣)وجه الأرض ويلحق بالطريق ما فى معناه من الجلوس فى الحوانيت وفى الشبابيك المشرفة على المارة .

(بُدُّ) بضم الموحدة وتشديد الدال أى فرقة .

(نتحدث فيها) استئناف بيانى لعدم قدرتهم على تركها أى بالخيور الدنيوية والأخروية فإن مجالسهم كانت مصونة عما لايعنيهم من المباحات فقال رسول الله ﷺ (فإن أبيتم إلا المجلس ، والمجلس مصدر ميمى بمعنى الجلوس ، وعند البخارى بالجمع (إلا المجالس) وأل فيه للعهد والاستثناء مفرغ : أى إذا أبيتم سائر الأفعال إلا الجلوس فى الطرقات .

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب السلام : حق الجلوس على الطريق رد السلام ١٤/١٤٢
والبخارى كتاب الاستئذان : باب قوله تعالى يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا .. ألخ فتح ١١/١٠

(٢) لسان العرب ٤/٢٦٦٥ مادة طرق

(٣) المرجع السابق صـ ٢٤٤٧

جاء الإسلام ليحكم تصرفات العبد المسلم فى كل أمر يقدم عليه ، وفى كل أمر يحجم عنه فعليه أن يلتزم بما شرعه المولى عزوجل ، لأنه يعلم أن كل أمر مسجل عليه ومقيد فى كتاب وأنه سيحاسب على ماقدم : إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، إن الحساب الدقيق الذى لا يترك فيه للعبد مثقال ذرة إلا وتحصى عليه ، ثم يحاسب عليها ، تجعله يراقب الله تعالى فى حركاته وسكناته فيراعى الآداب الشرعية ، وبخاصة الأمور التى تعود علي المجتمع بالنفع أو الضرر فحث علي الأولى وحذر من الثانية حيث أن القاعدة الأساسية (لاضرر ولا ضرار) فالضرر الذى يلحق المجتمع يعم كل أفراده وتضطرب أحوالهم ، ولذا نرى الجانب الإجتماعى فى نصوص الشريعة قد أحاط بكل مايهم المجتمع ويؤثر فيه إنه التشريع المحكم تنزيل من حكيم حميد.

والحديث الذى بين أيدينا يعطى تحديدا لآداب الطرقات الواجب علي كل مسلم أن يتبعها ويسير على هديها حتى لايقع فى المعصية ويبوء بالذنب .

والطريق مكان لابد لكل إنسان أن يطرقه ليصل إلى غايته ، لذا خاطب رسول الله ﷺ أصحابه بقوله : أحذركم أن تجلسوا فى الطريق وفى حديث أبى طلحه (كنا قعودا بالأفنية فجاء رسول الله ﷺ فقال : مالكم ولمجالس الصعدات).[1]

زاد سعيد بن منصور فإنها سبيل من سبيل الشيطان أو النار).

قوله (فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها) .

القائل هو أبو طلحة . قاله الحافظ فى الفتح ، وهو مبين فى رواية الإمام مسلم رحمه الله وفى إطلاق الجمع على الواحد مجاز . وأنه من القائلين . أنهم لامناص لهم ولاغنى عن هذه المجالس فهى نواديهم وأمكنة حديثهم

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب السلام : باب حق الجلوس على الطريق رد السلام ١٤/١٤١

يتحدثون فيها عن مصالحهم ومعايشهم ويروحون عن أنفسهم ، ويتذاكرون أمورهم ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : فيه دليل على أن أمره لهم لم يكن للوجوب ، وإنما كان على طريق الترغيب والأولى : إذلو فهموا الوجوب لم يراجعوه هذه المراجعة ، وقد يحتج بها من لايرى الأمر على الوجوب .

وقد عقب ابن حجر على كلام القاضي بقوله (ويحتمل أن يكونوا رجوا وقوع النسخ تخفيفا لما شكوا من الحاجة إلى ذلك ، ويؤيده أن في مرسل يحيى بن يعمر (فظن القوم أنها عزمة) ووقع في حديث أبى طلحة فقالوا (إنا قعدنا لغير ما بأس ، قعدنا نتحدث ونتذاكر) .

والأمر هنا يفهم من قوله عليه الصلاة والسلام (إياكم) فإنه بمعنى احذروا واجتنبوا ومن هذا فهم القاضي رحمه الله . أن مراجعتهم له > دليلا على أن الأمر لم يكن للوجوب ، وأما الحافظ فإنه يرى أن الأمر محتمل للوجوب والندب ، ويميل أنه للوجوب لما ذكره من حديث يحيى بن يعمر (فظن القوم أنها عزمة) فإن أبيتم سائر الأفعال إلا الجلوس في الطرقات (فاعطوا الطريق حقه) أى مايطلب فيه من الآداب وفى رواية حفص بن ميسرة عند البخارى (حقها)[1] والطريق يذكر ويؤنث .

قوله ﷺ . (قالوا ، وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر).

وقد جاءت في هذا روايات أخرى اشتملت علي زيادات ففي حديث أبى طلحة زاد (وحسن الكلام) وفى حديث أبى هريرة (وإرشاد السبيل) [2].

---

(١) انظر الرواية في البخارى كتاب المظالم : باب أفنية الدور والجلوس فيها ... ألخ فتح ١٣٤/٥ وانظر الفتح ١٢/١١ وما بعدها .

(٢) أبو داود : كتاب الأدب : باب فى الجلوس فى الطرقات ٤/ ٢٧٥ وعزاه ابن حجر إلى أبى داود وزاد فيه (وتشميت العاطس) لكن ماجاء فى حديث أبى هريرة عند أبى داود (إرشاد السبيل فقط .

وفى حديث البراء عند أحمد والترمذى (ردوا السلام ، وأعينوا ... واهدوا السبيل)[1] وعند الدارمى من حديث البراء (..... إن كنتم فاعلين فاهدوا السبيل ، وأفشوا السلام ، وأعينوا المظلوم) [2].

وفى حديث ابن عباس عند البزار من الزيادة (وأعينوا على الحمولة)[3]

وفى حديث سهل بن حنيف عند الطبرانى (ذكر الله كثيرا) .

وفى حديث وحشى بن حرب (واهدوا الأعمى وأعينوا المظلوم) [4].

وقد ذكر ابن حجر مجموع ماورد فى الأحاديث أربعة عشر وقد نظمها فى أربعة أبيات .

جمعت آداب من رام الجلوس على الـ   طريق من قول خير الخلق إنسانا

افش السلام وأحسن فى الكلام وشمـ   ت عاطسا وسلاما رد إحسانا

في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث   لهفان اهد سبيلا واهد حيرانا

بالعرف مروانه عن منكر وكف أذى   وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا

وقد اشتملت هذه الأحاديث النبوية الكريمة علي علة النهى عن الجلوس على الطرقات والتحذير منها : ذلك أن الجالس فيها يتعرض لأنواع من الفتن والتفريط فى حقوق الله عز وجل وحقوق الناس ، فقد يرى الغاديات والرائحات ، والنظر إليهن وانشغال القلب بذلك ، ويتعرض لايذاء الناس بتضييق الطريق عليهم أو ابتعادهم عنه إذا كان ممن يستحيا منه ، ويتعرض كذلك للتقصير فى

---

(١) الترمذى : كتاب الاستئذان : باب ماجاء فى الجالس على الطريق تحفة ٤٧٢٠/٧ وحسنه والإمام أحمد ٢٩٣/٤

(٢) الدارمى : كتاب الاستئذان : باب النهى عن الجلوس فى الطرقات ٣٦٦/٢ : قال شعبة لم يسمع هذا الحديث أبو إسحاق من البراء

(٣) كشف الأستار : كتاب الأدب : باب الجلوس على الطريق ٤٢٥/٢

(٤) الروايتان ذكرهما الهيثمى فى المجمع : كتاب الأدب : باب الجلوس على الصعيد وإعطاء الطريق حقه ٦٢/٨ وقال : رواية سهل أبو بكر بن عبد الرحمن الأنصارى لم أعرفه وبقية رجاله وثقوا

رد السلام لكثرة المارة عليه ، وقد يفرط كذلك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقصر فى التوجيه والتحذير ، ويتعرض كذلك للتقصير فى معاونة إخوانه المسلمين وأداء حقوقهم من إعانة مظلومهم ، وإغاثة ملهوفهم ، وتشميت عاطسهم ، وإلانه الكلام معه ، فيصيب بذلك من الآثام مالم يكن ليحمله لو جلس فى بيته أو مسجده فندبهم الشارع الحكيم إلى ترك الجلوس حسما للمادة . فلما ذكر للنبى ﷺ أن ذلك ضرورة أذن لهم النبى ﷺ فى الجلوس بشرط أداء حق الطريق ، فلما سألوه ليستوضحوا هذا الحق بينه بما مر ، ولنسق من ذلك مايوضح هذه الآداب ويلقى عليها ضوءا كاشفا .

ومامن أدب من هذه الأداب إلا وله شواهد فى أحاديث أخرى ، وله مواطن يفصل فيها الكلام عنه . وأول هذه الأمور .

(غض البصر) أى كفه عن النظر إلى المحارم ، والاقتصار بها على المباح ، وغض البصر وإن كان واجبا على كل مسلم سواء جلس فى الطريق أو مر به أو مكث فى بيته ، إلا أنه بحق أهل الطريق أكد وأشد طلبا لأنهم متعرضون لما تكون العين موصلة إليه ، وقد أمر الله به الرجال والنساء ، وبين أنه طهارة السيرة والسريرة ، وأن فى التزامه خيرا كثيرا وتوفيقا من الله كبيرا .

قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (١).

قال ابن كثير : هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه

---

(١) سورة النور : ٣٠، ٣١ وابن كثير ٣/ ٢٨٢

[illegible] فإن اتفق أن وقع [illegible] من
غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة ، فأمرني أن أصرف بصري) (١).

وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) وتارة يكون بحفظه من النظر كما جاء في الحديث (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك .... الخ) (٢).

(ذلك أزكى لهم) أي أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته ويروى في قلبه كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : « مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها » (٣).

والأمر الثاني : (كف الأذى) فالمراد به كف الأذى عن المارة بأن لايجلس حيث يضييق عليهم الطريق أو يمنع منه حجرا أو يزيل منه شوكا أو يتكلم على المارة أو يغتابهم أو ينظر إليهم نظرة لاتليق أو ما إلى ذلك من الأذى المتوقع حدوثه في الطرقات فالكف عن الشر صدقة كماجاء في الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه رفعه (..... فليمسك عن الشر فإنه له صدقة....)(٤)

قال الحافظ في الفتح : أشار بالأول إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر عليه من امرأة ونحوها وبالثاني إلى السلامة من الاحتقار والغيبة

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الآداب : باب نظرة الفجأة ١٣٨/١٤

(٢) أبو داود : كتاب الحمام : باب ماجاء في التعرى ٤٣٤/٢ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده والترمذى : كتاب الأدب : باب ماجاء في كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة ٦٥/٨ عن بهز وقال حديث حسن غريب صحيح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى ٢٦٤/٥ عن أبى أمامه .

(٤) تقدم تخريجه في الحديث رقم / ١٢

ويقوله (ورد السلام) إلى إكرام النار (والامر المعروف والنهى عن المنكر) إلى استعمال جميع مايشرع [١].

والأمر الثالث : رد السلام . والسلام إسم من أسمائه تعالى أى أنت في حفظ الله تعالى فالله معك والله يصحبك أو السلامة ملازمة لك وفى هذا الائتلاف والمحبة بين المتسالمين فتأتلف الكلمة وتعم المصلحة روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) [٢]. وقال : حسن صحيح .

ولا ستهتار الناس واستهانتهم بهذا المبدأ الاسلامى لابد من بيان حكمه وآدابه ، وما ينبغى أن يكون عليه المسلم من أدب رفيع وخلق مرضى كريم ، حكمه : إفشاء السلام سنة عينية للواحد ، كفاية على الجماعة من يَعْرف وعلى من لا يَعرف وكذلك يجب رد السلام على من سمعه على الكفاية إن قام به البعض سقط الاثم عن الباقين واختص بالثواب من قام بالرد وإلا أثموا جميعا وتحية الاسلام الشرعية التى أمرنا بها هى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) سواء أكنت تسلم على واحد أو جماعة لأن مع الفرد الملائكة فتنال بركة دعائهم بالرد عليك اقتداءا بقول الله عز وجل (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) [٣].

روى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : لقينى كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ؟ إن النبى ﷺ خرج علينا فقلنا : يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال : فقولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت علي آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم

---

(١) الفتح ١٣٥/٥

(٢) الترمذى : كتاب الاستئذان : باب ماجاء فى إفشاء السلام ٤٢٩/٧ ت

(٣) سورة هود : ٧٣

بارك على محمد وعلي آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1] ومرادهم بالسلام في الآية .

رد السلام : المماثلة بين الرد والتحية ، والزيادة مندوبة وقد جاء فيه قوله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ، أو ردوها) [2].

قال ابن كثير فى تفسير الآية : أي إذا سلم عليكم فردوا عليه أفضل ماسلم ، أو ردوا عليه بمثل ماسلم ، فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة . ا هـ

قال ابن حجر : اتفقوا علي أن من سلم لم يجزئ فى جوابه إلا السلام ، ولا يجزئ في جوابه ، صبحت بالخبر أو بالسعادة ونحو ذلك . أ هـ

فلا بديل للفظ السلام إلا التحية بقول الرجل للرجل (حياك الله) وهذه تحية إسلامية أيضا استعملها العرب وأقرها الإسلام قال تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام)[3] وقال تعالى (فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) أى أن تحية المؤمنين فى الجنة يوم يلقون ربهم كما قال تعالى (فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة)[4].وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) [5].

وقوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) [6].

ذكر ابن كثير قال: قال ابن جريج أخبرت أن قوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) قال : إذا مر - أى بأهل الجنة - الطير يشتهونه قالوا :

---

(١) البخارى : كتاب الدعوات : باب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فتح ١٥٦/١١

(٢) سورة النساء ٨٦

(٣) سورة الأحزاب : ٤٤

(٤) سورة النور ٦١

(٥) سورة يس ٥٨

(٦) سورة يونس ١٠

... ـث اللهم) وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه من ...

... ... ذلك قوله (تحيتهم فيها سلام) [1]

من آداب السلام .

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : (يسلم الراكب علي الماشى والماشى علي القاعد ، والقليل علي الكثير)[2] يبين لنا هذا الحديث من يطلب منه البدء بالسلام لئلا يلقى بعضهم التبعة على بعض فيسلم المار راكبا علي الماشى والماشى على القاعد والمضطجع والقليل عددا علي الكثير وقد يأنف بعض الناس أن يلقى السلام على رجل متكئ أو جالس لم يقم له لكن المطلوب من الرجل هو إلقاء السلام ليسلم من الإثم ويحارب هوى نفسه حتى لايكون ممن قال رسول الله ﷺ : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)[3] وروى أبو داود بسنده عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا على عصى فقمنا إليه فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا)[4] وعلى هذا فعلى المسلم أن يسلم علي الصبيان المميزين لينشأوا وليتدربوا على السنة ويتروضوا علي الآداب الشريعة ، ويجب على البالغ الرّد إن سلم عليه صبى .

ويسن إظهار البشر والسرور عند السلام وأن يتلفظ به ، والإشارة وحدها لا تكفى حيث أمكن النطق والسماع ، بل ورد النهى عن ذلك .

قال ابن حجر : والأمر بالإفشاء على أنه لايكفى السلام سرا بل يشترط الجهر وأقله أن يسمع فى الابتداء وفى الجواب ، ولاتكفي الإشارة باليد ونحوه ، فقد أخرج النسائى بسند جيد عن جابر رفعه (لاتسلموا تسليم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٩٦/٢

(٢) مسلم بشرح النووى : كتاب السلام : باب يسلم الراكب علي الماشى ١٤٠/١٤

(٣) أبو داود : كتاب الآداب : باب فى قيام الرجل للرجل ٣٩٩/٤ عن معاوية وقال المندرى : صحيح ٣٦٩/٣

(٤) أبو داود : كتاب الأدب : باب فى قيام الرجل للرجل من مجلسه ٤٠٠/٤ قال المنذرى : حسن ٣٦٩/٣

السجود فإن تسليمهم بالرءوس والأكف) ويستثنى من ذلك حالة الصلاة فقد وردت أحاديث جيدة أنه ﷺ رد السلام وهو يصلى إشارة ، وقد اختلف العلماء فى مشروعية السلام على الفاسق وعلى الصبى ، وفى سلام الرجل على المرأة وعكسه ويستثنى من الاستحباب من ورد الأمر بترك ابتدائه بالسلام كالكافر ويدل عليه قوله ﷺ (إذا فعلتموه تحاببتم) والمسلم مأمور بمعاداة الكافر فلا يشرع له فعل مايستدعى محبته ومواددته .

ويستثنى من العموم بابتداء السلام من كان مشتغلا بأكل أو شرب أو جماع أو كان في الخلاء أو الحمام أو نائما أو ناعسا أو مصليا أو مؤذنا مادام متلبسا بشيئ مما ذكر [1] . ا هـ

الأمر الرابع (والأمر بالمعروف والنهى عن المنكرز) سبق الكلام عنه فى الحديث السابق وأما باقى الآداب التى جاءت بها روايات أخرى فمنها .

إحسان الكلام . وهو آية حسن الخلق ، وكمال الإيمان وطهارة النفس وفى القرآن الكريم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) [2] أى أن هذا من صفات عباد الرحمن إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجاهل عليه إلاحلما خلقهم (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع التى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) [3] وفى الحديث قال رسول الله ﷺ : (مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمره ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة) [4].

(١) فتح البارى ١١/ ١٠ ـ ٢٠ وشرح النووى ١٤/ ١٤٠ ـ ١٤٩

(٢) سورة الفرقان : ٦٣

(٣) سورة فصلت : ٣٤

(٤) مسلم بشرح النووى : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٧/ ١٠١ عن عدى بن حاتم والبخارى بألفاظ متقاربة : كتاب الأدب : باب طيب الكلام .. الخ فتح ١٠/ ٤٦٣ عن عدى

ومعني إحسان كلامهم حسن كلامنهم فى حديثهم بعضهم لبعض فلا يكون فيه غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا كلام ينقص المروءة ونحو ذلك من الكلام المذموم ويدخل فيه كلامهم للمارة من رد السلام ولطف جوابهم وهدايته لطريق وإرشاده للمصلحة . وكل مايؤلف ولا ينفر ويجمع ولا يفرق ويجلب المودة ومن حقوق المسلم على المسلم .

تشميت العاطس : التَّشْميتُ ، والتسميت فى الدعاء بالخير والبركة والمعجمة أعلاها ، شمته وشمت عليه وهو من الشوامت القوائم ، كأنه دعاء للعاطس بالثبات علي طاعة الله ، وقيل : معناه أبعدك الله عن الشماته ، وجنبك ما يُشْمتُ به عليك (١).

وتشميت العاطس المسلم إذا حمد الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، أما إذا لم يسمع منه حمد فلا يشمت فعن أنس بن مالك ﷺ قال : عطس رجلانن عند النبى ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر : فقيل له ، فقال هذا حمد الله وهذا لم يحمد الله) (٢).

قال النووى : هذا تصريح بالأمر بالتشميت إذا حمد العاطس وتصريح بالنهى عن تشميته إذا لم يحمده فيكره تشميته إذا لم يحمد فلو حمدولم يسمعه الإنسان لم يشمته وقال مالك : لا يشمته حتي يسمع حمده قال : فإن رأيت من يليه شمته فشمته .

قال القاضى : قال بعض شيوخنا : وإنما أمر العاطس بالحمد لما حصل له من المنفعة بخروج ماحتنق فى دماغه من الأبخرة .(٣) اهـ

ولو تكرر العطاس لزكام ونحوه فلا يلزم تكرر التشميت ، ويستثنى ممن

---

(١) لسان العرب ٣/ ٢٣٢٠ شمت

(٢) البخارى : كتاب الأدب : باب الحمد للعاطس ١٠/٦١٥

(٣) شرح النووى ١٨/١٢١

يخص من عموم العاطسين من يكره التشميت ومن عطس والإمام يخطب ومن كان عند عطاسه فى حالة يمتنع عليها ذكر الله عز وجل ، والحكمة من الحمد للعاطس أن العاطس يدفع الأذى من الدماغ ، وهذه نعمة جليلة تناسب أن تقابل بالحمد ، ويدعو له من يسمعه بالرحمة بقوله له (يرحمك الله) قال ابن دقيق العيد : ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتآلف بين المسلمين ، وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر ، والحمل على التواضع ، لما فى ذكر الرحمة من الاشعار بالذنب الذى لا يعرى عنه أكثر المكلفين .(1) اهـ

وأما المعاونة على الحمل فهي من أعمال الخير يتصدق بها الإنسان على نفسه ليعظم أجره ويثقل موازينه وهى صدقه علي أخيه المسلم ففى الحديث عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ (كل سلامى على الناس صدقه .... وفيه وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقه) وقد مر راجع الحديث رقم / ١٣.

وأما إعانة المظلوم ، فهو نصره والوقوف بجانبه حتى يرتفع عنه الظلم وهو من جملة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى الحديث الصحيح عن جابر ﷺ قال : اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجرُ أو المهاجرون يا للمهاجرين ونادى الأنصارىُّ يا للأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال : ماهذا دعوى أهل الجاهلية قالوا : لا يارسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال : فلا بأس ولينصرُ الرجلُ أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينههُ فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصرْهُ (2) كسع بسين مخففة مهملة أى ضرب دبره وعجيزته بيدأ ورجل أو سيف أو غيرهما . فالمسلمون أخوة يتعاونون على الخير وأما إغاثة الملهوف

ففيه حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ أنه قال : قال النبى ﷺ :

---

(1) فتح البارى ٦١٨/١٠

(2) مسلم بشرح النووى : كتاب البر والصلة والآداب : باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ١٢٧/١٦

(علي كل مسلم صدقة ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال: فيعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف قال : فإن لم يفعل ؟ قال : فليمسك عن الشر فإنه له صدقة) [1].

الملهوف هو المستغيث أعم من أن يكون مظلوما أو عاجزاً ، وما أكثر طوارق الليل والنهار التى تنزل بالمرء وتفجأه فتشتد حاجته إلى مساعدة إخوانه وأحبابه وجيرانه وهذه الطروق تفجأ الغنى والفقير والقوى والضعيف فيحتاج الكل إلى ساعد الآخر ليشعر المرء أيا كان حاله بحاجته إلى إخوانه فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه فلا يتكبر ولا يجبر ، وليعلم أن رحمة الله وعطاءه فى النعمة والنقمة سواء قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا ترجعون) [2].

قال ابن حجر : ومحصل ما ذكر فى حديث الباب أنه لابد من الشفقة علي خلق الله ، وهي إما بالمال أو غيره ، والمال إما حاصل أو مكتسب ، وغير المال إما فعل وهو الإغاثة وإما ترك وهو الإمساك [3]. اهـ

كقول القائل

فرضت علَيَّ زكات مامكت يدى　　　وزكاة جاهى أن أعين وأنفعا

إذا ملكت فجد فإن لم تستطع　　　فجهدك كله عسى أن تنفعا

وأما هداية السبيل :

فهو دلالة الإنسان على الطريق ، وهو من الصدقة علي النفس وعلى السائل وعلى المجتمع كله بتفريج كروبه وقضاء حاجاته ، وإشاعة التعاون

---

(١) البخارى : كتاب الأدب : باب كل معروف صدقة فتح ٤٦٢/١٠

(٢) سورة الأنبياء : ٣٥

(٣) فتح البارى ٣٦٢/٣

والألفة بين أعضائه وفى الحديث عن حذيفة فى حديث قتيبة قال : قال نبيكم ﷺ وقال ابن أبى شيبة عن النبى ﷺ قال : (كل معروف صدقة)[1] وفى هذا بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، وأن الإنسان لا يحتقر شيئا من المعروف وأنه ينبغى أن لا يبخل به ، والله جل وعلا فى عون العبد مدة كون العبد فى عون أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرهما ففي الحديث عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر علي معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والأخرة ، والله فى عون العبد ماكان العبد في عون أخيه) [2].

والحديث مطلق فى سائر الأحوال والأزمان ، فالعبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغى أن لا يجبن عن انفاذ قوله وصدعه بالحق إيمانا بأن الله فى عونه ، وأن يأمل الإعانة بدوام هذه الإعانة ، فإنه ﷺ لم يقيدها بحالة خاصة ، بل أخبر بدوامها بدوام كون العبد فى عون أخيه ، وصح أيضا أنه ﷺ قال : (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[3] وصح أيضا أنه ﷺ قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا) [4].

قال البيضاوى : أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذواتها إلا أن الله تعالى أجرى عادته الإلهية بربط الثواب والعقاب بهاارتباط المسببات بالأسباب ، وليس للعبد تأثير فى صدور الفعل عنه بوجه فكما يترتبان على مايباشره ويزاوله يترتب كل منهما أيضا على ماهو سبب

---

(١) مسلم شرح النووى : كتاب الزكاة : باب كل نوع من المعروف صدقة ٩١/٧

(٢) أبو داود : كتاب الأدب : باب فى المعونة للمسلم ٢١٢/٤

(٣) الترمذى : كتاب العلم : باب ماجاء الدال علي الخير كفاعله تحفة ٤٠٨/٧ قال : أبو عيسى حديث حسن صحيح

(٤) مسلم شرح النووى : كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٢٢٧/١٦

فى فعله كالإشارة إليه والحث عليه ، ولما كانت الجهة التى بها استوجب المتسبب الأجر والجزاء غير الجهة التى استوجب بها المباشر لم ينقص منه شيئا . اهـ

وقال الطيبى : الهدى فى الحديث ما يهتدى به من الأعمال ، وهو بحسب التنكير مطلق شائع فى جنس مايقال له هدى يطلق على القليل والكثير فأعظمه هدى من دعا إلى الله ، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين ، ومن ثم عظم شأن الفقيه الداعى المنذر حتي فضل واحد منهم على ألف عابد ، لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم القيامة[(١)] اهـ.

وصح أيضا أنه ﷺ قال لعلىّ بنْ أبى طالب رضي الله عنه يوم خيبر : (فوالله لأن يهدى الله بك واحدا خير لك من حمر النعم)[(٢)] أى الإبل الحمر أنفس أموال العرب وأما هداية الحيران : فإنها صنو إرشاد الضال ، وتدخل في مطلق إعانة المسلم لأخيه المسلم وقد تقدم الحديث (والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه) والحديث (كل معروف صدقة) وأرض الضلال : هي التى لايهتدى فيها إلي الطريق ، وأما الحيران والمتحير فهو المتحير فى أمره لايدرى كيف يهتدى فيه أي أن الحيران هو التائه فهناك صلة بين الضال وبين الحيران ، فكل ضال عن الطريق حيران ، وليس كل حيران ضالا ، لأن الحيرة قد يكون لها سبب آخر .

---

(١) انظر دليل الفالحين ١/ ٣٠و ٣١

(٢) البخارى : كتاب المغازى : غزوة خيبر فتح ٧/ ٥٤٤

مايستفاد من الحديث

١- المنع من الجلوس على الطرقات لغير ضرورة ، لأنه قد يتعرض للفتنة بالنظر إلى المارة فى الطريق ، وعلي الجالس فى الطريق إكرام المارين بما تقدم من رد السلام ، وإعانة على الحمل ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ... وغير ذلك .

٢- جواز مراجعة المأمور للأمر عند أمره لتبيين حاله .

٣- المنع من الجلوس على الطرقات لغير ضرورة .

٤- شفقة الرسول ﷺ على أمته ، والأمر بسد الذرائع ، وأنه قد ينهى فى الشرع عن بعض المباحات لجرها إلى الشبهات أو المحرمات .

٥- بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، وأن لايحتقر المرء شيئا من المعروف ، وأنه ينبغى أن لايبخل به بل ينبغى أن يحضره .

والله أعلم .

١٧- روى مسلم رحمه الله بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :« ألا كُلكمْ راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأميرُ الذي علي الناس راع وهو مسئولٌ عن رعيته والرجل راع علي أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبدُ راع على مال سيد وهو مسئول عنه ألا فكلُكمُ راع وكُلكُمْ مسئولٌ عن رعيته»(١).

التعريف بالصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح العدوى القرشى ، أبو عبدالرحمن المكي ، أبوه الخليفة الثاني للمسلمين ، وأخته حفصة من أمهات المؤمنين ، وأمه : زينب بنت مظعون الجمحية أخت عثمان ابن مظعون .

ولد ابن عمر سنة ثلاث من المبعث النبوى ، وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وقيل إن إسلامه قبل إسلام أبيه ولايصح ، وكان عبدالله بن عمر ينكر ذلك وهاجر مع أبيه وقيل قبله فهو من السابقين الأولين من المهاجرين ، أجمع العلماء أنه لم يشهد بدرا ، واختلف فى شهوده أحدا ، والصحيح أن أول مشاهده الخندق وشهد الحديبية والمشاهد بعدها ، وأدرك فتح مكة وهو ابن عشرين سنة وكان لايتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ ، كما شهد القادسية ، واليرموك ، وفتح افريقية ، ومصر ، وفارس وغيرها .

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإمارة : باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ٢١٣/١٢

والبخارى : كتاب الجمعة : باب الجمعة فى القرى والمدن فتح ٤٤١/٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما

روى عن النبى ﷺ وعن أبيه وعمه زيد وأخته حفصة أم المؤمنين وأبو بكر وعثمان وعلى وبلال وزيد بن ثابت وابن مسعود وعائشة وغيرهم ﷺ وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين .

اشتهر ابن عمر بحرصه الشديد على اتباع سنة رسول الله ﷺ والتأسي به ، وكان محدثا ضابطا فقيها إماما ورعا زاهدا ، يتوضأ لكل صلاة يخاف مولاه ، ويبكى من خوفه ، وكان إذا قرأ (ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) [1] بكى حتى يغلبه البكاء ، وكان لايصوم في السفر ولايكاد يفطر فى الحضر ، وكان شديد الاتباع لنبيه ، متمسكا بسنته ، متتبعا لآثاره يصلى فى كل مكان صلى فيه النبى ﷺ ويسلك كل طريق سلكه النبى ﷺ كثير التواضع والتسامح والرحمة والكرم يكثر التصدق ويتقرب إلى الله بما يحبه من ماله شهد له الصحابة بالزهد والورع والتقوى ، قال فيه جابر بن عبدالله ﷺ «مامنا من أحد أدرك الدنيا إلامالت به ومال بها غير عبدالله بن عمر»

وقال فيه عبدالله بن مسعود « إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر » .

وقد جنبه أبوه الخلافة وجعل رأيه فى أصحاب الشورى استشاريا فقط لذلك كان ابن عمر على الحياد فلم يدخل فى شيئ من الفتن والحروب التى وقعت بين الصحابة بل تفرغ للعلم والعبادة .

وقد كان عبدالله ﷺ معدودا من المكثرين لرواية الحديث وساعده على ذلك أمور :

١- تقدم إسلامه وطول عمره وملازمته للنبى ﷺ ، ومحافظته علي حضور مجالسه صلوات الله وسلامه عليه ، وكثرة اتباعه لآثاره ، وسؤاله إذا غاب عن قوله وفعله .

---

(١) سورة الحديد : ١٦

٢- اتصاله بالنبى ﷺ بطريق المصاهرة ، فقد كانت أخته حفصه زوجة النبى ﷺ ، فسهل عليه دخوله وخروجه على الرسول الكريم ومخالطته

٣- زهده فى الدنيا والإمارة ومقاطعته للحروب التى دارت بين الصحابة مما ساعده ذلك على التفرغ للعلم ومنه الحديث تحملا وأداءا .

لهذا كله عد من المكثرين فقد روى له ألف وستمائة وثلاثون حديثا (١٦٣٠) اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين (١٧٠) وانفرد البخارى بواحد وثمانين (٨١) ومسلم بواحد وثلاثين (٣١) والباقى رواه غيرهما .

أصحها عنه مايسمى (بسلسلة الذهب) مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر توفى رضي الله عنه فى مكة سنة ثلاث وسبعين (٧٣هـ) بعد مقتل عبدالله بن الزبير بثلاثة أشهر ، وعمره سبع وثمانون عاما (٨٧) على المعتمد[١].

الأبحاث العربية

قوله (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح كأما لكن (ألا) يتعين كسر إن بعدها ، (وأما) يجوز فيها الكسر والفتح كالواقعة بعد إذا .

والقصد به إعلام السامع بأن مابعده مما ينبغى أن يصغى إليه ويفهمه ويعمل به لعظم شأنه ، ولذلك ذكر فى أول الحديث ثم عاد وذكره مرة أخرى في آخره تأكيد الشرف الخبر وإظهار العناية والاهتمام به لأن مضمونه وهو عموم الرعاية من الأمور الخطيرة التى يجب إيقاظ الحواس وإلهاب المشاعر لها .

قوله ﷺ (راع) الراعى الحافظ والمؤتمن ، وأصله النظر ، تقول رعيت فلانا نظرت إليه ، ومنه رعيت النجوم . كقول القائل.

---

(١) الإصابة ١٥٥/٤ الاستيعاب ٢٠٢/٤ تهذيب التهذيب ٣٢٨/١٥ والطبقات الكبرى ١٤٢/٤ وتذكره الحفاظ ٣٧/١ والثقات لابن حبان ٢٠٩/٣ .

أراع النجم فى سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جواد

وقولهم : راعينا أى حافظنا قال تعالى (ياأيها الذين أمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا أنظرنا واسمعوا) (١).

وقبل الراعى عين القوم على العدو ، لأنه يرعاهم ويحفظهم ، وقوله يدل على أن أصل الكلمة النظر ، فكل من أمر على شيئ فهو مطالب بالعدل فيه ، كالرجل فى أهله والمرأة فى بيت زوجها وماله وولدها ، والخادم فيما ينظر فيه من مال سيده .

قوله ﷺ (ألا فكلكم راع) جملة إسمية ، أفرد الخبر فيها بالنظر إلى لفظ (كل) والفاء واقعه فى جواب شرط محذوف .

الشرح والبيان

لماكان الإسلام دين العمل والحياة الجادة المستقيمة أمر أتباعه أن يتحمل كل فرد منهم مسئوليته الكاملة حتى يتحقق الأمل المنشود الذى يسعى إليه المجتمع نحو تحقيق السعادة والرفاهية لكل أفراده ، والقرآن الكريم يبين لنا أن سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة قائمة على أساس تحمل المسئولية الملقاة على عاتقة ، قال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما) (٢).

والأمانة تقع على الطاعة والوديعة والثقة والأمان . قاله ابن منظور.

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم / ١٠٤ وانظر لسان العرب ١٦٧٨/٣ مادة رعى

(٢) سورة الأحزاب آية ٧٢

قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم)[1]

قال ابن كثير : والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لابخصوص السبب عند الجماهير من العلماء ، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية (وتخونوا أماناتكم) الأمانة الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد يعنى الفريضة يقول لاتخونوا لا تنقصوها ، وقال فى رواية : لاتخونوا الله والرسول يقول : بترك سنته وارتكاب معصيته [2]. اهـ

فكل مسلم ومسلمة حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما أوتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه .

قال رسول الله ﷺ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

فكل إنسان عهد الله إليه رعاية أمر من الأمور فهو أمين على ذلك الشيئ راع له ، مكلف بالحفاظ عما استرعاه ، فيجب عليه أن يحوطه بسياج من الرعاية الكاملة والعناية التامة الصادقة ، لأنه مسئول بين يدى الله تعالى عما استرعاه ، حفظه أم ضيعه ، فإن قام بالواجب وأدى ماعليه من حقوق والتزامات نحو من يعول كان أثر ذلك فى الأمة عظيما وحسابه عند الله يسيرا وكان من الفائزين ، أما إن خان الأمانة بأن أهملها أو قصر فيها فإن حسابه عند الله سيكون عسيرا وهو ممن عاش حياته تعيساً وفى آخرته من الخاسرين ويحدد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قاعدة عامة يستوى فيها الناس جميعا ، يستوى فى هذه المسئولية الرئيس والمرؤس العظيم والحقير الرجل والمرأة ، ولذلك ناشد الإسلام كل فرد من أفراد المجتمع أن

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٧

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠١

يؤدى أمانة الله فيما خوله من أمر ، وما استرعاه من رعية ، وأن يعلم أنه مطالب بوقاية نفسه ، وأهله من النار ، لأن أهل المرء ونفسه من جملة رعيته ، وهو مسئول عنهم لأنه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار ، وامتثال أوامر الله واجتناب مناهيه وقد ترجم الإمام البخارى للحديث بقوله (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) فتح ١٦٣/٩ فإن لم يفعل فسيحاسبه جل وعلا عن كل ماولاه من الأمور

فالأمير الذى على الناس وهو الحاكم الأعلى للمسلمين . وهو صاحب الأمر وهو يشمل سائر الحكام ، وخص بالذكر لأنه الأشرف الأكمل وباق الولاة مثله كما أفادته رواية الباب ، والأمير راع على من تحت ولايته فعليه النظر في شأنهم وتسديد أمرهم ورفع المضرات عنهم ، يقيم حدود الله وأحكامه على سنن الشرع الحكيم ، وأن يبذل جهده فى سبيل سعادتهم دينا ودنيا أما إن فرط وضيع الأمانة بأن قصر فى حق من الحقوق ، أولم يقم بما يجب عليه من حفظ الشريعة الغراء والذب عنها أمام كل معتد فقد خان الأمانة وحسبه قول رسول الله ﷺ (مامن أمير يلى أمر المسلمين ثم لايَجْهدُ لهم وينصحُ إلا لم يدخلْ معهم الجنة)[1] وفى هذا الحديث ومثله قال الإمام النووى : وجوب النصيحة على الوالى لرعيته والاجتهاد فى مصالحهم والنصيحة لهم فى دينهم ودنياهم وفى قوله ﷺ (مامن عبد يسترعيه الله رعية يموتُ يوم يموتُ وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) [2].

فمنصب الولاية العظمى والأعمال العامة أمانة مسئول عنها بين يدى الله عز وجل ومن ثم فلا ينبغى له أن يسند منصب إلا لمن يستحقه الرجل المناسب فى المكان المناسب الرجل الذى يشغل وظيفة ترفعه كفايته العلمية والعملية بحيث يضع كل شيئ في مكانه الجدير به واللائق له ففى الحديث عن

---

(١) مسلم بشرح النووى : كتاب الإمارة : باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ٢١٥/١٢

(٢) مسلم شرح النووى : كتاب الإمارة : باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر ٢١٤/١٢

ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ من استعمل رجلا من عصابة وفى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله ، وخان المؤمنين)(١).

فالإمارة بغير ضرورة خزى وندامة ، ولذا فلا يحرص عليها ولا يطلبها إلا الجهلاء وكثيرا نرى ونسمع كل يوم عن رجل تولى أمرا من أمور المسلمين وهو ليس أهلا له ومن كان كذلك فينتظر خزيه يوم القيامة وفضيحته وندمه ومثله من كان أهلا لها وفرط فسيقول ياليتنى ويندم على ما فرط فى يوم لاينفع فيه الندم ، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم وثواب من ربه جزيل تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله وحديث إن المقسطين على منابر من نور وغير ذلك ، قال الإمام النووى : وإجماع المسلمين منعقد عليه ، ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذر ﷺ أبا ذر منها بقوله ﷺ له (ياأبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لاتَأَمَّرن على اثنين ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتم)(٢) .

وكذا حذر العلماء وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا علي الأذى حين امتنعوا (٣).اهـ

ثم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الأسرة التى لابد لكل إنسان مسلم أن يعيش فيها فترة من الزمن ويكون أحد أفرادها ، فيبين مسئولية الرجل فيها ، ومسئولية المرأة ، (والرجل راع على أهل بيته) فيقوم بكفايتهم من سائر المؤن بحسب حاله يسارا وإعسارا ، قال تعالي : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (٤)وذلك ليدخرلهم مايغنيهم ويحفظ عليهم كرامتهم

(١) المستدرك : كتاب الأحكام : الإمارة أمانة وهى يوم القيامة خزى وندامة ٩٢/٤
وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وسكت عنه الذهبى
(٢) مسلم شرح النووى : كتاب الإمارة : باب كراهية الإمارة بغير ضرورة ٢١/١٢
(٣) شرح النووى ٢١٠/١٢
(٤) سورة الفرقان ٦٧

ولا يذيقهم ذل السؤال بعد مماته ، يقول الرسول ﷺ (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) [1] ويقول عليه الصلاة والسلام : (يابن آدم إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسك شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى) [2].

ولم يقصر الإسلام مسئولية رب الأسرة علي توفير الجانب المادى فقط ، وإنما طالبه كذلك بإثراء الجانب الروحى والخلقى فعليه أن يوجههم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى رأس هذا كله يعلمهم الفرائض التى هى رأس الإسلام وعموده قال تعالى (وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)[3] وأن يكون قدوة فى فعل الخيرات وترك المنكرات ، فلا يرتكب معصية ولا يحوم حول محرم ، فلا ينسى نفسه ويأمر غيره كما يقول القائل :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى   طبيب يداوى والطبيب مريض

بل ولابد أن يقى نفسه وأهله من النار قال تعالى : (ياأيها الذين أمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)[4].

وكذلك المرأة راعية علي بيت زوجها وولده فالمرأة عليها مسئولية الرعاية والعناية والتوجيه مثل الرجل فكما أن الرجل له مكانته فى البيت كذلك الأم لها مكانتها فى رعاية الأسرة والحفاظ على أموالها ، وتربية الناشئة فيها ، إنها الأم المسلمة التى تعطى دفق الحياة الإيمانية فى قلوب أبنائها ، وقد أحسن حافظ إبراهيم حين قال :

والأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

(١) البخارى : كتاب الوصايا: باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس فتح ٥/٤٢٧

(٢) مسلم : كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ١٢٦/٧ شرح النووى.

(٣) سورة طه ١٣٢

(٤) سورة التحريم ٦

فلتكن لأولادها خير مربية ، تغرس في نفوسهم حب الفضيلة والبطولة ولزوجها إن غاب عنها حفظته في نفسها وماله ، إذا أمرها أطاعته بما لا معصية فيه ، فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وكذلك الخادم أو العبد راع في مال سيده يحفظه من الهلاك ويعمل علي نمائه بجد وإخلاص ، ويقوم بما عليه من حقوق السيد دون تقصير أو تفريط فالخادم الصالح الذي يخشى الله ويخاف مولاه ، وتكون الجنة هي مناه ومبتغاه يعطي لهذه المسئولية حقها ويحفظ حدودها ، وكذلك الولد مؤتمن على مال أبيه ، فقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله (والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته . قال : سمعت هؤلاء من رسول الله ﷺ وأحسب النبي ﷺ قال : والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته) [1]. قال ابن حجر : هذا ظاهر أن القائل (وأحب) هو ابن عمر الراوي لهذا الحديث عن النبي ﷺ .

وقول النبي ﷺ في نهاية الحديث : (ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) تأكيد للتعميم الأول ، ورد العجز للصدر بيانا لعموم الحكم أولا وآخرا .

ويدخل في هذا العموم أيضا المنفرد الذي ليس رئيسا ولازوج له ولا ولد ولا خادم فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات ، فعلا ونطقا واعتقادا ، فجوارحه وحواسه وقواه أمانته ورعيته ، لأنه يجب عليه أن يقوم بحق الله تعالى وحق عباده فيها، وذلك بأن يستعملها فيما يعود عليه بالخير والمنفعة ، وأن الله تعالى سيسأله عنها في يوم تشيب من هوله الولدان يوم عظيم ، قال تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) [2]. وفي حديث أبي هريرة ﷺ (مامن راع إلا يسأل يوم القيامة : أقام أمر الله أم أضاعه)[3].

---

(١) البخاري : كتاب الاستقراض : باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه فتح ٨٤/٥

(٢) سورة الأسراء من الآية ٣٦

(٣) فتح الباري ١٢١/١٣

مايستفاد من الحديث

١- مسئولية كل فرد في المجتمع فيما وكل إليه من أرواح وأموال ومصالح وأعمال ، فعليه دفع المضار عن رعيته وجلب المنافع لها في حدود ما آتاه الله تعالى .

٢- يؤخذ من قوله (فكلكم) حتى من لا أمر له.ولا زوجة وهو الإنسان في نفسه فإنه (راع) على جوارحه فيعمل المأمورات ويتجنب المنهيات فعلا ونطقا واعتقادا ، فجوارحه وقواه وحواسه رعاياه .

٣- إن المكلف يؤاخذ بالتقصير في أمر من هو في حكمه .

٤- عناية الإسلام بالأسرة ، والنص على مسئولية أفرادها لأنها اللبنة الأولى للمجتمع .

٥- كذب الخبر الذي افتراه بعض الوضاعين المتعصبين لبني أمية وهو (إن الله إذا استرعى عبدا الخلافة كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات) فقد سأل الوليد بن عبد الملك بن شهاب الزهري عن هذا الحديث فقال له : هذا كذب ، ثم تلا قول الله تعالى : (ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمانسوا يوم الحساب) (١).

فقال الوليد : إن الناس ليغزوننا عن ديننا (٢).

٦- عظم مسئولية من يكون أميرا على قوم من المسلمين ، أو علي أمر من أمورهم .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) سورة ص الآية ٢٦

(٢) فتح الباري ١١/١

الختان وقاية للجهاز التناسلي:

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب وتقليم الأظافر» (١).

مايتضمنه الحديث من معان:

تعريف الختان:

لغة: أصل الختان القطع، وموضع الختن من الذكر وموضع القطع من نواة الجارية.

قال أبو منصور: هو موضع القطع من الذكر والأنثى، ومنه الحديث المروى عن عائشة رضي الله عنها : «إذا جاوز الختانُ الختانَ، وجب الغسل»(٢).

قال ابن الأثير: والختان موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية، ويقال لقصعهما الإعذار والخفض (٣).

واصطلاحا: قطع جميع الجلدة التى تغطى حشفة ذكر الرجل، حتى تنكشف جميع الحشفة. وفى المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التى فى أعلم الفرج، ويسمى ختان الرجل إعذارا، وختان المرأة: خفضا، فالخفض للنساء كالختان للرجال (٤).

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الاستئذان : باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط فتح جـ ١١/ ٩٠ وفى كتاب اللباس باب قص الشارب جـ ٣٤٧/١٠.

ومسلم بشرح النووى: كتاب الطهارة:: باب خصال الفطرة جـ١٤٦/٣.

(٢) سنن الترمذى: كتاب الطهارة: باب ماجاء إذا التقى الختانان وجب الغسل تحفة جـ٣٢١/١ قال أبوعيسى: حديث عائشة حديث حسن صحيح.

وابن ماجة: فى كتاب الطهارة وسننها: باب فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان جـ١٩٩/١.

(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير جـ٢/ ١٠ مادة ختن ط دار الفكر للنشر والتوزيع.

(٤) الفقه الإسلامى د/ وهبة الزحيلى جـ ٤٦٠/١.

قال أبو شامة: كلام أهل اللغة يقتضي تسمية الكل إعذارا، والخفض يختص بالأنثى. قال أبوعبيدة: عذرت الجارية والغلام وأعذرتهما ختنتهما واختتنتهما وزنا ومعنى، قال الجوهري: الأكثر خفضت الجارية[1].

حكمة مشروعيته:

مما لاشك فيه أن الختان من محاسن الشريعة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده، وكمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة فالختان إحدى خصال الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن تمام الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين) [2].

وذكر ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وذكر ابن كثير كذلك عند قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3] أن الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم عليه السلام هي خصال الفطرة العشرة ومنها الختان [4] .

---

(١) فتح الباري جـ ٢٥٣/١٠.

(٢) سورة النحل آية رقم /١٢٣.

(٣) سورة البقرة آية رقم / ١٢٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله جـ١/١٩٤ ط دار الفكر للطباعة والنشر.

ونحن مأمورون بالاتباع قال تعالى فى حق نبينا محمد ﷺ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١) أى اسلكوا طريقه واقتفوا أثره رجاء اهتدائكم إلى المطلوب، والمطلوب فيه سعادتكم فى دينكم ودنياكم. تدرك بالتتبع.

فالختان إنما شرع للذكر للنقاء من البول، ولمزيد الطهارة والنظافة، وتعديل الشهوة، وتسهيل إيصال ماء الرجل إلى رحم المرأة، كما أنه من تمام الحنيفية كما تقدم.

كما أنه بالنسبة للأنثى أن موضع البظر والشفران الصغيران أكثر المناطق حساسية، ومن ثم فأى احتكاك بهذه الأماكن يثير المرأة إثارة بالغة، ويهيج شوتها الجنسية، خصوصا فى هذا العصر الذى كثر فيه التداخل والتزاحم والتلاحم بين الرجال والنساء فى كثير من الأماكن، كالجامعات وأماكن العمل، فلو لم تختتن المرأة والحالة هكذا لتعرضت لمثيرات عديدة قد تؤدى بها مع موجبات أخرى تذخر بها الحياة إلى الانحراف والفساد، خاصة فى سن المراهقة، والتى هى من أخطر المراحل التى تمر بها الفتاة.

ومن هنا جاء التشريع الإسلامى الحكيم بالحث على ختان الإناث حفاظا عليهن من أن يقعن فى براثن الشهوة والضياع.

والختان بالنسبة للمرأة أيضا تعديل لشهوتها و لضبط ميزان الحس الجنسي عندها، ولذلك فالمرأة المختونة تتمتع بالهدوء النفسي وعدم الإضطراب، بخلاف غير المختونات فإنهن لايشعرن بالهدوء النفسى، فهن دائما مضطربات، عندهن حدة فى الطبع، وشرود فى الفكر، وعصبية فى المزاج، وتعلو وجوههن سحنة عجيبة وقتامة غريبة يمكن أن يلحظها

---

(١) سورة الأعراف آية رقم /١٥٨.

الإنسان من أول نظرة، وتلك الأضرار لايستهان بها (١).

زيادة على ذلك فإنه يضفي على الوجه جمالا ورونقا، ويزيده بهاء وحسنا يشير الي ذلك مارواه أنس بن مالك أن النبي قال لأم عطية (٢):

إذ اخفضت فأشمي ولاتنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج» (٣).

قال ابن الأثير: النضارة في الأصل حسن الوجه (٤) – أي أكثر نضارة – ومعنى أحظى عند الزوج – يقال حظيت المرأة عند زوجها تحظى حُظوة وحِظوة – بالضم والكسر – أي سعدت به ودنت من قلبه وأحبها (٥).

أول من اختتن من الرجال:

الختان سنة قديمة و طريقة شرعية قويمة توارثتها الأنبياء عن إبراهيم عليه السلام إلى نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فقد روى الإمام مالك – رحمه الله – عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان إبراهيم أول الناس ضيَّف الضَّيف، وأول الناس قصَّ الشارب، وأول الناس رأى الشيب فقال: يارب ما هذا فقال الله تبارك وتعالى وقاراً ياإبراهيم، فقال يارب: زدني وقاراً قال يحيى: سمعت مالكاً يقول يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشَّفَة وهو الإطارُ لا يَجُزُّهُ فيمثِّلُ

(١) سنن الفطرة في الفقه الإسلامي صـ ٣٠ للدكتور/ نجاشي إبراهيم رسالة بكلية الشريعة القاهرة.

(٢) هي أم عطية الأنصارية الخافضة كانت بالمدينة تخفض النساء الإصابة جـ ٤٣٨/٨.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: كتاب اللباس: باب الختان جـ ١٧٢/٥.
وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. ط مكتبة القدس – القاهرة.

(٤) النهاية في غريب الحديث جـ٥/٧١ مادة نضر.

(٥) المرجع السابق جـ١/ ٤٠٥.

(٦) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطي: كتاب الجامع: باب ما جاء في السنة في الفطرة جـ٣/١٠٥ والبيهقي في شعب الإيمان: باب في الملابس والأواني / فضل في كـ اهية نتف الشيب جـ٥/٢١١ ط المكتبة العلمية بيروت لبنان.

بنفسه[٦]، قال السيوطي: وصله البيهقي في شعب الإيمان.

قال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن إبراهيم أول من اختتن [١]

عمره وقت الاختتان والآلة التي أختتن بها.

جمهور العلماء على أن إبراهيم عليه السلام أختتن وهو ابن ثمانين عاماً وذلك للحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم» [٢].

قال ابن حجر: اتفقت الروايات على أن إبراهيم عليه السلام كان ابن ثمانين سنة عند اختتانه [٣] وما ورد من روايات تخالف هذه الرواية فهي مردودة أو مؤولة، فلا يلتفت إلى ما تحكيه، ولا حكم على ما ترويه.

قال الإمام النووي: وما وقع من أنه صلوات الله عليه اختتن وهو ابن ثمانين سنة هو الصحيح، ووقع في الموطأ وهو ابن مائة وعشرين سنة موقوفاً على أبي هريرة فهو مؤول أو مردود [٤].

الآلة التي اختتن بها هي (القدوم) وهو القول الذي لم يحل العلماء خلافه قال الإمام النووي: رواة مسلم متفقون علي تخفيف (القَدُوم) ووقع في روايات البخاري الخلاف في تخفيفه وتشديده، قالوا وآلة النجار يقال لها (قَدُوم) بالتخفيف لا غير، وأما (القدوم) مكان بالشام ففيه التخفيف فمن رواه بالتشديد أراد القرية ومن رواه بالتخفيف يحتمل القرية والآلة

---

(١) التمهيد لابن عبد البر جـ٢/٥٩ ط دار البيان العربي.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قوله تعالى في سورة النساء (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) فتح جـ٦/٤٤٥.

ومسلم بشرح النووي: كتاب الفضائل: باب فضائل إبراهيم الخليل ﷺ جـ١٥/١٢٢.

(٣) فتح الباري على صحيح البخاري جـ٦/٤٥٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١٥/١٣٢.

والأكثرون على التخفيف وعلى إرادة الآلة وهو الذي جاء به الحديث(١) والقريب إلى الأفهام وإذا كان ختان الذكور سنة قديمة كما تقدم فهل هو كذلك بالنسبة للأناث؟

يخبرنا حديث رواه البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان أن أول من اختتن من النساء هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام فعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: كانت آجر لسارة، فأعطت آجر لإبراهيم، فاستبق إسماعيل وإسحاق، فسبقه إسماعيل، فجلس في حجر إبراهيم قالت سارة: والله لأغيرن منها ثلاثة أشراف، فخشي إبراهيم أن تجدعها، أو تخرم أذنيها، فقال: هل لك أن تفعلي شيئاً وتبرى حينك تثقبين أذنيها، أو تحفضيها فكان أول الخفاض هذا (٢) .

قال ابن القيم عقب هذا الحديث، وقد صار ذلك سنة في النساء بعد، ولا ينكر هذا، كما كان مبدأ السعي سعي هاجر بين جبلين تبتغي لأبنها القوت، وكما كان مبدأ الجمار حصب إسماعيل للشيطان لما ذهب مع أبيه (٣) .

فختان الإناث موجود وله أصل قديم، وبعث النبي وهذا الأمر منتشر بين الناس معمول به عندهم، وأقرهم ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه في مقتل حمزة بن عبد المطلب من حديث جعفر بن عمرو جاء فيه ...... لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبدالمطلب فقال: ياسباعُ، يابن أمِّ أنمارٍ مقطعة البظور، أتحادُ الله ورسوله ؟(٤) .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٥/١٢٢ ولسان العرب جـ١١/٦٩ مادة قدم.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: باب في حقوق الأولاد والأهلين جـ٦/٣٩٦.

(٣) تحفة المودود لأحكام المولود لابن القيم صـ١٤٩ ط المكتبة القيمة.

(٤) البخاري: كتاب المغازي: باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فتح ٧/٤٢٤.

سباع بكسر المهملة بعدها موحدة خفيفة، وهو ابن عبدالعزى الخزاعى كنيته أبو نيار وأم أنْمار بفتح الهمزة وسكون النون أمة كانت مولاة لشريق بن عمرو[1] (والبظور) بفتح الباء جمع بظروهى الهنْة - أى اللحمة التى تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم وإلا قالوا خاتنة[2].

وهذا الحديث ظاهر الدلالة على أن الختان وخاصة ختان الأنثى كان موجودا ومنتشرا بين العرب قبل بعثة النبى ﷺ، ولايمكن لمبتدئ إنكاره فكيف بمن يطلقون على أنفسهم علماء وينعقون بما لايعرفون من دعاة العلم وأدعيائه فتكبروا وتجبروا، ثم بطروا الحق وغمطوا الناس.

قل لمن يدعى فى العلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء فأمة محمد ﷺ هم أمة الختان والمسلمون منهم هم أهل العمل والتطبيق، والالتزام، والتسليم، والتحكيم إلى ما أنزل الله سمعا وطاعة.

روى البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه من حديث أبى سفيان الطويل مع هرقل جاء فيه... وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم، فقال لهم حين سألوه إنى رأيت الليلة حين نظرت فى النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة، قالوا: ليس يختتن إلا اليهود؟ فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبر هرقل قا: اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا؟ فنظر إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون؟ فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر[3].

---

(١) فتح البارى جـ٧/٤٢٧.

(٢) لسان العرب جـ ٤٢٧/١ مادة بظر.

(٣) صحيح البخارى: كتاب بدء الوحى: حديث أبوسفيان عند هرقل.. الخ فتح جـ٤٢/١.

ومعنى حزَّاءً أى كاهنا يقال حزا يحزوا حزوا أى تكهن.

قال ابن الأثير: والحزاء والحازى - الذى يحرز الأشياء ويقدرها بظنه - ومنه حديث كان لفرعون حازٍ أى كاهن[1].

وقوله - من هذه الأمة - أى من أهل هذا العصر، وإطلاق الأمة على أهل العصر كلهم فيه تجوز، وهذا بخلاف قوله بعد هذا - ملك هذه الأمة قد ظهر - فإن المراد به العرب خاصة والحصر فى قولهم - إلا اليهود - هو مقتضى علمهم - لأن اليهود كانوا بإلياء وهى بيت المقدس كثيرين تحت الذلة مع الروم، بخلاف العرب فإنهم وإن كان منه، من هو تحت طاعة ملك كآل غسان لكنهم كانوا ملوكا برأسهم[2].

حكم الختان[3]:

اختلف العلماء فى حكم الختان على ثلاثة مذاهب.

الأول: أنه واجب على الذكر والأنثى.

الثانى: أنه سنة على الرجال والنساء.

الثالث: أنه واجب فى حق الرجال سنة فى حق النساء.

ولكل دليله ووجهته التى بنى حكمه عليها، وأيد بها مذهبه.

لكن نقول:

أولاً: أنه لم يرو حيث صحيح سالم من علة أو قدح يدل على وجوب الختان على الرجال، وكل ماورد فى ذلك من أحاديث فهو إما ضعيف أو

---

(١) النهاية فى غريب الحديث جـ١/٣٨٠.

(٢) فتح البارى جـ ١/٥٥.

(٣) انظر الموضوع فى فتح البارى جـ١٠/٣٥٢ ومابعدها.

ومنار السبيل فى شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، وعمده القارئ شرح صحيح البخارى جـ١/٤٠٣ ونيل الأوطار للشوكانى جـ١/١١١ ومابعدها وشرح النووى على صحيح مسلم جـ٢/١٤٨.

مؤول، وماورد فيه صحيحا أنه من فطرة الإسلام ومن سنن المرسلين.

قال ابن عبدالبر: والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان من مؤكدات سنن المرسلين، وهو من فطرة الإسلام التى لايسع تركها فى الرجال(١).

وقال القرطبى: أما الختان فسنة منتشرة فى العرب معمول بها من لدن إبراهيم عليه السلام، فإنه أول من اختتن، وهو عند مالك وعامة العلماء سنة مؤكدة وشعار من شعائر السلام، إلا أنه لم يرد فى الشرع ذم تاركه ولا توعده بعقاب فلا يكون واجبا(٢).

وقال الشوكانى: والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب، والمتيقن السنية كما فى حديث «خمس من الفطرة» ونحوه - والواجب الوقوف على المتيقن إلا أن يقوم مايوجب الإنتقال عنه (٣).

ثانياً: ختان النساء:

وأما ختان الأنثى فلم يقم دليل صحيح على وجوبه، وكل ماورد فيه يدل على الاستحباب لأنه من خصال الفطرة، وهى مشروعة للرجال والنساء.

وكل ماورد فيه من الأحاديث أن الختان كان موجوداً قبل مبعث النبي فلما بعث النبى ﷺ وأقر هذا العمل ولم ينه عنه. وغايته أن يدل على الاستحباب.

فإن ختنت المرأة فهو أفضل لها وأطهر وأصون لنفسها ولدينها وخصوصا فى هذا العصر الذى انتشرت فيه الفاحشة وعمت البلوى،

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر جـ ٢١/٥٩.
(٢) المفهم، فى حل ماأشكل من كتاب مسلم جـ١/٥١٤.
(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ١/١١٢.

وقل فيه الحياء وأصبحت المرأة فريسة سهلة ومطمع للذين فى قلوبهم مرض.

فينبغى أن تسارع المرأة إليه لأنه أصون لدينها وأحفظ لشهوها.

وأما ماينادى به بعض الناس الذين لادين عندهم ولاخلاق لهم بتحريمه وتجريم الختَّان أوالختَّانة لأنه مضر بالمرأة.

فهل عندكم دليل تخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيئا اللهم إلا أن يكون هدفهم إسقاط المجتمع فى بحار الرذيله، بنداء المرأة بترك الختان لتشتد شهوتها للرجال، فيضعف الدين ويقل اليقين.

قال ابن حزم: «واتفقوا أنه من ختن ابنه فقد أصاب، واتفقوا على إباحة الختان للنساء[1].

وقت الختان:

الصواب أنه ليس للختان وقت يتعين فيه، قال الشوكانى: وهو مذهب الجمهور. لكن يستحب أن يختتن الصبى يوم سابعه، وذلك لأن خَتْن الصبى وهو صغير أفضل منه وهو كبير قال الحافظ ابن حجر: قال أبوالفرج السرخسى: فى ختن الصبى وهو صغير مصلحة من جهة أن الجلد بعد التمييز يغلظ ويخشن.

هذا إن قوى على الختان وهو صغير، فإن لم يقو على ذلك يؤخر حتى يستطيع، لكن لايبلغ إلا وهو مختون.

قال ابن المنذر بعد أن حكى اختلاف العلماء فى وقت الختان: ليس فى باب الختان نهى يثب ولا لوقته حد يرجع إليه، ولاسنة تتبع، والأشياء

---

(١) مراتب الإجماع لابن حزم الأندلسى صـ ١٥٧ ط دار زاهر القدسى.

على الإباحة، ولايجوز حظر شيئ منها إلا بحجة، ولا نعلم لمن منع أن يختن الصبى لسبعة أيام حجة(١).

وماتقدم إنما هو فى ختان الذكر، أما الأنثى فيستحب ختانها إذا بلغت تسعة أو عشر سنين.

قال البغوى فى شرح السنة... وسئل زيد بن أسلم عن خفض الجارية إلى متى يؤخر قال: إلى ثمان سنين(٢).

قال الدكتور أحمد خفاجى: ولا تتم عملية الختان قبل الثامنة أو التاسعة حتى يكون البظر قد وصل إلى قرب الحجم الطبيعى والنهائى، أما فى حالة القيام فى هذه العملية قبل ذلك فقد وجد أن بقية البظر ينمو ويزيد حجمه، وقد تحتاج الأنثى لعملية أخرى لإزالة الجزء الثانى من البظر(٣).

مشروعية الوليمة فى الختان:

الوليمة فى الختان مشروعة والدعوة إليها جائزة لأن الختان من سنن المرسلين وكانت العرب تهتم به وتصنع له الولائم ويفرحون له أشد الفرح قبل بعثة النبىﷺ، فلما بعث النبىﷺ ،أقرهم عليه.

قال السخاوى: واستحباب الوليمة له - أى الختان - يشهد لذلك ماروى فيه من الإعلان، وكذا قول سالم ختننى أبى يعنى ابن عمر أنا ونعيما فذبح علينا كبشاً فلقد رأيتنا وإنا لنجذل به على الصبيان أن ذبح علينا كبشا، وبوب له البخارى فى الأدب المفرد بالدعوة فى الختان وباللهو فى الختان وذكر أحاديث تشهد للإعلان به(٤).

---

(١) المجموع للنووى جـ١/٣٠٩ ط دار الفكر.

(٢) شرح السنة للبغوى: كتاب اللباس: باب الختان جـ٧/٨١ ط دار المكتبة التجارية.

(٣) حكم الختان فى الإسلام الدكتور/ أحمد خفاجى صـ ٢٨.

(٤) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما دار على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلونى جـ١/٦٨ ط دار إحياء التراث بيروت - لبنان.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى كتاب النكاح مشروعية الدعوة إليه ونقل عن الإمام النووى تبعا للقاضى عياض أن الولائم ثمانية منها الإعذار - بعين مهملة وذال معجمة الختان[1] . ثم قال ابن حجر: وما أخرجه أحمد من طريق الحسن عن عثمان بن أبى العاص أنه دعى إلى ختان فقال: «ماكنا نأتى الختان على عهد رسل الله ﷺولاندعى له»[2] وأخرجه أبو الشيخ من رواية فبين أنه كان ختان جارية، وقد نقل الشيخ أبو عبدالله بن الحاج فى «المدخل».

أن السنة إظهار ختان الذكر، وإخفاء ختان الأنثى[3].

أن بالنسبة لختان النبىﷺ فقد ذكر ابن القيم فى زاد المعاد ثلاثة أقوال ***أحدهما***: أنه ولد مختوناً، قال: وليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصه ﷺ .

القول الثانى: أنه ختن يوم شق صدره عند ظئره حليمة.

القول الثالث: أن جده عبدالمطلب ختنه يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمدا.

قال ابن عبدالبر: وفى هذا حديث مسند غريب. قال يحيى بن أيوب: طلبت هذا الحديث عند أهل العلم فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبى السرى، وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين، صنف أحدهما مصنفا فى أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الأحاديث التى لاخطام لها ولازمام، وهو كمال الدين بن طلحة، فنقضه عليه كما الدين بن العديم، وبين فيه أنه ﷺ ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها[4].

---

(١) فتح البارى جـ٩/١٤٩.

(٢) مسند الرمام أحمد جـ٤/٢١٧ مسند عثمان بن أبى العاص.

(٣) فتح البارى جـ ١٠/٢٥٥.

(٤) زاد المعاد جـ١/٤٠ - ٤١.

القدر الذى يقطع فى الختان:

يقطع من الذكر الجلدة التى تغطى الحشفة، والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة، وأقل مايجزئ أن لايبقى منها مايغطى به شيئ من الحشفة وقال إمام الحرمين: المستحق فى الرجال قطع القلفة، وهى الجلدة التى تغطى الحشفة حتى لايبقى شيئ متدل. وقال ابن الصباغ: حتى تنكشف جميع الحشفة، وقال ابن كج فيما نقله الرافعى: يتأتى الواجب بقطع شيئ مما فوق الحشفة وإن قل بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها. قال النووى: وهو شاذ، والأول هو المعتمد. والمستحق من ختان المرأة ماينطلق عليه الإسم.

قال الماوردى: والأنثى ختانها قطع جلدة تكون فى أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كالنواة أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصاله.

وقد أخرج أبو داود من حديث أم عطية أن امرأة كانت تختتن بالمدينة فقال لها النبى ﷺ: «لاتنهكى فإن ذلك أحظى للمرأة» وقال: إنه ليس بالقوى[١]. قال ابن حجر: وله شاهدان من حديث أنس ومن حديث أم أيمن عند أبى الشيخ وآخر عن الضحاك بن قيس[٢].

قال شمس الحق أبادى فى عون المعبود: (أحظى) أنفع لها وألذ، وأحب كذلك إلى الزوج، فإن هذا الموضع كثير الأعصاب فيكون حسه أقوى ولذة الحكة هناك أشد، ولهذا أمرت المرأة فى ختانها بإبقاء بعض النواة والغدة لتلتذ بها بالحك ويحبها زوجها بالملاعبة معها ليتحرك منى

---

(١) أبو داود: كتاب الأدب: باب ماجاء فى الختان جـ٤/٤١٢.
والحاكم كتاب معرفة الصحابة: ذكر الضحاك بن قيس الأكبر ﷺ جـ ٣/٥٢٥ عن الضحاك بن قيس وسكت عنه هو والذهبى.
(٢) فتح البارى جـ١٠/٢٥٣.

المرأة ويذوب، لأن منيها بارد بطيئ الحركة، فإذا ذاب وتحرك قبل الجماع بسبب الملاعبة يسرع إنزالها فيوافق إنزال الرجل، فإن منى الرجل لحرارته أسرع إنزالا، وهذا كله سبب لازدياد المحبة والألفة بين الزوج والزوجة وهذا الذى ذكرته مصرح به فى كتب الطب[1].

وعليه فلا معنى لترك المرأة بدون اختتان لأن فى ختانها مصلحة لها فى دينها ودنياها لتحيى حياة سعيدة مع زوجها تتمتع به ويتمتع بها فى أمان واطمئنان وكذلك الرجل: لو أسلم كبيرا أو ترك حتى كبر ولم يختن فيستحب له الختان إلا إذا خاف منه أذى يلحقه. واستدل الحافظ ابن حجر بقصة إبراهيم عليه السلام على مشروعية الختان حتى ولو أخر لمانع بل ولو كبر السن كالمذكور فى القصة لم يسقط طلبه وإلى ذلك أشار الإمام البخارى (إلى الختان فى الكبر) ولايختن الميت على الراجح لأنه لامصلحة فى ختانه، والحكمة التى شرع من أجلها قد زالت بالموت. إذن فلا معنى له ولاهدف من فعله.

فوائد الختان الطبية:

كشف العلم الحديث أن عدم الختان بالنسبة للذكور له مضاعفات منها: أن الإفرازات قد تتجمع خلف القلفة مما يؤدى إلى الالتهابات المزمنة فى الحشفة... وإلى تكوين أنسجة ليفية من شأنها أن تؤدى إلى ضيق فتحة البول، مما قد يؤدى بالتالى إلى احتباس البول.

وهذا نادر الحدوث عند المختونين، فى حين أنه موجود عند غيرهم ممن لا يختتنون. ومن ناحية أخرى فقد وجد أن سرطان القضيب من أسبابه عدم الختان؛ ولذلك فهو من النادر حدوثه عند المسلمين واليهود الذين يقومون بعملية الختان فى سن مبكرة.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبى داود ١١٨/١٤ ط مكتبة ابن تيمية.

ومن أعراض عدم الختان ظهور صديد مدمم تحت القلفة... وعندما يقوم الطبيب برفع القلفة يجد أن هناك قرحة سميكة القوام، حيث تجد الجراثيم في التواءات القلفة وتعاريجها ملاجئ تساعدها على الاخفاء والنمو فيها.

في حين أنه في حالة الاختتان يسهل غسل عضو التناسل وتنظيفه جيداً، وبالتالي يمنع تسرب الجراثيم المرضية لأعضاء تناسل المرأة؛ حيث إن مجامعة المختون المعتني بالطهارة المطلوبة لا ينشأ عنها انتقال جراثيم منه لزوجته...

وبهذا تكون زوجته مصونة من حدوث التهابات مهبلية ورحمية ومبيضية وغيرها...

مما يجعل الزوج والزوجة منعمين بصحة جيدة مدة حياتهما، فضلاً عن أن الاتصال الجنسي يضطر الرجل غير المختون إلى رفع الغلفة لدى كل مواقعة جنسية، وفي ذلك مشقة أيضاً لا تنكر.... وإذا تكاسل عن رفعها وظلت منسدلة عاقت خروج المني واندفاعه بالقوة الطبيعية المطلوبة لإيصاله لفوهة الرحم، وفي ذلك ما يعوق العلوق والحمل يضاف إلى ذلك أن الجراثيم الي تكمن في الغلفة تنتهز الفرصة أثناء الاتصال الجنسي، فتدخل للمهبل والرحم والمبيض وتعشش فيها، مما يؤدي إلى تأخر الحمل، بل إلى العقم. وذلك مما يؤثر في المرأة تأثيراً كلياً يؤدي إلى ضعف أعصابها العام ويسبب لها ما يسمى بـ «النوراستينيا».

أما بالنسبة للأنثى... فأكثر المواضع حساسية بالنسبة إليها هو «البظر» والشفران الصغيرات... وفي حالة الختان يتم تهذيب هذه الزوائد، وقد أمر رسول الله ﷺ بعدم المبالغة والترفق بالإناث في ختانهن

من ذلك قوله لأم عطية. الذى تقدم فى أثناء البحث والمدهش والغريب فيه أن النبى ﷺ قد رسم حدوداً جراحية للختان وخصوصاً فيما يتعلق بالإناث بحيث ينأى بها عن المضاعفات التى تترتب على عملية الختان الخاطئة ممن كن يقمن بها من الجاهلات، كما لا يخفى أن النبى ﷺ قد سبق الطب فى النهى إلى ما يحدث من مخالفات والضرر الحاصل من عدم الالتزام وهو ما يسمى «بالخفاض الفرعونى» وأن ذلك يؤدى إلى البرود الجنسى عند المرأة مما ينشأ عنه عدم الإنسجام فى الحياة الزوجية.

ومن هذا ترى أن للسنة فضل السبق فى حكمة الختان وطريقته لدى الرجال والإناث بما ينفعهم ويحفظ حيويتهم. من حياة سعيدة مرضية وعيشة هنية.

(١٤٠)

---

(١) الإعجاز العلمى فى الإسلام ص ٣٧ ـ ٣٩.

الوقاية العامة بالحجر الصحى:

روى البخارى رحمه الله بسنده عن عامر بن سعد بن أبى وقّاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة:قال رسول الله ﷺ «الطاعون رجسٌ أرسلَ على طائفة من بنى إسرائيل – أو على من كان قبلكم – فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدَموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجُوا فراراً منه» قال أبو النضر «لايخرِجكم إلا فرارا منه»(١).

مايتضمنه الحديث:

(الطاعُون) بوزن فاعول من الطعن عدلوا به عن أصله ووضعوه دالا على الموت العام كالوباء، ويقال طُعِن فهو مَطعُون وطَعين إذا أصابه الطاعون، وإذا أصابه بالرمح فهو مطعون، هذا كلام الجوهرى.

وقال الخليل: الطاعون الوباء، وفى النهاية الطاعون المرض العام الذى يفسد له الهواء، وتفسد به الأمزجة والأبدان . أهـ وقال أبو بكر بن العربى: «الطاعون الوجع الغالب الذى يطفئ الروح كالذبحة سمى بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله. أهـ وقال أبو الوليد الباجى: هو مرض يعم الكثير من الناس فى جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدا بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة. أهـ

وقال الداودى: الطاعون حبة تخرج من الأفاغ وفى كل طى من الجسد والصحيح أنه الوباء: أهـ وقال عياض: أصل الطاعون القروح الخارجة فى الجسد، والوباء عموم الأمراض فسميت طاعونا لشبهها بها فى الهلاك، وإلافكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا قال: ويدل على

---

(١) البخارى: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ٥٤ فتح جـ ٥٩٢/٦.

ومسلم بشرح النووى: كتاب السلام: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها جـ٢٠٢/١٤.

ذلك أن وباء الشام الذي وقع في عمواس إنما كان طاعونا، وماورد في الحديث أن الطاعون وخز الجن. أهـ، وقال ابن عبدالبر: الطاعون غدة تخرج في المراق والآباط وقد تخرج في الأيدي والأصابع وحيث شاء الله، وقال النووي في (الروضة): قيل الطاعون انصباب الدم إلى عضو.

وقال آخرون هو هيجان الدم وانتفاخه، قال المتولي: وهو قريب من الجذام، من أصابه تآكلت أعضاؤه وتساقط لحمه. أ هـ وقال الغزالي: هو انتفاخ جميع البدن من الدم مع الحُمَّى أو انصباب الدم إلى بعض الأطراف فينتفخ ويحمر، وقد يذهب ذلك العضو. أ هـ

وقال جماعة من الأطباء منهم أبو علي بن سينا: الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتَّا لايحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ماتكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة[1].

أما الطاعون حديثا فيطلق على حمى معدية من نوع خاص تسببه البكتيريا العضوية، التي ينقلها برغوث الفئران، وهو في أصله يصيب القوارض ولكن الوباء في الإنسان ينشأ من جراء الاتصال ببراغيث القوارض المصابة[2].

وهل الوباء هو الطاعون أم لا؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايدخل المدينة المسيح ولا الطاعون»[2] وهو صريح في أن الطاعون لايدخل المدينة.

---

(١) لسان العرب جـ٨/١٦٩ مادة طعن وفتح الباري جـ١/١٩٠.
والنهاية في غريب الحديث جـ٣/١٢٧ مادة طعن.

(٢) رسالة دكتوراه في المفهم لما أشكل في صحيح مسلم (جامعة الإمام محمد بن سعود جـ٢/٢٠٧.

(٣) البخاري: كتاب الطب: باب في الطاعون جـ١/١٩٠.

وقد جاء في حديث عائشة (وهي أو بأرض الله) (١) وغيره من الأحاديث التي تدل على أن الوباء كان موجودا وأنه غير الطاعون وبه يوفق بين الأحاديث .

قال ابن القيم: ولما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوبيئة، عبر عنه بالوباء، كما قال الخليل: الوباء: الطاعون، وقيل هو كل مرض يعم، والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموما وخصوصا . فكل طاعون وباء. وليس كل وباء طاعونا .

وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها، والطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة في المواضع المتقدم ذكرها .(٢) أهـ.

وعليه فالوباء غير الطاعون، وأن من أطلق على كل وباء طاعونا فبطريق المجاز

السبب الفاعل لهذا الداء جاء في الحديث (الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل) (الرجس) بالسين المهملة، قال أبو منصور الرجس بمعنى الرجز وهو العذاب قلبت الزاي سينا كما قيل الأسد والأزد. أهـ.

وقال ابن حجر: والذي بالزاي هو المعروف وهو العذاب، والمشهور في الذي بالسين أنه الخبث أو النجس أو القذر، وجزم الفارابي والجوهري بأنه يطلق على العذاب أيضا، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، العذاب الواقع إما أن يكون على بني إسرائيل خاصة، أو فيهم وفي غيرهم، ثم تتابع وتكرر بعدهم وحصل لهم ولغيرهم.

---

(١) البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة فتح جـ٧/٢٠٨.

(٢) الطب النبوي لابن القيم صـ ٢٥.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٥ وانظر لسان العرب جـ٥/١٤٧ مادة رجس وفتح الباري جـ١٠/١٩٢

قال ابن كثير: كما يجعل الله صدر من أراد ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصده عن سبيل الله.(١) أ هـ.

وفى البعد عن سبيل الله واتباع غير طريق المؤمنين عذاب وهلاك.

قال ابن حجر: فأقدم من وقفنا عليه فى المنقول ممن وقع الطاعون به من بنى إسرائيل فى قصة بلعام - رجل مجاب الدعوة - دعا على بنى إسرائيل فمات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا.

وفى غيرهم فى قصة فرعون، وتكرر بعد ذلك لغيرهم(٢).

ومن أسبابه أنه وخذ الجن كما جاء فى الحديث عن عبدالله بن أحمد قال حدثنى أبى: ثنا عبدالرحمن ثنا سفيان عن زياد بن علاقة عن رجل عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ «فناء أمتى بالطعن والطاعون فقيل يارسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن وفى كل شهداء»(٣).

(والوخز) الطعن بالرمح والخنجر وقيل: هو الطعن النافذ فى جنب المطعون أو هو طعن ليس بنافذ، أو هو الطاعون كما جاء فى الحديث(٤).

وهذا السبب هو السبب الفاعل لهذا الداء، وكونه (من وخز الجن) يفترق به عن الوباء، ولذا لم يتعرض له الأطباء ولا أكثر من تكلم فى تعريف الطاعون وهو كونه من طعن الجن، ولا يخالف ذلك ماقاله الأطباء

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢/٢٠١.

(٢) فتح البارى جـ١٠/١٩٣ ومابعدها.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٤/٣٩٥ قال ابن حجر: والرجل هو يزيد بن الحارث ورجاله رجال الصحيح غير المبهم انظر الفتح فى الموضع السابق.

وأخرجه الحاكم فى كتاب الإيمان: باب الطاعون شهادة جـ١/٥٠ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى التلخيص

(٤) لسان العرب جـ١٥/٢٤٢ مادة وخز.

من كون الطاعون ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه لأنه يجوز أن يكون ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة فتحدث منها المادة السمية ويهيج الدم بسببها أو ينصب، وإنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لايدرك بالعقل، وإنما يعرف من الشارع والرسل تخبر بالأمور الغائبة.

فتكلم الأطباء فيه على ماقتضته قواعدهم.

ونقل ابن حجر عن الكلا باذى قوله: يحتمل أن يكون الطاعون على قسمين: قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط وإن لم يكن هناك طعن، وتقع الجراحات أيضا من طعن الإنس أ.هـ. ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا فى أعدل الفصول.

قال بقراط: إن فى الخريف أشد ماتكون من الأمراض، وأقتل، وأما الربيع فأصح الأوقات كلها وأقلها مُوتا، وقد جرت عادة الصيادلة، ومجهزى الموتى أنهم يستدينون ويتسلفون فى الربيع والصيف على فصل الخريف، فهو ربيعهم وفى أصح البلاد هواء وأطيبها ماء، ولأنه لو كان بسبب هواء فاسد لدام فى الأرض لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى، وهذا يذهب أحيانا ويجيئ أخرى على غير قياس ولاتجربة، فربما جاء سنة على سنة، وربما أبطأ سنين، وبأنه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان، والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هو بجانبهم ممن هو فى مثل مزاجهم، ولو كان كذلك لعم جميع البدن، وهذا يختص بموضع من الجسد ولا يتجاوزه، ولأن فساد الهواء يقتضى تغير الأخلاط وكثرة الأسقام، وهو فى الغالب يقتل بلا مرض، فدل على أنه من طعن الجن كما تقدم فى الحديث.

ويحتاج لدافع قوى يدفعه من الذكر، والدعاء، والابتهال، والتضرع، والصدقة، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية مايقهر هذه الأرواح

الخبيثة، ويبطل شرها ويدفع تأثيرها(١). ويكفى لمن مات بهذا الداء أن يكون شهيدا، ولحب النبى ﷺ لأفراد أمته أراد أن يحصل لهم الشهادة وأرفعها كما جاء فى رواية عاصم الأحول عن كريب بن الحارث عن أبى بردة بن قيس أخى أبى موسى الأشعرى رفعه «اللهم اجعل فناء أمتى قتلا فى سبيلك بالطعن والطاعون»(٢).

قال ابن حجر: قال العلماء: أراد ﷺ أن يحصل لأمته أرفع أنواع الشهادة وهو القتل في سبيل الله بأيدى أعدائهم من الإنس وإما من الجن(٣) وثبتت شهادة الرسول ﷺ لمن مات بهذا الداء بأنه شهيد فعن حفصة بنت سيرين قالت قال لى أنس بن مالك رضي الله عنه : بمَ مات يحيى بن أبى عمرة؟ قالت: قلت بالطاعون: قالت: فقال قال ﷺ: الطاعون شهادة لكل مسلم»(٤) أى أنه يكون له ثواب الشهداء فى الآخرة مثل مال الشهيد من الأجر، وكفى بها من نعمة لأن هذا هو المشكور، أما فى الدنيا فلا يسمى شهيدا لأنه يغسل ويصلى عليه، وثواب الآخرة أنفع وأحسن. ومن جمع بين الإثنين، فقد أبقى الله ذكره، وأعلى شأنه فهم أحياء عند ربهم يرزقون.

والنوع الثالث: مذموم غير مأجور خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين وفى نهى النبى ﷺ أمته عن الدخول إلى الأرض التى هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه، فإن دخول

---

(١) مستفاد من فتح البارى جـ١٠/١٩١ والطب النبوى لابن القيم صـ ٢٦، ٢٧ وزاد المعاد جـ٤/٣٠، ٣١.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٤/٤١٧ .

والحاكم: كتاب الإيمان: باب الطاعون شهاده جـ١/ ٥٠ وقال صحيح: على شرط مسلم وأقره الذهبى.

(٣) فتح البارى الموضع السابق.

(٤) مسلم بشرح النووى: كتاب الإمارة: باب بيان الشهداء جـ١٣/٦٣.

صحيح البخارى: كتاب الطب: باب مايذكر فى الطاعون فتح جـ١٠/١٩٠

الأرض التى هو بها تعرضا للبلاء، وموافاة له فى محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف الشرع والعقل، بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التى أرشد الله سبحانه إليها، وهى حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية. وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ بما يسمى فى العرف الحديث.

الحجر الصحى أو (الكرنتينات):

قوله ﷺ (فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه).

وأيضا ذكر العلماء فى المنع من الإقدام عليه، والفرار منه حكما.

ذكرها الحافظ فى الفتح فقال: إن الطاعون فى الغالب يكون عاما فى البلد الذى يقع به فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار، لأن المفسدة إذا تعينت - حتى لايقع الانفكاك عنها - كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل.

ومنها أن الناس لو تواردوا علي الخروج لصار من عجر عنه - بالمرض المذكور - أو بغيره - ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا، وأيضا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان فى ذلك كسر قلوب الضعفاء، وقد جمع الغزالى بين الأمرين فقال: الهواء لايضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن، بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر فى الباطن ولايظهر على الظاهر إلا بعد التأثير فى الباطن. فالخارج من البلد الذى يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به(١).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله الحكمة من النهى عن الخروج والدخول وخلاصة ماذكره.

---

(١) فتح البارى جـ١٠/٢٠٠ بتصرف.

أن فى نهيه ﷺ الذى حمل العدوى أو قد يكون حملها لوقوعها بأرضه معنيان:

أولاً: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها.

الثاني: ماقاله أئمة الطب أنه يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولايمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة وهى مضرة جداً، وهذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين.

وفى المنع من الدخول إلى الأرض التى قد وقع بها عدة حكم.

أحدهما: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد عنها.

الثاني: الأخذ بالعافية التى هى مادة المعاش والمعاد.

الثالث: أن يستنشقوا الهواء الذى قد عفن وفسد فيمرضون.

الرابع: أن لايجاوروا المرض الذين قد مرضوا بذلك فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

الخامس: حمية النفوس عن الطيرة والعدوى فإنها تتأثر بهما، فإن الطيرة على من تطير بها، وبالجملة ففى النهى عن الدخول فى أرضه الأمر بالحذر والحمية، والنهى عن التعرض لأسباب التلف.

وفى النهى عن الفرار منه الأمر بالتوكل، والتسليم، والتفويض، فالأول: تأديب وتعليم، والثاني: تفويض وتسليم (١).

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/٣٢ – ٣٤ بتصرف.

وهـذا الحديـث (الطاعون رجس... الـخ) وأمثاله فيها إشارة إلى أصل كبير الفائدة، يتعلق بالأمراض الوبائية والحث على التوقي منها.

وقد سبق الرسول ﷺ العالم الشهير «باستور» في اكتشاف الجراثيم التي أشارت إليها تلك الأحاديث بأربعة عشر قرنا، وقد اهتم العلم الحديث في جميع أنحاء العالم لاكتشاف حقائق هذه المخلوقات الدقيقة (الميكروبات)، ومعرفة حقائقها والوقوف على خصائصها.

ونشـأ عن تلك الأبحـاث الدائمـة تدوين علم الجـراثيم (الباكتريولوجيا)، وتم الوصول من خلال هذا العلم... إلى معرفة ماهية وخصائص عالم الميكروبات الخاصة ببعض الأمراض الوبائية الجائحة والأمراض المعدية... وبعد ماعرفت الأمراض الوبائية وتأثيرها المريع عقدت المؤتمرات الدولية الطبية العديدة وقررت ضرورة إنشاء دور الحجر الصحي المسماه (بالكرنتينات) والتي سبق أن قررها الرسول ﷺ في أحاديثه التي حملت أعظم معاني الطب الوقائي.

وقد أجمع العلماء أن الطاعون ينتقل بواسطة البراغيث... وأن البراغيث التي في المرض تعلق بالزائرين والمختلطين بهم، وتلحق بهم المرض، وينتشر بالتالي منهم إلى غيرهم»(١).

من ذلك يظهر لنا بوضوح تام أن الرسول ﷺ أول من وضع أسس للطب الوقائي ومنه الحجر الصحي منذ ١٤٢٠ عاما مما يثبت للعالم أجمع أن السنة النبوية المطهرة خيرها كثير ونفعها عميم، وفيها من الإعجاز العلمي مافيها من النظريات الحديثة التي اكتشفت حديثا، والتي

---

(١) الاعجاز العلمي في الإسلام صـ ٦٥ ، ٦٦ بتصرف.

مازالت مدفونة تحتاج إلى بحث دقيق وعمل علمي سديد ليذعن الكل بفائدتها ويوقن الجميع بما جاء فيها وإن لم تدركه العقول، وتستوعبه الأفهام. فلا مجال للإنكار ولا مكابرة بالجحود، لأن الرسل تخبر بالأمور الغائبة، ولا ينكر شيئا من السنة الصحيحة إلا أجهل الناس فهم يهرفون بما لايعرفون ويقولون بما لايعقلون.

دفع التعارض فى حديث الطاعون:

ولا تعارض بين حديث الطاعون وبين غيره من الأحاديث التى يوهم ظاهرها التعارض كحديث «لاعَدْوَى، ولاطِيَرَةَ ولاهامة ولا صفر. وفر من المجذوم كما تفرُّ من الأسد»(٢).

وقد سلك العلماء فى التوفيق بين ماظاهره التعارض مسالك عدة.

١) القول بالنسخ وأن أحاديث الاجتناب منسوخة وممن قال بهذا عمر وجماعة من السلف.

٢) الجمع بينهما قال القاضى عياض: والصحيح الذى عليه الأكثر ويتعين المصير إليه أن لانسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط، والأكل معه على بيان الجواز.

٣) مسلك الترجيح وقد سلكه فريقان.

أحدهما: سلك ترجيح الأخبار الدالة على نفى العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك فأعلوا حديث (فر من المجذوم) بالشذوذ وبأن عائشة ﵂ أنكرت ذلك، وبأن أباهريرة تردد فى هذا الحكم، وبأن الأخبار الواردة فى نفى العدوى كثيرة شهيرة بخلاف الأخبار المرخصة فى ذلك، وأما حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان فى وفد ثقيف

---

(١) البخارى: كتاب الطب: باب الجذام فتح جـ١٠/١٦٧.

رجل مجنوم فأرسل إليه النبيﷺ إنا قد بايعناك فارجع»[1] فليس صريحا فى ذلك بسبب الجذام.

ورد الحافظ ابن حجر على هذا المسلك بقوله: «إن طريق الترجيح لايصار إليه إلا مع تعذر الجمع وهو ممكن».

الفريق الثانى سلكوا فى الترجيح عكس المسلك الأول، فردوا حديث لاعدوى، بأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه، ووجهتم أن الأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طرقا فالمصير إليها أولى.

قال الحافظ ابن حجر: إن طريق الجمع أولى، وأيضا فحديث لاعدوى ثبت من غير طريق أبى هريرة فصح عن عائشة وابن عمرو سعد بن أبى وقاص وجابر وغيرهم، فلا معنى لدعوى كونه معلولا.

وفى الجمع مسالك أخرى منها:

١) نفى العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجنوم على رعاية خاطر المجنوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته، وتزداد حسرته.

٢) حمل الخطاب بالنفى والاثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء لاعدوى، كان المخاطب بذلك من قوى يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، وحيث جاء فرمن المجنوم كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ولم يتمكن من تمام التوكل، فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى.

---

(١) مسلم بشرح النووى: كتاب السلام: باب إجتناب المجنوم ونحوه جـ ٢٢٨/١٤.

٣) قال الباقلانى: إثبات العدوى فى الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفى العدوى وقد حكى ذلك ابن بطال.

٤) أن الأمر بالفرار من المجزوم ليس من باب العدوى فى شيئ بل هو لأمر طبيعى وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة.

٥) أن المراد بنفى العدوى أن شيئا لايعدى بطبعة نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدى بطبعها من غير إضافة إلى الله فأبطل النبىﷺ اعتقادهم وأكل مع المجزوم.

٦) العمل بنفى العدوى أصلا ورأسا، وحمل الأمر بالمجانية على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيئ من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التى نفاها الشارع(١).

فإن قيل كيف يندم عمر رضي الله عنه على فعل ما أمر به النبىﷺ، ويرجع عنه ويستغفر منه؟.

أخرج الطحاوى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال عمر رضي الله عنه: إن الناس قد نحلونى ثلاثا أنا أبرأ إليك منهن: زعموا أنى فررت من الطاعون وأنا أبرأ إليك من ذلك، وأنى أحللت لهم الطلاء، وهو الخمر، وأنا أبرأ إليك من ذلك.

وأنى أحللت لهم المكس، وهو النجس، وأنا أبرأ إليك من ذلك(٢).

---

(١) فتح البارى جـ١٠/١٦٩:

(٢) شرح معانى الآثار للطحاوى: كتاب الكراهية: باب الرجل يكون به الداء هل يجتنب أم لا جـ٤/٣١١ ط الأنوار المحمدية - القاهرة، قال ابن حجر: إسناده صحيح جـ١٠/١٩٨.

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يخبر أنه يبرأ إلى الله أن يكون فر من الطاعون فدل ذلك على أن رجوعه كان لأمر آخر غير الفرار.

• وقد تعجب الحافظ ابن حجر من رد القرطبي في المفهم هذا الحديث، وقال فيه لايصح عن عمر ﷺ فقال: وإني لأتعجب من القرطبي كيف يرد الأخبار القوية لمجرد عدم قبول العقل لها، مع إمكان الجمع... ثم قال الحافظ: وليس في كلام عمر مايحصر الأمر فيما ذكره بل يحتمل - وهو أقوى - أن يكون سبب ندمه أنه خرج لأمر مهم من أمور المسلمين، فلما وصل إلى قرب البلد المذكور رجع مع أنه كان يمكنه أن يقيم بالقرب من البلد المقصود إلى أن يرتفع الطاعون فيدخل إليها، ويقضي حاجة المسلمين، ويؤيد ذلك أن الطاعون ارتفع عنها عن قرب، فلعله كان بلغه ذلك فندم على رجوعه إلى المدينة، لا المشقة، والخبر لم يرد بالأمر بالرجوع وإنما ورد بالنهي عن القدوم.

وحكى البغوي في شرح السنة عن قوم: أن النهي عن الفرار من الطاعون على التحريم، والنهي عن القدوم عليه على التنزيه، فيكون القدوم عليه رخصة لمن غلب عليه التوكل، والانصراف عنه رخصة لمن انصرف(١).

---

(١) فتح الباري جـ١٠/١٩٨.

الفصل الثاني
بعض الأمراض الباطنية وعلاجها

١) استطلاق البطن:

روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري ﷺ «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلا. ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلا. ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه فقال: فعلت، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا، فسقاه، فبرأ» وفي رواية (استطلق بطنه).

وفي لفظ: (فلم يزده إلا استطلاقا مرتين أو ثلاثا)(١).

وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله (إن أخي عَرِب بطنه)(٢).

ماينضمنه الحديث:

(استطلق بطنه) مشي، واستطلاق البطن مشيه، وتصغيره تطليق وفيالحديث أن رجلا استطلق بطنه أي كثر خروج مافيه، يريد الإسهال(٣) (عرب) يقال عربت معدته - بالكسر - تعْرب عرباً - بالفتح: إذا فسدت فهي عَرِبَة - بالكسر، وذلك مثل ذَرِبَتْ ذَرَباً، فهي ذربة، ومن ك: امرأة عَرُوب: أي فاسدة.

ومن ذلك عربَ الجرح عَرَبا: بقي فيه أثر البرونْكُسٌ وغُفْرٌ(٤).

وقال النووي: عَرِب - بفتح العين وكسر الراء - فسدت معدته(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب: باب دواء المبطون فتح جـ١٠/١٧٨ وقول أبوسعيد: (جاء رجل فقال: أخي يشتكي) قال ابن حجر: لم أقف على إسم واحد منهما.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب السلام: باب التداوي بالعود الهندي جـ١٤/٢٠٢.

(٣) لسان العرب ٨/١٩٠ والنهاية جـ٣/١٣٦ مادة طلق.

(٤) لسان العرب ٩/١١٦ والنهاية جـ٣/٢٠١ مادة عرب.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١٤/٢٠٣.

والمراد بالمبطون من اشتكى بطنه لإفراط الإسهال.

وأسباب الإسهال متعددة منها:

امتلاء المعدة فيتجمع فضول في نواحي المعدة والأمعاء، وكذلك تجمع الأخلاط اللزجة فإذا علقت بالمعدة الأخلاط منعت استقرار الغذاء فيها، ومن أسبابه أيضا حرارة الجوف وغير ذلك من الأسباب الذى وصف له النبيﷺ العلاج بقوله للرجل (اسقه عسلا) وصفة طبية ناجحة، ومن أنكرها فهو جاهل ملحد.

فإن قيل: العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به إسهال؟.

والجواب أن تلك جهل من قائله، بل هو كقوله تعالى :﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾(١).

فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف وقوة الطبيعة، والعسل نافع لذلك لا محالة.

ولذا قال النبيﷺ (وكذب بطن أخيك) إشارة إلى أن هذا الدواء نافع، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء فى نفسه، ولكن لكثرة المادة الفاسدة، فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، فكان كذلك بإذن الله(٢).

قال ابن القيم: وفى تكرار سقيه العسل معنى طبى بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يزله بالكلية، وإن جاوزه، أو هى القوى، فأحدث ضررا آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقدارا لايفى بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما

---

(١) سورة يونس آية رقم / ٣٩.

(٢) فتح البارى جـ١٠/١٧٩.

أخبر النبى ﷺ، علم أن الذى سقاه لايبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبى ﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ، بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية، وكمياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب(١).أهـ.

طب النبى ﷺ:

وطب النبى ﷺ ليس كطب الأطباء، فإن طب النبى ﷺ قطعى إلهى اطلع عليه النبى ﷺ عن طريق الوحى، ولذا فطب النبى ﷺ متيقن البرء لصدوره عن الوحى، وطب غيره أكثره حدس وظنون، وتجارب، لكن قد يتخلف طب النبوة، وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف إعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول، وأظهر الأمثلة لذلك القرآن الكريم الذى هو شفاء لما فى الصدور، ومع ذلك لايحصل لبعض الناس شفاء صدره لقصوره فى الاعتقاد والتلقى بالقبول، بل لايزيد المنافق إلا رجسا إلى رجسه ومرضا إلى مرضه فطب النبوة لايناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لايناسب إلا القلوب الطيبة، لأن الشفاء حاصل بشرب العسل قال تعالى:﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾(٢).

قال ابن كثير: أى فى العسل شفاء أى من أدواء تعرض لهم، قال بعض من تكلم على الطب النبوى لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء، ولكن قال فيه شفاء للناس أى يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيئ يداوى بضده.

وذكر عن مجاهد بان المراد به القرآن وقال هو صحيح فى نفسه لكن ليس هو الظاهر من سياق الآية، ثم أيد الأول بقوله والدليل على أن المراد بقوله تعالى:﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ هو العسل ماروواه البخارى ومسلم

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/٢٧ بتصرف.

(٢) سورة النحل آية رقم/٦٩ والكلام مستفاد من الفتح ومن زاد المعاد.

فى صحيحيهما عن أبى المتوكل وساق حديث أبى سعيد المتقدم[1] صدر الكلام على الموضوع.

وذهب ابن القيم إلى ماذهب إليه ابن كثير فقال كلاما مفاده أن الضمير فى الآية فى قوله (فيه) راجع إلى الشراب وهو الصواب وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة والأكثرين، فإنه هو المذكور، والكلام سيق لأجله، ولاذكر للقرآن فى الآية، وهذا الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ «صدق الله» كالصريح فيه[2].

خصائص العسل الطبية:

روى ابن ماجة بسنده عن عبدالله قال؛ قال:رسول الله ﷺ «عليكم بالشفاءَ يْنِ: العسل والقرآن» [3] فى الزوائد إسناده صحيح، رجاله ثقات فجمع النبى ﷺ بين الطب البشرى والإلهى، وبين طب الأبدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضى والدواء السماوى.

إفادة العسل فى الاستطلاق:

كان استطلاق بطن الرجل عن تخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعه فى نواحى المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خَمْل كخمْل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة، أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ماعولج به هذا الداء، لاسيما إن مزج بالماء الحار[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٢/٦٣٥ - ٦٣٦.

(٢) زاد المعاد جـ٤/٢٧.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب الطب: باب العسل جـ٢/١١٤٢.

والحاكم: فى كتاب الطب: الشفاء شفاءان جـ٤/٢٠٠ وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٤) زاد المعاد جـ٤/٢٦.

وذكر محمد كامل عبد الصمد... فقال: في دراسة حديثه عن أثر العسل على إفرازات المعدة من أحماض وأنزيمات، تبين أن العسل يهبط بإفراز حامض الهيدروكلوريك إلى معدله الطبيعي، مما يساعد على التئام قرحة المعدة والإثنى عشر(١).

وذكر المهندس أيمن الشربيني: أن العسل يفيد في علاج مشكلات الهضم بما له من تأثير مانع للعفونة حيث يعمل على تطهير الأمعاء الرفيعة خاصة عند المرضعات... ثم قال: فضلا عن ذلك فإن العسل تأثيرا مفيدا في حالات الإصابة بقرحة المعدة، نظرا لخاصيته في تلطيف وتسكين الألم علاوة على تأثيره في سرعة التئام الجروح، ويمكن الاستفادة من عسل النحل في علاج قرحة المعدة كمادة إضافية تجعل تأثير الأدوية المستخدمة في العلاج أشد تأثيرا ويؤكد الدكتور Ericni gelle أن حدة العلاج بالعسل يتوقف على شدة الإصابة ولكنه ينصح باستمرار العلاج لمدة ١٥ يوماً على الأقل علي النسق التالي ١٥٠جم من العسل صباح كل يوم علي الريق ويفضل عدم تناول أى غذاء (صلب أو سائل) لعدة ساعات (حتي فترة الظهيرة) ويجب عند اتباع هذا النظام العلاجي الامتناع عن تناول اللحوم والتوابل والدهون، والقهوة والشاي.

ويجدر الإشارة في هذا المقام أن هذا النوع من العلاج لا يصلح لمرضى السكر(٢).

ومن فوائد الطبية غير ما تقدم، أنه يمكن إستخدامه في علاج الجروح والقروح في الطب الحديث وثبتت تجربة ذلك في روسيا، كما أن العسل يعتبر طبياً مفيداً في علاج أمراض الجهاز التنفسي مثل الزكام

---

(١) الاعجاز العلمي في الإسلام صـ٢٣.

(٢) عسل النحل السائل الذهبي ص٢٢ . ٢٣ ط مكتبة ابن سينا.

والسل، والسعال، كما ينفع في علاج أمراض القلب خاصة في حالات ضعف عضلة القلب، وقد ثبت أن عسل النحل له أثر كبير في علاج أمراض الكبد، وأكدت المراقبة العلمية أن العسل يمكن أن ينجح في علاج الأمراض العصبية والأرق وفي مجال الأمراض الجلدية ينفع العسل في علاج سل الجلد والأكزيما، والدمامل والخراجات، والصدفية.

كما ينفع العسل في علاج التهابات الجفون والملتحمة والقرنية في العين ويساعد على قوة الإبصار.

كما وجد العلماء أن العسل يمنع من مرض السرطان لأنه يحتوى على مواد كيمائية تمنع إنقسام الخلايا وتكاثرها وهذا ما ثبت علمياً فى فرنسا وقد لوحظ أن مرض البول السكرى تنخفض عندهم نسبة السكر بعد تناول العسل(١) كما دلت الأبحاث الحديثة على اعتبار عسل النحل من أهم المواد الفعالة فى معالجة أنواع مختلفة من فقر الدم (٢) وللعسل خاصية منع النزيف الدموى ويفيد العسل فى علاج مدمنى الكحل والخمور ثبت ذلك فى تجارب أجريت فى انجلترا، ويستخدم العسل لإلتهاب الحلق والعيون .

كما يستخدم فى علاج الروماتيزم وأوجاع المفاصل والعضلات، ويستعمله الرياضيون ويعتمدون عليه فى استعادة الحيوية والنشاط وعموماً فإن العسل يفتك بالجراثيم التي تسبب الأمراض للإنسان تموت بالعسل كما أثبتت التجارب العلمية، ومن هذه التجارب ما قام به العالم البكتريولوجى «ساكيب» الذى قام بزرع جراثيم مختلفة الأمراض فى مزارع من العسل الصافى، ولبث ينتظر، وقد أذهلته النتيجة التى حصل عليها، فقد ماتت جميع هذه الجراثيم وقضى عليها في عدة ساعات، فى

---

(١) الطب الإسلامي عبر القرون لعبيد عمر ص٢٥٢ ط أولى دار الشواف الرياض.

(٢) ثبت علمياً محمد كامل عبد الصمد جـ١/٤٥ ط الدار اللبنانية المصرية ط أولى.

حين مات أكثرها مقاومة فى مدة أقصاها عدة أيام، لقد ماتت جراثيم التيفوس بعد ٤٨ ساعة وجراثيم التيفود بعد ٢٤ ساعة، وماتت جراثيم الالتهاب الرئوى فى اليوم الرابع من تناول العسل، أما جراثيم الزحار العضوية الشكل فقد قضى عليها تماماً وبعد عشر ساعات.

وقد أعاد الدكتور «لوكهيد» تلك التجارب فأكد صحة نتائجها، وأثبت أن الجراثيم التي تسبب الأمراض للإنسان تموت بالعسل (١) ففوائده كثيره ومنافعه عظيمة، شفاء لكل داء، وغذاء لكل جسم ونستطيع أن نلخص فوائدة فى كلمات يساعد فى عملية الهضم، يشفى الجهاز التنفسى، مسكن لآلام الكلى، ينشط الكبد، ينقى المعده، يساعد على النوم الهادئ، يفيد فى المغص، علاج للقروح وتشقق الجلد. يساعد على استعادة النشاط والحيوية وقد ذكر إبن القيم كلاماً نفيسا فقال فيه: غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومفرح من المفرحات، فما خلق الله لنا شىء فى معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريباً منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر إلبتة، ولا يعرفونه (٢) مكونات العسل كميائياً.

يتركب العسل من الماء بنسبة ٢٠٪ وأحياناً أقل ولا تزيد نسبة الماء بأى حال على ٢٢٪ ، ٧٥ - ٧٩٪ من السكريات (جلوكوز، وفركتوز) منها سكريات معقدة خاصة السكروز، تبقى نسبة تتراوح ما بين من ١-٥ تتكون من بروتينات قليلة جداً وأملاح معدنية وفيتامينات وأنزيمات (الانفرتير - الافليلاز) وأحماض عضوية وبعض الزيوت العطرية ومضاد حيوى inhibine وحبوب اللقاح وصبغات ملونة (٣).

---

(١) ثبت علمياً، والطب الإسلامى.

(٢) زاد المعاد جـ٤/٢٦.

(٣) عسل النحل السائل الذهبى ص١٧.

ومن كل ما تقدم ندرك بجلاء ونعرف بيقين أثر التركيز العلاجى للعسل فى القضاء علي الأمراض والعلل، وتبين لنا بصورة جلية فى تأكيد الرسول ﷺ على ضرورة العلاج بعسل النحل، وهذا ما أكدته البحوث التجريبية الحديثة بعد أربعة عشر قرناً من رواية الحديث الشريف وإخبار القرآن بذلك على لسان نبينا محمد ﷺ تارة وبقوله أخرى وأخذ من قوله ﷺ قاعدة علمية فى علاج الأمراض الباطنية وغيرها من أمراض ... فتاكة فضلاً عن أنه نوعية غذاء كاملة، ففوائد عسل النحل تتعدد لدرجة يصعب حصرها كما أشارت البحوث العلمية. مما يقتض التسليم بأن ذلك إعجازا علمياً قد ألهم الله تعالى به نبيه ﷺ.

علاج الحمىً:

روي البخاري رحمه الله تعالي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما «عن النبي ﷺ قال: الحمى من فَيح جَهنم، فأطفئوها بالماء»(١).

قال نافع: وكان عبد الله يقول: أكشف عنا الرُّجز.

وعند مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «الحمى من فور جهنم فأبردوها عنكم بالماء» (٢).

ما يتضمنه الحديث

(فيح) الفَيحْ: سطوع الحر وفورانه، ويقال بالواو (فوح) أيضاً تقول فاحت القدر تفيح وتفوح إذا غَلَتْ، وهو علي التشبية والتمثيل أى كأنه نار جهنم فى حرها (٣).

(جهنمً) لفظة أعجمية إسم لنار الاخرة، وقيل هى عربية . وسميت بها لبعد قعرها. ومنه ركيَّة جِهنَّام – بكسر الجيم والهاء والتشديد أى بعيدة القعر (٤).

(فاطفئوها) بهمزة قطع ثم طاء مهملة وفاء مكسورة ثم همزة أمر بالإطفاء .

(فابُردوها) المشهور فى ضبطها بهمزة وصل والراء مضمومة، وحكى كسرها، يقال بردت الحمىّ أبردها برداً بوزن قتلتها أقتلها قتلاً أى سكنت حرارتها (٥).

---

(١) البخارى: كتاب الطب: باب الحمي من فيح جهنم فتح جـ١٠/١٨٤.

(٢) مسلم بشرح النووى: كتاب السلام: باب لكل داء دواء واستحباب التداوى جـ١٤/١٩٨.

(٣) النهاية فى غريب الحديث جـ٣/٤٨٤ مادة فيح.

(٤) المرجع السابق جـ١/٣٢٣ مادة جهنم.

(٥) فتح البارى جـ١٠/١٨٥.

قوله ﷺ (بالماء) فيه قولان

أحدهما: أنه كل ماء وهو الصحيح.

الثاني: أنه ماء زمزم، وأحتج أصحاب هذا القول بما رواه البخارى في صحيحه عن أبي حجرة نصر بن عمرو الضبعي، قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله قال: «إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء، أو قال: بماء زمزم» (١).

وراوى هذا قد شك فيه، ولو جزم به لكان أمر الأهل مكة بماء زمزم، إذ هو متيسر عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماء.

ثم اختلف من قال: إنه على عمومه، هل المراد به الصدقة بالماء، أو استعماله على قولين والصحيح أنه استعمال، وأظن أن الذى حمل من قال: المراد الصدقة به أن أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى، ولم يفهم وجهه مع أن لقوله وجهاً حسناً، وهو أن الجزاء من جنس العمل، فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد، أخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقاً، ولكن هذا يؤخذ من فقة الحديث وإشارته، وأما المراد به فاستعماله (٢).

واستعمال الماء مطلقاً لا ماء زمزم على الخصوص وردت به الأحاديث الصحيحة، كحديث أنس عن النبى ﷺ قال: «إذا حم أحدكم فليشن عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر» (٣).

---

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق: باب صفة النار وأنها مخلوقة فتح ج٦/ ٣٨٠.

(٢) مستفاد من فتح البارى جـ١٠/ ١٨٦ وما بعدها وشرح النووى جـ١٤/ ١٩٥ وما بعدها وزاد المعاد جـ٤/ ٢١ -٢٢.

(٣) الحاكم: كتاب الطب: إذ حم أحدكم جـ٤/ ٢٠٠ وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الذهبي: على شرط مسلم.

وروي ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله قال: «الحمى كير من كير جهنم، فنحوها عنكم بالماء البارد» (١) .

وما ورد من إستعمال ماء زمزم على الخصوص بأن ذلك لأهل مكة خاصة لتيسر ماء زمزم عندهم، كما خص الخطاب بأصل الأمر بأهل البلاد الحارة (٢) وقد استشكل هذا الحديث علي بعض الناس فارتابوا فيه، والذى أوقعهم فى ذلك جهلهم بمعنى الحديث وقالوا: اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك، ويعكس الحرارة إلى داخل الجسم فيكون ذلك سبباً للتلف.

قال الخطابى ومن تبعه اعترض بعض سخفاء الأطباء على هذا الحديث ووصفهم ابن القيم بالجهل، وليس معنى الحديث كما فهموا بأن الأمر فيه محمول على الاغتسال وليس فى الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلاً عن اختصاصها بالغسل، وإنما فى الحديث الإشارة إلي تبريد الحمى بالماء فإن أظهر الوجود أو اقتضت صناعة الطب أن انغماس كل محموم في الماء أو صبه إياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد، وإنما قصد ﷺ استعمال الماء على وجه ينفع، فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به، وهو كما وقع فى أمره العائن بالإغتسال وأطلق.

وقد ورد في حديث أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها أنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها، فأخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها وقالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء (٣)» فهذه أسماء رضي الله عنها راوية الحديث، وقربها من رسول الله ﷺ معلوم تأولت الحديث على نحو ما تقدم، ويكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها .

---

(١) ابن ماجة: كتاب الطب: باب الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء البارد جـ٢/ ١١٥٠ فى الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) فتح البارى جـ١٠/ ١٨٦.

(٣) صحيح البخارى: باب الحمى من فيح جهنم فتح جـ١٠/ ١٨٤

مسلم بشرح النووى كتاب السلام: باب لكل داء دواء واستحباب التداوي جـ١٤/ ١٩٦.

فلم يبق للملحد المعترض إلا اختراعه الكذب واعتراضه به فلا يلفت إليه. وقال ابن القيم: وقد أشكل هذا الحديث على كثير من جهلة الأطباء ورأوه منافياً لدواء الحمى وعلاجها، والخطاب في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز، وما والاهم، إذ كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً، فإن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه يضر بالأفعال الطبيعية، وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية: وهي الحادثة إما عن الورم، أو الحركة، أو إصابة حرارة الشمس، أو القيظ الشديد ونحو ذلك.

ومرضية وهي ثلاثة أنواع، وهي لا تكون إلا في مادة أولي، ثم منها يسخن جميع البدن، فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمي يوم، لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام، وإن كان تعلقها بالأخلاط سميت عفنية، وهي أربعة أصناف: صفراوية، وسوداوية، وبلغمية، ودموية. وإن كان تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية، سميت حمى دق، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة (١) لكن حمل الحديث علي العموم أولي وجهل المعترض كيفية العلاج أو أن المريض يكون الشيء دواءه في الساعة التي تليها، لعارض يعرض له فيتغير علاجه، ومثل ذلك كثير، فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال، والأطباء مجمعون علي أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف وقوة الطباع.

---

(١) الطب النبوى لابن القيم ص١٧ – ١٨ وقارن بفتح البارى جـ١٠/١٨٦.

ويجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، وسقى الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلا علاج آخر، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح فيكفي فى زوالها مجرد وصول كيفية باردة تسكنها، وتخمد لهبها من غير حاجة إلى استفراغ مادة، أو انتظار نضج.

ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات، وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس: بأن الماء البارد ينفع فيها، قال فى المقالة العاشرة من كتاب «حلية البرء» ولو أن رجلا شابا حسن اللحم، خصب البدن فى وقت القيظ، وفى وقت منتهى الحمي، وليس فى أحشائه ورم، استحم بماء بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك، قال: ونحن نأمر بذلك بلا توقف.

وقال الرازى فى «كتابه الكبير» إذا كانت القوة قوية، والحمى حادة جداً. والنضج بين ولا ورم فى الجوف، ولافتق، ينفع الماء البارد شرباً، وإذا كان العليل خصب البدن والزمان حار، وكان معتاد الاستعمال الماء البارد من خارج، فليوذن فيه (١).

وقوله ﷺ (الحمى من فيح جهنم) هى شدة لهبها، وانتشارها، وفيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد عليها، ويعبتروا بها، ثم إن الله سبحانه قدر ظهورها بأسباب تقتضيها، كما أنا الروح والفرح والسرور واللذة من نعيم الجنة أظهرها الله فى هذه الدار عبرة ودلالة، وقدر ظهورها بأسباب توجيها ليعتبر العباد فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الحمى حظ المؤمن من النار (٢)».

---

(١) زاد المعاد جـ٤/٢٠.

(٢) كشف الأستار: كتاب الجنائز: باب خط ذنوب المريض وإجراء عملة عليه جـ١/٣٦٤ ط مؤسسة الرسالة بيروت، وقال ابن حجر: اسناده حسن جـ١٠/١٨٥.

فهى تكفر الخطايا وترفع الدرجات فهىَ تدخل في كل عضو من الأعضاء والمفاصل وعدتها في الإنسان ثلاثمائة وستون مفْصلاً، فتكفر عنه بعدد كل مفصل ففى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺأن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أُمٌ المسيِّب فقال: مالك يا أمٌ السائب أو يا أم المسيب تُزَفْزِفينَ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: «لا تَسُبىَّ الحمىٌ فإنها تذهب خطايا بنى أدم كما يذهبُ الكيرُ خبثَ الحديد (١)».

الثاني:أن يكون المراد التشبية، فشبه شدة الحمي ولهبها بفيح جهنم، وشبه شدة الحر به أيضاً تنبيها للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها (٢).

علم الأطباء في الحمى وعلاجها.

لقد تبين أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التي قد تصل إلى ٤١ درجة مئوية والتى وصفها الرسول ﷺ بأنها (من فيح جهنم) أن المركز المعظم للحرارة بالمخ قد يصاب بالفشل فى تنظيم حرارة الجسم، وقد يؤدى ذلك إلى هياج شديد ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سبباً فى الوفاة .... ولذا كان لزاما تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فوراً، حتي ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ، وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض فى ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج، حيث إنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم إلي حالته الطبيعية بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ، ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما.

---

(١) مسلم بشرح النووى: كتاب البر والصلة والاداب جـ١٦/١٣١ (تزفزفينَ) أى ترعدين.

(٢) زاد المعاد جـ٤/٢١.

وقـد ثبت علمـيـاً أنه عند الإصـابة بالحـمى تزيد نسـبـة مـادة (الانترفـيرون) لدرجة كبيرة كمـا ثبت أن هذه المادة التى تفـرزها خـلايا الدم البيـضـاء تستطيع القـضـاء على الفيـروسـات التى هـاجمت الجسم، وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية ... فضلاً عن ذلك فقد ثبت أن مـادة (الانترفيرون) التى تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض، وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها، وبالتالى حماية الجسم من ظهور أى خلايا سرطانية يمكن أن تؤدى إلى إصابة الجسم بمرض السرطان.

وقال بعض الأطباء: إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها الحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير مثل مرض الروماتزم المفصلى التى تتصلب فيه المفاصل، وتصبح غير قادرة علي التحرك، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي فى مثل هذه الحالات الحمى الصناعية، أى إيجاد حالة حمى فى المريض بحقنه بمواد معينة (١).

وقال الدكتور/ محمد على البار إذا كانت الحرارة فوق الأربعين فإن الحرارة لا يمكن أن تنتقل من الجسم إلي الهواء المحيط به، ولابد من استخدام الماء البارد المثلج فى هذه الحالات قدر الإمكان.

ثم ذكر بعض أسباب الحمى ومنها الانفلونزا، ونزلات البرد وسببها الفيروسات ومن البكتيريا حمى التيفوئيد .. الخ إلى أن قال وأسباب الحمى كثيرة ثم قال: وجميع أسباب الحميات الآخرى ينبغى أن يتجه العلاج فيها إلى معالجة السبب، والمعالجة بالكمادات الباردة، والماء المثلج، والثلج نوع هام من العلاج للأعراض ذاتها، ثم نقل عن الكحال بن

(١) الاعجاز العلمى فى الإسلام ص٢٨.

طرخان قوله: «ويجوز استعمال الماء البارد في سائر الحميات الأخرى» وذكر الدكتور محمود ناظم نسيم فى كتابه الطب النبوى والعلم الحديث رداً على القائلين بأن المراد بهذا الحديث من أقسام الحميات، ما كان عن حر الشمس فإن وقوعها بالحجاز كثير قال: إن التبريد بالماء يستعمل فى الحميات الإنتانية العامة، وليس مراد النبى فى وصيته بتبريد الحمي بالماء محصوراً فى معالجة حمى ضربة الشمس.

ثم ذكر أن الطب الحديث لا يستثنى إلا الحصبة، والجدرى، والحماق الجدرى المائى، والحمى الرئوية (المتسببة عن هجمة الروماتزم الحادة) ولا في البرداء وقت العرواء.

ثم ذكر أهم طرق التبريد بالماء – المستعملة في الطب الحديث – ومنها:–

١) اللفُّ بالكمادات الباردة.

٢) الحمام البارد.

٣) مغطس ماء بارد.

٤) التبريد فى ضربة الجسم(١).

ومن هنا ندرك حكمة رسول اللهﷺ فى الحديث الشريف وما أشار به من وصفة طبية أخذ بها في العلم الحديث، وأشار بها كبار الأطباء على مرضاهم وأعطت نتائج طبية نلمسها فى حياتنا اليومية، ولذا فقد أصبح الحديث من القواعد العلمية الصحية التى يؤكد عليها الأطباء، أفلا يعد ذلك إعجازاً علمياً ألهم الله عز وجل به رسوله ﷺ.

(١) رسالة دكتوراه في المفهم فى حل ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم جـ١/١٤٦ جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض.

داء الاستسقاء وعلاجه:

وى البخارى بسنده عن أنس ﷺ قال: قدم أناس من عُكلٍ - أو عُرينة - فأجتووُ المدنية، فأمرهم النبى ﷺ بلقاحٍ، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا. فلما صحُّوا قتلوا راعىَ النبى ﷺ، واستاقوا النعم، فجاء الخبر أول النهار، فبعث فى آثارهم، فلما ارتفع النهار جيىء بهم، فأمَرَ فقطع أيديَهم وأرجلَهم وسمَّرَتْ أعينُهم وألقوا فى الحرَّة يستسقون فلا يُسقونَ.

قال أبو قلابةَ: فهؤلاء سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله (١).

ما يتضمنه الحديث

(من عكل أو عرينة) بالشك وفى أخرى ٠أن رهطا من عكل) وفى ثالثة (أن ناسا من عرينة) بدون شك وفى المغازى (أن ناسا من عكل وعرينة) بالواو العاطفة وهو الصواب.

(عُكْل) بضم المهملة وإسكان الكاف قبيلة من تيم الرباب.

(عرينة) بالعين والراء المهملتين والنون مصغراً حى من قضاعة وحى من بجيلة.

فهما قبيلتان مختلفتان (عُكْل) من عدنان و (عُرَيْنة) من قحطان؛ وكان قدومهم سنة ست من الهجرة، وعند البخارى ومسلم، (أن رهطا من عُكْل ثمانية) ولا يخالف هذا العد ما رواه أبو عوانة والطبري من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: كانوا أربعة من عرينة

(١) البخارى: كتاب الوضوء: باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها فتح جـ١/٤٠٠ وفى كتاب الطب: باب الدواء بألبان الإبل فتح جـ١٠/١٤٨ وباب الدواء بأبوال الإبل ص١٤٩ ومسلم بشرح النووى: كتاب القسامة: باب حكم المحاربين والمرتدين جـ١١/١٥٣.

وثلاثة من عكل، لاحتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين، وكان من أتباعهم فلم ينسب إليهم وعدهم سبعة (١).

(فاجتووْا المدينة) أى أصابهم الجوى: وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، ويقال: اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة (٢). أ.هـ

ووقع عند مسلم من رواية معاوية بن قرة عن أنس «وقع بالمدينة المُوم» بضم الميم وسكون الواو قال: وهو البرسام، أى بكسر الموحدة سرياني معرب أطلق علي اختلال العقل وعلى ورم الرأس وورم الصدر، والمراد هنا الأخير فعند أبى عوانة من رواية همام عن قتادة عن أنس في هذه القصة «فعظمت بطونهم» قال ابن القيم: والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء ما رواه مسلم في صحيحه .

في هذا الحديث أنهم قالوا: إنا اجتوينا المدينة، فعظمت بطوننا... الخ (٣)».

(بلقاح) هو جمع لَقحة بكسر اللام وفتحها وهى النوق ذوات الألبان يقال لها ذلك إلي ثلاثة أشهر ثم هى لبون، فأمرهم النبى ﷺ أن يلحقوا بها (٤).

(فَسَمَّر أعينَهم) أى أحمى لهم مَسامير الحديد ثم كحلهم بها(٥).

(١) فتح البارى جـ١/٢٠٤ بتصرف.

(٢) النهاية فى غريب الحديث ج١/٣١٨ مادة جوا.

(٣) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/٣٢ ولم أقف على الحديث عند مسلم كما أشار، لكن ابن حجر أشار أنه عند أبى عوانة فتأمل؟.

(٤) فتح البارى جـ١٠/٤٠٣ وشرح النووى جـ١١/١٥٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث جـ٢/٣٩٩ مادة سمر.

وفى رواية (سمل أعينهم) أى فقأها بحديدة محماة أو غيرها، وقيل هو فقؤها بالشوك (١).

(وألقوا فى الحرة) والحرة هى أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة، وإنما ألقوا فيها لأنها قرب المكان الذى فعلوا فيه ما فعلوا.

وقصة العرنيين أنهم قدموا المدينة وأسلموا واستوخموها وسقمت أجسامهم فأمرهم النبى ﷺ بالخروج إلى إبل الصدقة فخرجوا فصحوا فقتلوا الراعى وارتدوا عن الإسلام، واستاقوا النعم، فجاء الخبر إلي رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا.

ما يستنبط من الحديث من أحكام

١) طهارة أبوال مأكول اللحم من الإبل وغيرها، وهو الصواب.

قال الشوكاني: والظاهر طهارة الأبوال والأزبال من كل حيوان يؤكل لحمه متمسكاً واستصحابا بالبراءة الأصلية والنجاسة حكم شرعى ناقل عن الحكم الذي يقتضيه الأصل والبراءة فلا يقبل قول مدعيها إلا بدليل يصلح للنقل عنهما ولم نجد للقائلين بالنجاسة دليلاً وغاية ما جاءوا به من حديث صاحب القبرين (أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله) والحديث مع كونه مرادا به الخصوص فعموم ظنى أن الدلالة لا تنهض على معارضة تلك الأدلة الدالة على الطهارة (٢).أ.هـ.

---

(١) المرجع السابق ص٢-٤ مادة سمل.

(٢) نيل الأوطار الشوكانى جـ١/ ٥٠ ط المكتبة التوفيقية – القاهرة.

ولو كانت الأبوال من الإبل ونحوها بجسة لأمرهم الرسولﷺ بغسل أفواههم عنها، وأوضح لهم حكمها، وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز كما علم في الأصول.

٢) جواز التطبيب وطب كل جسد بما اعتاده، ولذا فقد أفرد الإمام البخارى بابا لهذا الحديث وترجم عليه: الدواد بأبوال الإبل وألبانها.

٣) قتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة إن قلنا إن قتلهم كان قصاصاً، وفيه المماثلة في القصاص وليس ذلك في المثلة المنهي عنها.

٤) أن الجنايات إذا تعددت، تغلظت عقوبتها، فإن هؤلاء ارتدوا بعد إسلامهم، وقتلوا النفس، ومثلوا بالمقتول، وأخذوا المال، وجاهروا بالمحاربة.

٥) إذا اجتمع في حق الجاني حد وقصاص استوفيا معاً، فإن النبيﷺ قطع أيديهم وأرجلهم حدا على حرابهم، وقتلهم لقتلهم الراعي.

٦) قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حدا، فلا يسقطه العفو، ولا تعتبر فيه المكافأة، وهذا مذهب أهل المدينة وأحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد واختاره الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالي(١).

أنواع الاستسقاء وكيفية علاج كل نوع

أورد صاحب كتاب جمع المنافع في الطب القديم (حديث العرنيين) ونقل في أنواع الاستسقاء والوصفات الطبية النافعة لكل

---

(١) فتح الباري جـ١/٤٠٧، وعمدة القاري، شرح صحيح البخارى ج٢/٦٤٩ وما بعدها وزاد المعاد ج٤/٣٧.

نوع بإذن الله تعالى كلاماً مفيداً فقال: وأنواعه ثلاثة:

طبلى، ولحمى، وزقي، فعلامة الطبلى منه الانتفاخ في الأمعاء والمعدة وفي جميع البطن فإذا ضربت بطن صاحبك بيدك سمعت له صوتاً كصوت الطبل، وتبرز فيه السرة بروزاً كثيراً، مع قلة لحم الأطراف وضعفها.

وصفة اللحمى منه أن ترم جميع الأعضاء وتكون رخوة وإذا غمز فيها بالأصبع بقى فيها أثر الغمز غائراً وإذا اضطجع على جنبه تحول الورم والماء إليه.

وصفة الزقى أن يكون البطن كالزِّق مملوءً ماءً كلما تحرك سمعت له صوت خضخضة ولا تنتفخ الأطراف بل تبقى ضعيفة والزق هو الجلد الذى يمخض فيه اللبن، قال تس، وسبب الجميع زيادة البلغم وبعد زيادته يستحيل إلى دم وأهون أنواعه علاجاً هو اللحمى ثم الطبلى وأصعبها الزقى.

وقيل: الطبلى أهون من اللحمي، وأما رداءة الزقي فحاصلة باتفاق . أ.هـ قال محمد بيب بن سيد: اعلم أن الزقى هو الذى يشتد ورم بطن صاحبه مع رقة الجلد وتظهر فيه عروق خضر ولا شيء فى علاج جميع الأنواع كلبن الإبل مع بولها وفيه حديث صحيح (مراده حديث العرنيين).

ووصف بعضهم كيفية ذلك بأن يشرب اللبن من تحت الضرع كل يوم ويترك ما سواه فإنه نافع مجرب.

وقال تد: إنه يشرب يوما ويترك يوماً لأن لا تألفه الطبيعة وكذلك غيره من الأدوية، وقال بعضهم: إن مدة شربه تكون أربعين يوماً لا يستعمل فيها طعاماً ولا شراباً غيره ويشرب اللبن المذكور ثلاث مرات في اليوم عند الصباح وعند الظهر وعند

العصر وأقل شيء في مدة استعماله عشرون يوماً فهو دواء جيد للأنواع الثلاثة.

وشرب البول يكون في أول النهار وقت الصبح فتارة يجعل عليه ويشرب وتارة يشرب وحده ثم يعطي ظهره للشمس ويترك الشراب حتى وقت الضحي الأعلي وبعد ذلك إلى الزوال إن قدر علي ذلك فهو أقوى لتأثير الدواء إن شاء الله.

وقال بعض الحكماء: سل صاحب الاستسقاء فإن كان حدوثه من حمي الثلث أو غيرها من الحميات معالجة فإن علاجه ممكن وإن لم يكن حدوثه من الحميات بل كان من مرض في المعدة أو كان يرمي الدم أو النخامة قبل ثم جاء الاستسقاء بعد ذلك فلا علاج له (١) أ.هـ تس.

ثم ذكر علاجات أخرى لذلك الداء العضال ونقتصر هنا على ما ذكره الرسول ﷺ ففيه خير كثير ونفع عميم حتى قال الطبيب الكبير/ محمد بيب وبول الفصيل هو أفضل الأبوال كما في الحديث، وإلا فالبول كله نافع لهذه العلة مرغب فيه لأهلها.

وقال ابن القيم: (اجتووا) والجوى: داء من أدواء الجوف والاستسقاء: مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربوا لها إما الأعضاء الظاهرة كلها، وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط، وأقسامه ثلاثة: لحمي، وهو أصعبها، وزقي، وطبلي.

ولما كانت الأدوية المحتاج إليها في علاجه هي الأدوية الجالية

---

(١) جمع المنافع في الطب القديم ص٣٥٤ وما بعدها بتصرف يسير.

التى فيها إطلاق معتدل، وإدرار بحسب الحاجة، فإن فى لبن اللقاح جلاءً وتليينا، وإدراراً وتلطيفاً، وتفتيحاً السَدد إذ كان أكثر رعيها الشيح، والقيصوم، والبابونج، والأقحوان، والإنخر، وغير ذلك من الأدوية النافعة للإستسقاء.

وهذا المرض لا يكون إلا مع آفــة فى الكبــد خــاصــة، أو مع مشاركة، وأكثرها عن السدد فيها ولبن اللقاح العربية نافع من السدد، لما فيه من التفتيح والمنافع المذكورة.

قال الرازى: لبن اللّقاح يشفي أوجاعَ الكبد، وفساد المزاج.

وقال الاسرائيلي: لبن اللّقاح أرق الألبان، وأكثرها مائية وحدّة، وأقلها غذاء. فقد تبين أن لبن الناقة نسبة البروتين فيه ٩٨ر٢٪ بالوزن ٢٠ وهى أقل نسبة موجودة في جميع أنواع الألبان ونسبة الدهن فيه ٣٨ . ٥٪ وهى أعلى نسبة موجودة في جميع أنواع الألبان الأخرى ونسبة (كربوهيدرات) فيه ٢٦ر٣٪ وهى أقل نسبة من الجميع وأملاح معدنية ٧ر٠٪ وهي نسبة أقل أيضاً، وليست فيه نسبة كثافة نوعية وكذلك نسبة الماء فيه أقل من غيره فهى ٦ر٨٧٪ .

ولهذا قــال الرازى:فلذلك صـار أقـواها على تلطيف الفضـول، وإطلاق البطن، وتفتيح السدد، ويدل لذلك ملوحته اليسيرة التى فيه لإفراط حرارة حيوانية بالطبع، ولذلك صـار أخصُّ الألبان بنظرية الكبد، وتفتح سددها، وتحليل صلابة الطحال إذا كان حديثاً، والنفع من الإستسقاء خاصة إذا استعمل لحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل – ولد الناقة، وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد ملوحته، وتقطيعه الفضول، وإطلاقه البطن، فـإن تعـذر انحـداره وإطلاقــه البطن، وجب أن يُطلق بدواء مسهل.

قال صاحب «القانون» في الطب الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا.

ولا يلتفت إلى ما يقال: من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء قال: واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق، وما فيه من خاصية، وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنساناً أقام عليه بدل الماء والطعام شفيَ به، وقد جُرِّب ذلك في قوم دفعوا إلى بلاد العرب، فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعُوفوا، وأنفع الأبوال الجمل الأعرابي، وهو النجيب[1].

ويعتبر اللبن غذاءً وعلاجاً لمرض الكبد حيث يتكون اللبن من مادة «اللاكتوز» أي نشا اللبن الذي لا يمتص، وإنما يتحلل وينتج عن حامض يمنع امتصاص بعض المواد الأخرى بالأمعاء التي قد تكون سبباً في حدوث الغيبوبة الكبدية، لذلك يعد اللبن وقاية لمريض الكبد من حدوث الغيبوبة الكبدية، وخاصة إذا كان مريض الكبد يحدث له إسهال نتيجة تناول اللبن.

وقد تبين أيضاً أن المواد البروتينية الموجودة باللبن وما بها من أحماض أمينية لا تتوافر إلا في البروتين الحيواني وما بها من خاصية عظيمة لتوافر مادة «الأمونيا» جعل لبروتين اللبن ميزة دون سواه... وقد ثبت أن الامتناع عن تناول المواد البروتينية لمدة عشرة أيام يودي إلى اضطراب ميزان بروتينات الدم، ويؤدي لاضطراب الهرمونات والصحة العامة، ومما هو جدير بالذكر أن اللبن يمتاز أيضاً بأن المواد الدهنية فيه تكون على هيأة ذرات معلقة سهلة الامتصاص.

---

(١) زاد المعاد ج٤/٣٦ بتصرف ومع زيادات عليه.

ومعني هذا أن اللبن يهضم دون إرهاق.

ولقد أثبت الطب الحديث واشتهر بين الناس أن اللبن هو الوحيد من بين الأغذية الذى يحتوى علي جميع المواد الغذائية(١). وقد عرفه العرب من قديم ولم ينتبه إليه الغرب ولا إلى أهميته إلا بعد الحروب الصليبية، وأصبح الغربيون الان يستهلكون منه أضعاف ما يستهلكه العرب، فلنرجع إلى الوراء أربعة عشر قرناً ولنتذكر قول الرسول ﷺ فيه للعرنيين وأيضاً نستذكر ما رواه أبو دواد بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: «كنت في بيت ميمونة، فدخل رسول الله ﷺ ومعه خالد بن الوليد فجاؤوا بضبين مشويين على ثمامتين فتبزق رسول الله ﷺ، فقال: خالد إخالك تقذره يارسول الله؟ فقال: أجل ثم أتى رسول الله بلبن فشرب، فقال رسول الله: ﷺ إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، وإذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن» قال أبو دواد: هذا لفظ مسدد(٢).

---

(١) الاعجاز العلمي في السنة ص٧٨-٨٠ بتصرف.

(٢) أبو دواد فى السنن: الأشربة: باب ما يقول إذا شرب اللبن جـ٣/٣٤٤ والترمذي فى سننه: كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا أكل طعامنا جـ٩/٣٢٧: قال أبو عيسى: حديث حسن.

مرض الكَلَب

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالي بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «طهورُ إناء أحدِكم إذا ولغَ فيه الكلب أن يغسلَهُ سبعَ مراتٍ أولاهن بالتراب[1]».

ما يتضمنه الحديث

قوله ﷺ (إذا ولغ) أي شرب فيه بأطراف لسانه، وحكى أبو زيد: ولغَ الكلب بشرابنا وفي شرابنا ومن شرابنا ويقال أولغتُ الكلب إذا جعلتَ له ماء أو شيئاً يَوْلَغُ فيه[2].

وفي الموطأ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات[3]».

قال الشيخ بدر الدين العيني: المشهور عن أبي هريرة من رواية جمهور أصحابه عنه «إذا ولغ» شرب، وولغ واللفظان مرويان عن أفصح البلغاء، وهما متقاربان في المعنى، فلا حاجة إلى التكلف في تأويل أحدهما وتحميل اللفظ ما لا يحتمله [4].

(أن يغسله) أي الإناء (سبع مرات أولاهن بالتراب) وفي رواية لمسلم (فليهرقه) عن أبي هريرة.

---

(١) مسلم بشرح النووي: كتاب الطهارة: باب ولوغ الكلب جـ٣/١٨٢.

وانظر الحديث في شرح النووي ص١٨٢ – ١٨٦ وفتح الباري جـ١/٢٢٠ – ٢٢٣.

ونيل الأوطار جـ١/٣٣. ٣٤ وتحفة الأحوذي جـ١/٢٦٦ – ٢٧٢.

وسبل السلام جـ١/٢٨ – ٣٠ ط دار الحديث – القاهرة.

(٢) النهاية في غريب الحديث جـ٥/٢٢٦ ولسان العرب جـ١٥/٣٩٧ مادة ولغ.

(٣) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: باب جامع الوضوء جـ١/٥٥.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١/٤٨٦.

وفي رواية الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: يغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات: أولاهن، أو أخراهن بالتراب، وإذا ولغت فيه الهرةُ غسل مرة[1] ».

بيان الأحكام المستنبطة:

قال الدكتور وهبه الزحيلي: «سؤر الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما: نجس لقوله ﷺ في الكلب «إذا ولغ الكلب في الإناء ... الخ الحديث» والخنزير كالكلب، لأنه أسوأ حالاً منه، وأما المتولد فحكمه حكم أصله، لأنه يتبع أخسهما في النجاسة...

وهذا المذهب هو الراجح، أما قول المالكية بالغسل تعبداً فلا يفهم، لأن الأصل وجوب الغسل من النجاسة، بدليل سائر أنواع الغسل، ولو كان الأمر بالغسل تعبد لما أمر النبي ﷺ بإراقة الماء، ولما اختص الغسل بموضع الولوغ، لعموم اللفظ في الإناء كله[2] .

الحكم الثاني: أنه دل الحديث على وجوب سبع غسلات للإناء وهو واضح، ومن قال: لا تجب السبع بل ولوغ الكلب كغيره من النجاسات والتسبيع ندب استدل علي ذلك بما رواه الطحاوي والدار قطني عن أبي هريرة قال: إذا ولغ الكلب في الإناء فاهرقه، ثم اغسله ثلاث مرات. هذا موقوف قال الدار قطني: ولم يروه هكذا غير عبد الملك عن عطاء[3] .

قال الصنعاني في شرح بلوغ المرام، وأجيب عن هذا بأن العمل بما رواه عن النبي ﷺ لا بما رآه وأفتي به[4] .

---

(١) سنن الترمذي: أبواب الطهارة: باب ما جاء في سؤر الكلب تحفة جـ١/٢٦٦ وقال: حسن صحيح.

(٢) الفقة الإسلامي ج١/٢٨٦.

(٣) سنن الدار قطني: كتاب الطهارة: باب ولوغ الكلب في الإناء جـ١/٦٦ط المحاسن القاهرة.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام جـ١/٢٩.

وقال العيني: قال البيهقي: تفرد به عبد الملك من أصحاب عطاء، ثم عطاء من أصحاب أبي هريرة والحفاظ الثقات من أصحاب عطاء وأصحاب أبي هريرة يروونه: سبع مرات، وفي ذلك دلالة علي خطأ رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن أبى هريرة فى الثلاث، وعبد الملك لا يقبل منه ما يخالف الثقات، ولمخالفته أهل الحفظ والثقة فى بعض رواياته تركه شعبة بن الحجاج، ولم يحتج به البخارى فى صحيحه[1] .

وبأنه معارض بما روي عنه وأيضاً أنه أفتى بالغسل سبعاً وهي أرجح سنداً وترجح أيضاً بأنها توافق الرواية المرفوعة، وبما روى عنه ﷺ أنه قال في الكلب يلغ فى الإناء «يغسل ثلاثا أو خمسا أو سبعا»[2] قال الدار قطني: تفرد به عبد الوهاب بن الضحاك، عن إسماعيل بن عياش وهو متروك الحديث، وغيره يرويه عن إسماعيل بهذا الإسناد فاغسلوه سبعا، وهو الصواب.

وأيضاً فالحديث يدل علي عدم تعيين السبع وأنه مخير ولا تخيير فى معين فضلاً عن أنه ضعيف لا تقوم به حجة.

الحكم الثالث:

وجوب الترتيب للإناء لثبوته فى الحديث، ثم الحديث يدل على تعيين التراب، وأنه في الغسلة الأولي. ومن أوجه: قال: لا فرق بين أن يخلط الماء بالتراب حتى يتكدر، أو يطرح التراب على الماء.

---

(١) عمدة القارىء ج١/٤٨٩ .

(٢) سنن الدار قطني جـ١/٦٥.

فإن قيل إن رواية التراب مضطربة، لورودها عند مسلم بلفظ (أولاهن بالتراب) وفى رواية الترمذى (أولاهن أو أخراهن)[1] وفى كشف الأستار عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (إذا ولغ الكلب في إناء أحد فليغسله سبع مرات، أحسبه قال: إحداهن بالتراب)[2] وفى رواية مسلم «سبع مرات وعفروه الثامنة بالتراب» والإضطراب قادح فيجب الإطراح لها قال النووى: «عفروه الثامنة بالتراب فمذهبنا ومذهب الجماهير، إن المراد، اغسلوه سبعاً واحدة منهن بتراب مع الماء، فكان التراب قائماً مقام غسله، فسميت ثامنة».

وأجيب عنه بأنه لا يكون الاضطراب قادحاً إلا مع استواء الروايات، وليس ذلك هنا كذلك فإن رواية (أولاهن) أرجح لكثرة رواتها، وبإخراج الشيخين لها، وذلك من وجوه الترجيح عند التعارض وألفاظ الروايات التي عورضت بها (أولاهن) لا تقاومها، وبيان ذلك أن رواية (أخراهن) منفردة لا توجد في شيء من كتب الحديث مسندة، ورواية (السابعة بالتراب) اختلف فيها فلا تقاوم رواية (أولاهن بالتراب)، ورواية إحداهن بالحاء والدال المهملتين ليست في الأمهات بل رواها البزار فعلى صحتها فهى مطلقة يجب حملها علي المقيدة، ورواية (أولاهن أو أخراهن) بالتخيير إن كان ذلك من الراوى فهو شك منه فيرجع إلي الترجيح، ورواية (أولاهن) أرجح وإن كان من كلامه ﷺ فهو تخيير منه ﷺ ويرجع إلي ترجيح أولاهن لثبوتها فقط عند الشيخين[3] .

---

(١) تقدمت في ص٨١ وهى فى مسند الإمام الشافعى: باب ما خرج من كتاب الوضوء ص٨ ط دار الريان للتراث.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار: كتاب الطهارة: باب فى سؤر الكلب جـ١/١٤٥ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ١/٢٨٧ ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ البزار.

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام ج١/٣٠.

الرابع:

فيه نجاسة الإناء ولا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره، ولا بين الكلب البدوي والحضري لعموم اللفظ، وللمالكية فيه أربعة أقوال: طهارته، نجاسته، وطهارة سؤر المأذون في اتخاذه دون غيره، والفرق بين الحضري والبدوي، وقال الرافعي في (شرحه الكبير وعند مالك لا يُغسل في غير الولوغ، لأن الكلب طاهر عنده، والغسل في الولوغ تعبدي، وقال الخطابي: إذا ثبت أن لسانه الذي يتناول به الماء نجس علم أن سائر أجزائه في النجاسة بمثابة لسانه، فأي جزء من بدنه مسه وجب تطهيره[1].

الخامس:

أنه لا يجوز بيع الكلب ولو كان معلماً للنهي الوارد فيه ففي الحديث عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ «نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن[2]».

وفيه أيضاً حديث أبي جحيفة «نهي عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب الأمة[3]» قال ابن حجر: وظاهر النهي تحريم بيعه، وهو عام في كل كلب معلماً كان أو غيره فما يجوّز اقتناؤه أو لا يجوز، ومن لازم ذلك أن لا قيمة على متلفه، ولذلك قال الجمهور وللإمام مالك فيه ثلاثة أقوال: الأول: تحريم بيعة ولا قيمة على متلفه وهو كقول الجمهور، الثاني: لا يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه، الثالث: يجوز وتجب القيمة، وهو كقول أبي حنيفة، وقال عطاء: يجوز بيع كلب الصيد دون غيره والصواب ما قاله الجمهور وهو ما يدل عليه صريح الأحاديث الصحيحة

---

(١) عمدة القاري، شرح صحيح البخاري جـ٢/٤٨٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب الكلب فتح جـ٤/٤٩٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب موكل الربا... الخ فتح جـ٤/٣٦٨.

ومنها أيضاً الحديث الذى رواه أبو دواد بسنده عن ابن عباس ﷺقال: نهي سول الله عن ثمن (بيع) الكلب، وإن جاء يطلب ثمن الكلب فاملأ كفَّهُ ترابا[1]».

قال ابن حجر: إسناده صحيح.

وقال الخطابي: دليل على أن لا قيمة للكلب إذا تلف ولا يجب فيه عوض، ولا ينعقد بيعه

حكم اقتناء الكلاب:

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: من اقتني كلباً إلا كلب صيد أو ما شية نقص من أجره كل يوم قيراطان[2]» وفي رواية (قيراط) الحديث دليل على المنع من اتخاذ الكلاب واقتنائها وإمساكها إلا ما استثناه من الثلاث، ونقص القيراطان أو القيراط، عقوبة فى اتخاذها، والاختلاف في القيراط أو القيراطين بحسب نوع الكلب المقتنى من حيث كثرة الأذي وقلته، وهذا يتناسب مع علة الحكم، فإن علة التحريم أن بقاءها فى البيت يسبب ترويع الناس، وامتناع دخول الملائكة الذين دخولهم يقرب إلي فعل الطاعات ويبعد عن فعل المعصية، وبعدهم سبب لضد ذلك، ولتنجيسها الأواني[3].

---

(١) سنن أبي دواد: كتاب الإجازة: باب فى ثمن الخمر والميتة جـ٢/٢٦٠ وانظر فتح البارى جـ٤ /٤٩٨ .

(٢) مسلم بشرح النووي: كتاب المساقاة والمزارعة: باب الأمر بقتل الكلاب ... الخ جـ١٠/٢٣٧ وسنن أبي دواد/ كتاب الصيد: باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره جـ٢/٢٥ عن أبي هريرة وانظر كلام صاحب ضحى الإسلام فى أثناء الكلام على النقد الداخلي والخارجي ومثل بهذا الحديث ورد الدكتور/ محمد أبو شهبة عليه فى كتابه الدفاع عن السنة من ص٢٦٥ - ٢٧٠.

(٣) شرح النووى علي صحيح مسلم جـ١٠/٢٣٩

حكم قتل الكلاب:

أجمع العلماء على قتل الكَلْبُ العقور، واختلفوا في قتل ما لا ضرر فيه فقال إمام الحرمين: أمر النبي ﷺ أولاً بقتلها كلها ثم نسخ ذلك ونهي عن قتلها إلا الأسود البهيم ثم استقر الشرع على النهى عن قتل جميع الكلاب التي لا ضرر فيها سواء الأسود وغيره ويستدل لما ذكره بحديث ابن المغفل قال: أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال: ما بالهم وبال الكلاب ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم(١) .

ولكثرة انتشار أضراره، واعتبار فمها ولعابها نجساً، وكثير منها ضال، وعقور أصدرت جهات حكومية مكافحتها بالقتل وتجميعها بمكان بعيد وإحراقها حفاظا على صحة البيئة الاسلامية، ونظافتها وصحة المجتمع وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر (بالطب الوقائي) ولخطورة لعاب الكلب الذي يؤدي إلى قتل الإنسان أمر النبي ﷺ بقتله إذا أضر بالإنسان والضرر منه محقق .

شبهة حول الحديث والرد عليها:

قال المشككون في السنة: إن حديث (إذا ولغ الكلب ... الخ الحديث).

متعارض مع العقل والعلم.

واحتجوا بالعقل وحده فقالوا: إن غسل الإناء سبع مرات بالماء كفيل أن ينظفه... أما أن يغسل بالتراب، فكيف ينظف التراب؟ إن شأن التراب أن يزيد الاتساخ، لا أن يجلب النظافة.

---

(١) ٢) مسلم بشرح النووي: كتاب المساقاة والمزارعة: باب الأمر بقتل الكلاب ... الخ جـ١٠/٢٣٧ وسنن أبي دواد/ كتاب الصيد: باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره جـ٣/ ٢٥ عن أبي هريرة وانظر كلام صاحب ضحى الإسلام في أثناء الكلام على النقد الداخلي والخارجي ومثل بهذا الحديث ورد الدكتور/ محمد أبو شهبة عليه في كتابه الدفاع عن السنة من ص٢٦٥ - ٢٧٠.

قال الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة «قد يكون متن الحديث من الأخبار التي كشف العلم عن مساتيرها واعتبرت من المعجزات النبوية التي جاءت الأيام بتصديقها وذلك مثل الحديث الصحيح (إذا ولغ الكلب .... الخ الحديث) فقد أثبت بعض الأطباء أثر التراب الفعال في قتل وإزالة الميكروب المتخلف عن سؤر الكلب، علي حين كان بعض المارقين يعتبرون مثل هذا مجازفة وتعتنا في التشريع، وأما المؤمنون فكانوا يعتبرونه من قبيل التعبد حين خفيت عنهم الحكمة.

أرأيت أيها المنصف لو أن العلماء المحدثين تمسكوا بالنظر السطحي وتسرعوا في الحكم ببطلان هذا الحديث وأمثاله مما خفي وجه الحكمة فيه ثم ظهرت بعد ذلك الحكمة واضحة، ألا يكون ذلك جهالة في البحث، وقصوراً في النظر واجحافا بحق صاحب الرسالة ﷺ؟ ثم ألا ترى معي أن المحدثين كانوا على حق في المسلك الذي انتهجوه[1]؟ أ.هـ.

حقاً لأن للعقل حدوده التي لا يتعداها وعلى العلم أن يبحث، ليكشف ويتحقق من صحة الحديث، لا أن يرفضه بمجرد النظر العابر بحجة أن العقل لا يستسيغه.

قال محمد كامل عبد الصمد: وقد تحقق الباحثون من ذلك فتبينوا صحة ما ورد في حديث رسول الله وقالوا: بأن جراثيم الكلب لا يمكن أن تزول إلا بالتراب مهما غسلت بغيره، وقد ثبت ذلك من تجارب عديدة أجريت في حقول معملية في بلاد لا تدين بالإسلام[2].

---

(١) الدفاع عن السنة ورد شبة المستشرقين ص٤٥ ط دار الجيل القاهرة.

(٢) الاعجاز العلمي في الإسلام ص١٢.

أضرار الكلب عند الأطباء

أفاض العلماء الأطباء حديثاً عن أضرار الكلب الكثيرة... وهذا يؤيد ما جاء في حديث رسول الله ﷺ (إهراق الماء) وعدم استعمال الماءَ الذي شرب منه الكلب، وذلك بعد أن قررت الأبحاث العلمية أن الكلب ينقل إلى الإنسان كثيراً من الأمراض منها الجرب، وداء الكلب وهو داء خطير.

ومنها المرض الشديد الخطورة المسمى (كسيت ايداتيك) هذا المرض الذي يتولد بدخول بيوض الدودة المسماة (تيتاالكنياكوكس) وتوجد هذه الدودة بكثرة فى أمعاء الكلب، يزرعها في كل ناحية بواسطة برازة فى البيوت، وفي كل مكان يتردد عليه.

وينتقل هذا المرض إلي الإنسان بلمس الكلب وعاء الطعام أو بولوغه من إناء الماء، لأن أنف الكلب وفمه وما حوله منابع الداء.

وقد أظهرت الدراسات الوبائية والحيوانية مدي خطورة لعاب الكلب الذى يؤدى إلي الفتك بالإنسان، ويعتبر هذا المرض القاتل من الأمراض المتوطنة في البلاد التي تحرص على اقتناء الكلاب، الأمر الذي نهي الرسول ﷺ عنه في قوله .. (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم[1]) وتأتى العدوي من الكلب عند ملاطفته أو مداعبته دون الاهتمام بحماية الجلد من لعابه ... ويقدر عدد من يموتون في الهند وحدها نتيجة لمرض الكلب بأكثر من خمسة عشر ألفا سنويا.

فى حين تصل الوفيات فى سيرلانكا إلي حوالي ثلاثين شخصاً من كل مليون نسبة من مجموع السكان.

---

(١) سنن أبى دواد: كتاب الصيد: باب فى اتخاذ الكلب للصيد وغيره جـ٣/٢٥ عن عبد الله بن مغفل ﷺ .

وفي الفلبين اثنى عشر من كل مليون... ويقدر من يتعرض إلى الإصابة نتيجة العض أو الخدوش بالملايين، حيث يتقدم منهم سنويا طلبا للتطعيم أكثر من ثلاثة ملايين شخص.

ومن ذلك تبين حكمة الإسلام في النهى عن اقتناء الكلب، إلا لأغراض محدودة.

وقد ثبت علمياً أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجماً لا تسلم من الإصابة بالدودة الشرطية التي تتعداها إلى الإنسان، وتصيبه بأمراض عضال قد تؤدى إلى وفاته، وقد لوحظ في إقليم فرزلنديهولندا حيث تستخدم الكلاب في الجر أن فى كل مائة منها اثنتى عشر إصابة.

ووجد في أيرلندا أن في كل ٤٢ شخصاً من أهاليها يوجد شخص مصاب بهذه الآفة وشوهد أن هذه النسبة تزيد فى استراليا، إذ ثبت وجود شخص من كل ٣٩ شخصاً من سكانها مصاب بها... وقد تبين الإعجاز العلمى فى البحث علي استعمال التراب في إحدى المرات السبع، فقد ثبت أن التراب عامل كبير علي إزالة البويضات والجراثيم وكذلك لأن ذرات التراب تندمج معها فتسهل إزالتها جميعاً... كما قد يحتوي التراب علي مواد قاتلة لهذه البويضات.. ومن الأمراض التي ينقلها الكلب أيضاً للإنسان «داء اليرقات الهاجرة الجلدى» فهو عبارة عن طفح جلدي تسببه يرقات تعيش في أمعاء القطط والكلاب منها الديدان البرازيلية ankylosto ma- Draziliense تخوف.. لأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يطمئن النفس ويؤمنها على نفسها مما حولها ويرافق هجرة اليرقات داخل الجلد ظهور حكة شديدة قد تؤدى إلي خدوش ينجم عنها التهاب جلدي جرثومى.

كذا داء الديدان القوسية Toxocariasis، أو داء اليرقات الهاجرة الحشوي Visccrailarvamigrant.

وهذه تسبب ضخامة في الكبد والطحال، وتحدث ألما وأوراماً خبيثة جلدية والتهابات رئوية، وقد تنتهى الحياة بقصور التنفس.

وداء ويل الترفى اليرقانى weilsbisease ومن أهم أعراضه الضعف العام والقيء والنزف من الجلد، أو الأغشية المخاطية.

هذا فضلاً عن التعرض للدوسنتريا، والتيفويد والإسهالات وغيرها من الأمراض الأخرى المعروفة لدى المتخصصين في الأمراض الوبائية(١).

وهكذا تنكشف لنا زاوية جديدة من نواحي الاعجاز العلمى فى هدي الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام من ولوغ الكلب فى الإناء، كشف العلم الحديث عنه بعد أربعة عشر قرنا، وأن ما قاله النبى ﷺ واقع.

أرنا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع.

---

(١) الاعجاز العلمى فى الإسلام ص٥٠ – ٥٢ بتصرف يسير.

بين يدى الموضوع

حرم الله عز وجل هذه الفاحشة ونها نا عنها لأنها من الكبائر العظام قال تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (١) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) (٢)

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله، أى الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت ثم أى؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك (٣)».

ولا يقرب هذه الفاحشة إلا الشقى الذي حرم نعمة الإيمان، أما المؤمن الحق فإنه لا يقربها، روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ «لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن (٤) ».

---

(١) سورة الاسراء آية ٣٢.

(٢) سورة الفرقان اية ٦٨ .٦٩.

(٣) البخاري: كتاب التوحيد: باب قوله تعالي «فلا تجعلوا له أندادا فتح جـ١٢/٥٠٠
ومسلم بشرح النووي: كتاب الإيمان: باب كون الشرك أقبح الذنوب جـ٢/٧٩.

(٤) البخاري: كتاب الحدود: باب الزنا وشرب الخمر فتح جـ١٢/٥٩.
ومسلم بشرح النووي: كتاب الإيمان: باب نقصان الإيمان بالمعاص جـ٢/٤١.

وقد جعل الله التعفف عن الزنا، والتصون منه من صفات المؤمنين المفلحين قال تعالي ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (١) .

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، وذلك حين تدنوا الشمس من رءوس الخلائق، ويلجمهم العرق إلجاما، فإن العناية الإلهية والرحمة الربانية تشمل سبعة أصناف من الناس تظلهم تحت ظل عرش الله عز وجل، منهم رجل دعته أمرأة ذات منصب وجمال – يعني الزنا – فقال: إنى أخاف الله (٢)».

وفي حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة في الغار فلم يجدوا بدا من التوسل إلي الله بصالح أعمالهم، فأستشفع أحدهم، ببره لوالديه واستشفع الثاني: برده أجر عامل كان تركه عنده، فنماه له أضعافا مضاعفة و سلمه له .

و استشفع الثالث : بأن كانت له ابنة عم يهواها ، فما زال يراودها عن نفسه حتى خضعت له ، فلما تمكن منها ، قالت له : اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فإذا هو يرتعد من خشية الله ، فأزال الله الصخرة عن فم الغاز بفضل أعمالهم .

و الحديث بطوله أخرجه البخارى عن ابن عمر رضى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : بينما ثلاثة نفريتما شون أخذهم المطر فمالوا إلى غا فى الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت

---

(١) سورة المؤمنون الايات من ١ – ٧.

(٢) مسلم بشرح النووي:كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة جـ٧/١٢.

عليهم . فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها . فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ، و لى صبية صغار كنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم فحلبتُ بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولَدى ، و إنه ناء بى الشجرُ فما أتيتُ حتي أمسيتُ، فوجدتهما قد ناما، فحلبتُ كمّا كنتُ أحلُبُ، فجئت بالحلاب فقمتُ عند رءوسهما، أكره أن أوقظَهمَا من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدميَّ، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتي طلع الفجرُ، فإن كُنت تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأفرجُ لنا فرجة نرى منها السماءَ، ففرج الله لهم فرجة يرون منها السماء.

وقال الثاني: اللهم أنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد مَا يحبْ الرجالُ النساء، فطلبت إليها نفسها فأبَت حتي آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتَمَ إلا بحقه، فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم إنى قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها، ففرج له فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال:أعطني حقى فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتي جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تهزأ بي. فقلت: إنى لا أهزأ بك. فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذَه وانطلق.

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله عنهم (١)». هذه صفات المؤمنين المفلحين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(٢) خافت

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب إجابة دعاء من بر والديه فتح جـ١٠/٤١٨.

(٢) سورة الانفال اية رقم٢.

وارتعدت قلوبهم خوفاً من عقابه وطمعا في مرضاته تقوي الله مطلوبهم، والفوز بالنعيم مرادهم، أما من نزع الإيمان من قلبه والعياذ بالله، واستهواه الشيطان فقد جعل الله ه ما يطهره ويكفر عنه معصيته إن تاب وأناب وسلم نفسه للجزاء العادل فأقيم الحد عليه.

حد الزنا:

روى الإمام مسلم رحمه اله تعالي بسنده عن عبارة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (1)).

ما يتضمنه الحديث

قوله ﷺ(خذوا عنى خذوا عني) إشارة إلي اتباع رسول الله ﷺ في كل ما أمر به واجتناب ما نهي عنه. والمعنى: خذوا الحكم في حد الزنا عني .

(سبيلاً) أى خلاصا عن إمساكهن في البيوت، إشارة إلي قوله تعالي ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ (2) فبين النبى ﷺ أن هذا هو السبيل والمراد به: رجم الثيب وجلد البكر كما بينه النبى ﷺ ، وقد اختلف العلماء فى هذه الآية فقيل هى محكمة وهذا الحديث مفسر لها، وقيل هى منسوخة بالآية التى فى أول سورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(1) مسلم بشرح النووي: كتاب الحدود: باب حد الزنا جـ١١/١٨٨.

(2) سورة النساء اية رقم ١٥.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) ، وقـيل إن آية النور في البكرين وهذه الآية في الثيبين.

(جلد مائة والرجم) أى بالحجارة إلى أن يموت، والجلد منسوخ في حق الثيب والرجم ثابت ولاخلاف فيه بين العلماء، وإنما الخلاف هل هو ثابت بالقرآن أم بالسنة؟

قال البعض إن الرجم ثابت بالقرآن ودليلهم حديث رواه الإمام مسلم بسنده أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة سمع عبد الله بن عباس ﵄ يقول: قال عمر بن الخطاب: وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها و وعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم فى كتاب الله حق علي من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبلُ أوْ الاعتراف (٢).

قال الإمام النووي: «أراد بآية الرجم» الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، وهذا مما نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد نسخ الحكم دون اللفظ، وقد وقع نسخهما جميعاً، فما نسخ لفظه ليس له حكم القرآن في تحريمه على الجنب ونحو ذلك، وفي ترك الصحابة كتابة هذه الآية دلالة ظاهرة علي أن المنسوخ لا يكتب في المصحف (٣) وقد عقب علي ذلك الدكتور الشيخ/ محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله فقال: إن القول بنسخها فرع كونها قرآنا، ولايثبت كونها قرآنا إلا بالتواتر المفيد القطع واليقين والأحاديث الواردة فى هذا أحادية وغاية

---

(١) سورة النور اية رقم٢.

(٢، ٣) مسلم بشرح النووى ص١٨٨ وانظر الشرح.

أمرها أنها تفيد غلبة الظن والرجحان اللهم إلا إذا قلنا: إن ما تفق عليه الشيخان البخاري ومسلم يفيد العلم واليقين وعليه فإن الرجم ثابت بالسنة القولية والعملية التي لا يجوز إنكارها وهذا كاف في إثباته. أ.هـ.

وقوله ﷺ (البكر بالبكر - الخ) ليس علي سبيل الاشتراط بل حد البكر الجلد والتغريب سواء زنى ببكر أو بثيب، وحد الثيب الرجم سواء زني بثيب أم ببكر، فهو شبيه بالتقييد الذي يخرج على الغالب.

واعلم أن المراد بالبكر من الرجال والنساء من لم يجامع في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل سواء جامع بوطء شبهة أو نكاح فاسد أو غيرهما أم لا، والمراد بالثيب من جامع في عمره مرة من نكاح صحيح وهو بالغ عاقل حر، والرجل والمرأة في هذا سواء.

حد اللواط:

وكما أن الزنا حرام، فاللواط محرم أيضاً، بل هو أفحش منه لقوله الله عز وجل ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١) . فسماه الحق جل وعلا فاحشة، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (٢) . وقد عذب الله عز وجل قوم لوط بما لم عذب به أحدا من الناس أما حد اللوطي فقد ورد فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به).

---

(١) الأعراف آية رقم ٨٠.

(٢) سورة الأنعام آية رقم١٥١.

وعن ابن عباس: «في البكر يؤخذ على اللوطية قال: يرجم [1]».

وقد حكى الصنعاني في حده أقوال منها: يقتل الفاعل والمفعول به محصنين أو غير محصنين للحديث المتقدم، وأيضاً لأن القتل فعل ولم ينكر فكان إجماعاً وأنه تكرر من أبي بكر وعلي وغيرهما. مع قلة القائلين به.

ولذا فقد تعجب صاحب المنار من قلة الذاهب إليه من الفقهاء مع وضوح دليله لفظاً وبلوغه إلى حد يعمل به سندا [2]. أ.هـ وقد صححه الحاكم والذهبي

علة التحريم والعقاب: تعاقب التشريعة الزاني المحصن بالرجم والزاني غير المحصن بالجلد وعقوبة الرجم عقوبة متلفة يقصد منها إهلال الزاني وزجر غيره، واللوطي أشد خطرا منه أما عقوبة الجلد فغير متلفة ويقصد منها تأديب الزاني وزجر غيره. ولما كانت عقوبة الرجم متلفة وكانت حدا أي عقوبة مقدرة فقد اعتبر الزاني المحصن مهدر الدم، ومن المتفق عليه عند مالك وأبي حنيفة وأحمد أنه ليس على قاتل الزاني المحصن قصاص ولادية، لأن الزاني المحصن يصبح بزناه مباح القتل، لجريمته.

---

(١) أبو داود: كتاب الحدود: باب فيمن عمل عمل قوم لوط جـ٤/١٥٢.

الحديث الأول أخرجه الترمذي في كتاب الحدود: باب في حد اللوطي تحفة جـ٤/٦٢٥ قال وفي الباب عن جابر وأبي هريرة قال أبو عيسي: وإنما نعرف هذا الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ وأخرج الأول ابن ماجة: كتاب الحدود: باب من عمل عمل قوم لوط جـ٢/٨٥٦.

وأخج الأول والثاني الدار قطني في سننه: كتاب الحدود جـ٣/١٢٤ . ١٢٥.

أخرج الأول الحاكم: كتاب الحدود: باب من وجدتموه يأتي بهيمة جـ٤/٣٥٥

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد وقال الذهبي: صحيح.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام جـ٤/١٢٨٥ ومنار السبيل في شرح الدليل جـ٢/٢٥٢.

والأفعال المعتبرة جرائم يومر بها وينهى عنها، لأن في إتيانها أو في تركها ضررا بنظام الجماعة أو عقائدها، أو بحياة أفرادها، أو بأموالهم، أو بأعراضهم، أو بمشاعرهم، أو بغير ذلك من شتى الاعتبارات التى تستوجب حال الجماعة صيانتها وعدم التفريط فيها.

وقد شرع العقاب على الجريمة لمنع الناس من اقترافها، لأن النهي عن الفعل أو الأمر بإتيانه لا يكفي وحده لحمل الناس على إتيان الفعل أو الأنتهاء عنه ولولا العقاب لكانت الأوامر والنواهى أمورا ضائعة وضربا من العبث، فالعقاب هو الذى يجعل للأمر والنهى معنى مفهوماً ونتيجة مرجوة، وهو الذى يزجر الناس عن الجرائم، ويمنع الفساد في الأرض، ويحمل الناس عن الإبتعاد عما يضرهم أو فعل ما فيه خيرهم وصلاحهم.

والعقوبات وإن شرعت للمصلحة العامة فإنها ليست فى ذاتها مصالح بل هى مفاسد ولكن الشريعة أوجبتها لأنها تؤدى إلى مصلحة الجماعة الحقيقية، وإلى صيانة هذه المصلحة وربما كانت الجرائم مصالح ولكن الشريعة نهت عنها لا لكونها مصالح بل لأدائها إلى مفاسد فالزنا وشرب الخمر والنصب واختلاس مال الغير وهجر الأسرة والامتناع عن إخراج الزكاة كل ذلك قد يكون فيه مصلحة للأفراد ولكنها مصالح ليس لها اعتبار فى نظر الشارع وقد نهى عنها لا لكونها مصالح بل لأنها يتؤدي إلى إفساد الجماعة والأفعال التى هي مصلحة محضة أو مفسدة محضة قليلة جداً وأكثر الأفعال تختلط فيها المصالح والمفاسد والإنسان بطبعه يؤثر ما رجحت مصلحته على مفسدته وينفر ما ترجح مفسدته على مصلحته ولكنه فى اختياره ينظر لنفسه لا للجماعة فيؤثر ما فيه مصلحته ولو أضر بالجماعة وينفر ما راه مفسدة عليه ولو كان فيه مصلحة للجماعة وقد شرعت العقوبات

بما فيها من التهديد والوعيد والزجر علاجا لطبيعة الإنسان فإن الإنسان إذا نظر إلى مصلحته الخاصة وما يترتب عليها من العقوبات نفر منها بطبعه لرجحان المفسدة على المصلحة.

وكذلك إذا ما فكر في الواجب وما يجلبه عليه من المشاق فقد يدعوه ذلك لتركه لكنه إذا فكر ما يترتب علي الترك من عقوبة حمله ذلك على إتيان الفعل والصبر على المكروه والمشقة فالعقوبات مقررة لحمل الناس علي ما يكرهون مادام أنه يحقق مصلحة الجماعة ولصرفهم عما يشتهون مادام أنه يؤدي إلى افساد الجماعة وهذا مصداق قوله ﷺ (حفت الجنة بالمكاره وحق النار بالشهوات [1]).

ومن المسلم به أن هناك أناسا يفعلون الفعل لأنه مأمور به وينتهون عنه لأنه منهي عنه لا حذرا من العقوبة ولا خوفا من النكال ولكن حياء وخجلا أن يكونوا عاصين ومبادرة للطاعة وتحقيقاً لمصلحة الجماعة، ولكن أمثال هؤلاء قليلون جدا والأحكام تشرع للكثرة الغالبة لا لمثل هذه القلة النادرة.

وخلاصة ما تقدم أن الشريعة الاسلامية اعتبرت بعض الأفعال جرائم وعاقبت عليها، لحفظ مصالح الجماعة، ولصيانة النظام الذي تقوم عليه الجماعة، ولضمان بقاء الجماعة قوية متضامنة متخلقة بالأخلاق الفاضلة، والله الذي شرع هذه الأحكام وأمر بها، لا تضره معصية عاص ولو عصاه أهل الأرض جميعاً، ولا تنفعه طاعة مطيع ولو أطاعه أهل الأرض جميعاً، ولكنه كتب على نفسه الرحمة لعباده، ولم يرسل الرسل إلا رحمة للعالمين، لانقاذهم من الجهالة، وإرشادهم من الضلالة، ولكفهم عن المعاصي، ويحثهم على الطاعة.

---

(١) مسلم بشرح النووي: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ١٧/١٦٥ عن أنس ﷺ والدرامي: كتاب الرقائق: باب حفت الجنة بالمكارة جـ٢/٤٢٧ عن أنس ﷺ.

شبهة حول عقوبة الرجم والرد عليها.

يستنكر البعض عقوبة الرجم علي الزاني المحصن، ويستنكرون صورته ويقولون فيه قسوة وهذا القول يقوله المستنكرون بأفواهم ولا تؤمن به قلوبهم، ولو أن أحد هؤلاء وجد مع امرأته وابنته أحدا زنى بها، واستطاع أن يقتلها ومن يزنى بها لما تأخر برهة من الزمن.

والشريعة الإسلامية قد سارت في هذه المسألة كما سارت فى كل أحكامها على أدق المقاييس وأعدلها، فالزانى المحصن هو قبل كل شيء مثل سيء لغيره من الرجال والنساء المحصنين وليس للمثل السيء حق البقاء والشريعة بعد ذلك تقوم على الفضيلة المطلقة وتحرص علي الأخلاق والأعراض والأنساب من التلوث والاختلاط، وهي توجب علي الإنسان أن يجاهد شهوته ولا يستجيب لها إلا من طريق الحلال وهو الزواج، وأجبت عليه إذا خاف العنت أن يتزوج حتى لا يعرض نفسه للفتنة، فإذا لم يتزوج وغلبت شهوته عقله فعقابه أن يجلد مائة جلدة وشفيعه فى هذه العقوبة الخفيفة تأخيره في الزواج الذي أدي به إلى الجريمة.

أما إذا تزوج فأحصن فقد حرصت الشريعة أن لا تجعل له بعد الإحصان سبيلاً إلى الجريمة، فلم تجعل الزواج أبدياً حتى لا يقع فى الخطيئة أحد الزوجين إذا فسد ما بينهما بل أباحت الطلاق إذا تعسرت الحياة بين الزوجين قال تعالى (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً) (١).

كما أباحت للزوجة أن تطلب الطلاق للغيبة والمرض والضرر والإعسار.

---

(١) سورة النساء اية رقم ١٣٠.

وأباحت الشريعة الزوج الطلاق في كل وقت وأحلت له يتزوج بأكثر من واحدة علي أن يعدل بينهن قال تعالي ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ (١) وبهذا تكون الشريعة قد فتحت للمحصن كل أبواب الحلال وأغلقت دونه باب الحرام، فكان عدلا وقد أنقطعت كل الأسباب التي تدعو للجريمة من ناحية العقل والطبع، أن تنقطع المعاذير التي تدعو إلي تخفيف العقاب وأن يأخذ المحصن بأقصي العقوبة التي لا يصلح غيرها لمن استعصي علي الإصلاح.

أما عن الإجابة عن الشق الثاني وهو أن في الرجم قسوة، نقول لهؤلاء وأمثالهم إن غاية الرجم الموت، ولا فرق في النتيجة بين الرمي بالرصاص والرجم بالحجارة ومن كان يظن أن الموت يسرع إلي المقتول رميا بالرصاص ويبطيء إليه رميا بالحجارة فهو في ظنه علي خطر مبين، لأن الرصاص قد لا يصيب مقتلا من القتيل فيتأخر موته، وأن الحجارة قد تصيب مقتلا من القتيل وتسرع بالموت أكثر مما يسرع به الرصاص، فرماة الرصاص عددهم محدود وطلقاتهم معدودة، أما رماة الأحجار فعددهم غير محدود وعليهم أن يرموا الزاني حتي يموت، ومن استطاع أن يتصور مائة أو مئات يقذفون شخصا في مقاتلة بالأحجار استطاع أن يتصور أن يموت بأسهل وأسرع مما يموت قتيل الرصاص (٢).

---

(١) سورة النساء اية رقم ٣.

(٢) التشريع الجنائي الاسلامي تأليف عبد القادر عودة جـ١/٦٨ .٦٩ .٦٤١ .٦٤٢ ، ٦٤٣ بتصرف ط مؤسسة الرسالة.

والتفكير في القسوة لا يتفق مع طبيعة العقاب، فالموت إذا تجرد من الألم والعذاب كان من أتفة العقوبات، وأصبح لا قيمة له مع المحكوم عليه بالموت فإن قيمته يجب أن تظل محفوظة للزجر والتخويف، وليس من مصلحة المجتمع في شيء أن يفهم أفراده أن العقوبة هينة لينة لا تؤلم ولا تدعو للخوف، وقد بلغت آية الزنا الغاية في إبرازها هذا المعني حيث جاء فيها ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١) وجاء فيها أيضاً ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ذلك أن الرأفة بالمجرمين تشجع علي الإجرام والعذاب الذي يصحب العقوبة هو الذي يؤدب من أجرم ويزجر غيره، وإلا لو ترك الناس لعم الفساد البلاد وشاعت الفوضي بين العباد.

أضرار الزنا واللواط وإتيان النساء في أدبارهن الصحية:

أولاً: الزنا:

ثبت علمياً أن اقتراف الزني يؤدي إلي انتقال وانتشار أمراض خطيرة مثل السيلان والزهري وآخرها اكتشافا أكثرها ضررا هو (الإيدز).

مرض نقص المناعة المكتسبة، وإصابة الجهاز التناسلي، وهذه الأمراض من أشد الأمراض خطورة، وقد تمتد آثارها ومضاعفاتها إلي نهاية العمر فمرض الزهري تكمن الإصابة في الجسم وتظهر أعراضه في ثلاثة مراحل، وقد يصيب الجهاز العصبي بأضرار بالغة كالجنون أو ضمور وتليف الأعصاب، مما يؤدي إلي فقدان التوازن

(١.٢) سورة النور آية رقم ٢.

والاحساس في الأطراف، وقد يصيب شريان الأورطي الصاعد من البطين الأيسر فيحدث تلف شديد في جداره، مما يؤدي إلي تمدد الأورطي تحت تأثير ضغط الدم ونبض القلب.

وليس هناك من علاج لمثل هذه الحالات إلا استبدال الجزء التالف من الأورطي بشريان صناعي مصنوع من مادة «الداكرون» ومن البديهي أن هذه الجراحات غاية في الخطورة والدقة.

وقد ينشأ عن مرض الزهري، حدوث ورم سرطاني في الفم - اللسان - البلعوم - الحنجرة، وهكذا تظل لعنة الإصابة بمرض الزهري، تطارد المريض مدي عمره حتي تقضي عليه بعد المعاناة والعذاب.

وقد يتعدي هذا المرض إلي الزوجة والأولاد، إذ يعتبر من الأمراض السارية بالعدوي من لمس ولعاب، فيورثهم داء غاية في الخطورة، فيصيبهم بتشوهات وتلف في أجهزة الجسم، مما يودي إلي اضطراب النمو الذي قد يصل إلي درجة العجز الكامل أو التخلف العقلي.

أما المرض التناسلي الاخر، فهو مرض السيلان، وهو يصيب قناة مجري البول بالتهاب صديدي، مما قد يؤدي في الرجل إلي حدوث تليف وضيق مجري البول أو قد يمتد إلي الخصية والقناة المنوية، فينتج عن هذا الأصابة بالعقم.

وفي المرأة يصاب عنق الرحم بالتهابات وقروح. وقد يمتد المرض إلي الرحم والمبيض وقناة الرحم، فتحدث تجمعات صديدية والتصاقات، وكل هذا يسبب العقم، وقد ينتج عنه إصابة عنق الرحم بمرض السيلان حدوث ورم سرطاني.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ منذ سنة أن الفاحشة إذا ظهرت في قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والأمراض التي لم تكن في أسلافهم كما روي ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر، قال:أقبل رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتي يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة.... الخ الحديث [1] ولم تقف أضرار الزنا عند هذا الحد بل تتعداها إلي أضرار اجتماعية ونفسية من اختلاط الأنساب وضياع النسل، وتفسخ المجتمع وتفكك وحدة الاسرة [2] .

ثانياً: اللواط:

أثبت العلم الحديث أن هناك أضرار طبية محققة مثل الورم الليفي التناسلي الذي ينتشر بصورة كبيرة بين اللواطيين ويظهر هذا المرض علي صورة قرح تنتشر في الاعضاء التناسلية لا سيما القضيب وفتحة الشرج.

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الفتن: باب العقوبات جـ٢/١٣٣٢

قال البوصيري في الزوائد: هذا الحديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: (لم تظهر الفاحشة) أي الزنا.

(٢) انظر الطب الاسلامي. شفاء بالهدي القراني ص٢٤ وما بعدها للدكتور/ محمود أحمد نجيب كلية الطب جامعة عين شمس ط دار التوفيق النموذجية القاهرة ط أولي سنة ١٩٨٢م والاعجاز العلمي في الاسلام ص٤٤ بتصرف لماذا حرم الله هذه الأشياء د/ محمد كمال عبد العزيز المدرس بكلية الطب جامعة الأزهر ص٢١ ط مكتبة القران القاهرة.

كما يحدث تضخم واضح في الغدد اللمفاوية المجاورة، وقد تمتليء هذه الغدد بالصديد فتكون فيها خراريج صغيرة سرعان ما تنفجر فتتكون جيوب ويصحب ذلك عادة ارتفاع درجة الحرارة، وغثيان والآم بالمفاصل، وصداع شديد. فإذا تفاقم المرض حدث تورم كبير في الأعضاء التناسلية الخارجية لكل من الذكر والأنثي، ويحدث هذا التورم عادة نتيجة انسداد في الأوعية الليمفاوية بسبب الالتهاب المزمن الذي أصابها.

وفي اللواطيين – خاصة السلبي منهم – يصاب الشرج غالباً، فيحدث به التهاب شديد يؤدي إلي إفرازات صديدية وقرح كثيرة.... وفي النهاية يحدث ضيق شديد في فتحة الشرج ينتج عنه زيادة في الإفرازات الصديدية، مع نزيف دموي من الشرج، مما يسبب انسدادا كاملا في فتحة الشرج.

وقد يصاب المريض نتيجة هذا بأورام خبيثة في الأعضاء التناسلية لاسيما سرطان المستقيم.

ولا يقتصر الضرر الذي يسببه اللواط علي نقل الأمراض التناسلية والجنسية، ولكن ثبت أن هناك علاقة وطيدة بين اللواط وبين التهاب الكبد الوبائي الذي يسببه فيروس (ب) الذي ينتقل أثناء ممارسة اللواط لا سيما في اللواطي السالب الذي يصل إليه المرض عن طريق اللواطي الايجابي وقد أثبتت الدراسات أن هذا الفيروس المسبب لإلتهاب الكبد الوبائي يكون موجودا في اللواطين بنسبة ٥٠٪ في انجلترا، في حين أن نسبته في المصابين عن طريق الحقن ونقل الدم لا تتجاوز ٢ر٪ أى أن نسبة الفيروس (ب) في اللواطين تزيد عنها في الاخرين بمقدار خمسة وعشرين مرة.

واللواط بجانب ذلك يسبب اختلافا كبيرا فى توزان عقل الشخص، وأرتباكاً عاماً فى تفكيره، وركودا غريبا فى تصوراته، وضعفا شديداً فى إرادته، وإن ذلك ليرجع إلى قلة الافرازات الداخلية التى تفرزها الغدة الدرقية، والغدد فوق الكلى وغيرها، مما يتأثر باللواط تأثراً مباشراً.

ويؤدى اللواط إلى انتشار العدوى بالزهرى والسيلان.

كما أن اللواط يصيب صاحبه بمرض أطلق عليه الأطباء إسم مرض «الأيدز» وهو مرض يفقد الجسم مناعته.

يقول الدكتور/ محمد صادق صبور رئيس قسم الأمراض الباطنية بجامعة عين شمس، لقد أكتشف هذا المرض اللعين فى شهر مايو عام ١٩٨١م فقد نشر طبيب أمريكى فى إحدى المجلات الطبية الأمريكية تقريرا عن ١٢ مريضا مصابين بالتهاب رئوى، وأن هؤلاء المرضى فقدوا المناعة تماما، وصاروا عرضة للميكروبات تهاجم فى جميع أجزاء الجسم، هذا ولم يسبق وصف مثل هذا المرض من قبل وسمى المرض بـ«نقص المناعة المكتسبة» لأنهم لم يولدوا بنقص فى المناعة .. وقد لوحظ أن هؤلاء المرضى جميعاً كانوا شبابا أصحاء وأنهم جميعاً من الشواذ جنسياً ممن يمارسون اللواط .. وفى نفس العام نشرت المجلات الأمريكية عن حالات مشابهة فى ولايتى (سان فرانسكوا) و(نيويورك) وغيرهما من الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أكدت الأبحاث والإحصائيات أن أغلب المرضى فى أمريكا وغرب أوربا من الشواذ جنسياً، ويقدرون بحوالى ٧٥٪ من المرضى الحاملين لفيروس (الايدز)، وتكثر الإصابة فى الشاذ السالب المفعول فيه عنها فى الشاذ الموجب الفاعل [١].

---

(١) الطب الاسلامى شفاء بالهدى القرآنى ص٢٧ والإعجاز العلمى فى الإسلام ص٤١، ٤٢.

وليس الضرر النفسي بأهون من الضرر الجسدي، فإن اللواط هو فقدان الرجولة وإهدار أعظم قيمة فى الحياة، وإذا أصاب مجتمعا فإنه يدمره تماما، والذى يقرأ قصة لوط يدرك إلى أى مدى وصل بهم العداوة لله فأستبدوا وصمموا على فعل الفاحشة فمارسوها حتى أهلكهم الله بسبب ممارستهم لها فهل من مدكر؟

وهذا ما تخوف منه رسولنا ﷺ كما رواه الترمذى بسنده عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ «إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط» قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب [1]. قال الطيبى: أضاف أفعل إلى ما وهى نكرة موصوفة ليدل على أنه إذا استقصى الأشياء المخوف منها شيئاً بعد شيء لم يوجد أخوف من فعل قوم لوط.

ثالثاً: إتيان النساء فى أعجازهن:

يحرم الاسلام الشذوذ الجنسى مع المرأة أى أتيانها فى الدبر بل تؤتى فى المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هذا يقول الحق جل وعلا ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [2] وفى الحديث عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى أمرأة فى دبرها [3]».

(١) سنن الترمذى: كتاب الحدود: باب ما جاء فى حد اللوطى تحفة جـ٤/٦٢٨وانظر التحفة وابن ماجة: كتاب الحدود: باب من عمل قوم لوط جـ٢/٨٥٦ عن عبد الله بن محمد عقيل به.

(٢) سورة البقرة آية رقم/٢٢٢ وانظر الموضوع فى الطب النبوى لابن القيم ص١٦٠ وما بعدها.

(٣) سنن أبى داود: كتاب النكاح: باب فى جامع النكاح جـ٢/٢١٨.

وعند الترمذى عن ابن عباس قال: قال رسول الله: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة فى دبرها (١)».

ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب بل إنه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطة فى الطب والعرف والدين فعلاوةً عن الأذى النفسى للمرأة فإنه يحدث تشققا فى الشرج والتهابات شديدة.

أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالبا يصعد الميكروب إلى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج ملىء بالميكروب التى لا يوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وأن الرجل قد يأخذ هذه الميكروبات لكى ينقلها بدوره إلى رحم المرأة وقد يصيبها بالعقم (٢).

وأيضا فإن للفرج عضلات قادرة على اعتصار قضيب الرجل المنتصب، والعمل على الإنزال الكامل. كما يحدث عندما يطأ الرجل زوجته فى دبرها – فإنه يحدث إحتقان شديد فى غدة البروستاتا والأعضاء التناسلية الأخرى، مما يسبب الأما شديدة فى منطقة العجان والخصيتين، ناهيك عن سرعة القذف وضعف الإنتصاب الذى يسببه الإحتقان المزمن، فى حين أن الأمر غير ذلك عند إتيان المرأة فى فرجها، حيث إن المهبل يفرز سائلاً يساعد على تشحيم الفرج والمهبل معاً مما يساعد على عملية الإيلاج.

(١) سنن الترمذى: كتاب الرضاع: باب ما جاء فى كراهية إتيان النساء فى أدبارهن تحفة جـ٤/٢٥٨ قال أبو عيسى: حديث حسن غريب.

وسنن ابن ماجة: كتاب النكاح: باب النهى عن إتيان النساء فى أدبارهن جـ١/٦١٩ عن أبى هريرة فى الزوائد: إسناده صحيح لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان فى الثقات وباقى رجال الإسناد ثقات.

(٢) الطب الوقائى فى الإسلام د/ أحمد شوقى الفنجرى ص١٨٠ ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ثانية سنة ١٩٨٥م.

ــ أحـ ـ الجهاز التناسلي الأنثوي لها دورها الفعال في عملية الجماع، فحـ ا يحدث الاحتكاك بين قضيب الرجل وفرج المرأة تنطلق النبضات من نهايات عصبية منتشرة في الغشاء المخاطي للمهبل وكذلك في البظر تنطلق هذه النبضات إلى الجهاز العصبي المركزي، فيرسل إشاراته - بالتالي - ليحقق الاستمتاع المنشود، علاوة على ذلك فإن استقبال الرجل للدبر بوجهه ثم ملامسته يوجد النفرة والتباغض والتقاطع بين الزوج وزوجته وغير ذلك من آثار نفسية سيئة للرجل والمرأة (١).

لهذا كله نهى رسول الله ﷺ عن فعل هذا واستعمال المرأة في مكان الولد ليتجنب الأخطار ويحظى بما يحب وتدوم العشرة بينه وبين المختار وهو ما يتضمنه حديث المصطفى العدنان.

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام ص٣٩ - ٤٠.

الفصل الثالث

الخمر وتأثيرها على الجهاز العصبي والكبد

بين يدى الموضوع

لقد ميز الله الإنسان على الحيوان بالعقل، فالعقل أداة التمييز، لذا حرم الله ما أعطبه أو غيره لأنه يزول الإدراك الذى طلبه الله من عباده ليقوموا بحقوقه. لذلك كان من أعظم النعم التى منحها الله للإنسان، لأنه منبع الحكمة، ومصباح الهداية، ونور البصيرة ووسيلة السعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة، وبه تلقى الخطاب عن المولى عزوجل واستحق الخلافة فى الأرض، وبه كمل الإنسان وشرف وامتاز عن غيره من سائر المخلوقات.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١) .

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن تشريفه لبنى أدم وتكريمه إياهم فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كقوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢) .

أى يمشى قائماً منتصبا على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع، ويأكل بفيه، جعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله، وينتفع به ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها فى الأمور الدينية والدنيوية (٣) .

---

(١) سورة الإسراء اية رقم/٧٠.

(٢) سورة التين آية رقم/٤.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣/٥٨.

فبالعقل سما الإنسان وارتفعت درجته وعلت منزلته وكلف من قبل خالقه وجعل الجزاء الدنيوى والأخروى عليه فقال ﷺ «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل (١)» وعن طريق العقل اهتدى الإنسان إلي معرفة ربه وخالقه وعبده وأطاعة وأثبت له الكمال والجلال، ونزهه عن النقائص والمثالب، وصدق بالرسل والأنبياء، وأنهم واسطة ينقلون للناس ما أمرهم الله به، ويحملون إليهم البشارة بالوعد والنذارة بالوعيد، فأعمل الناس عقولهم، وفقهوا فى الحلال والحرام والضار والنافع والحسن والقبيح والطيب والخبيث، وكلما أعمل الإنسان فكره وعقله، وتصرف ببصيرته ووعيه كلما حظى بالأمن والأمان ونعم بالسلام والاستقرار، وساد المجتمع الذى يعيش فيه جو من الألفة والرحمة والسكينة، وأمن الناس على دينهم وأموالهم وأعراضهم لهذا كله وكثير غيره أمر الإسلام بحفظ العقل، ومنع أي أعتداء يقع عليه أو يؤدى إلى إتلافه وإنقاصه تكريماً للإنسانية، وتفضيلاً للبشرية.

ومن أجل ذلك: حرم الإسلام الخمر وسماها أم الخبائث وأم الفواحش وأكبر الكبائر، لأنها تخامر العقل وتغطيه وتفسده، يقول الشاعر

شربت الخمر حتى ضل عقلى كذلك الخمر تفعل بالعقول

وإذا ذهب العقل كان الإنسان أحط من الحيوان، وصدر عنه من الشر مالا حد له من الزنا والقتل والعدوان وغير ذلك من فساد وأخل بالأمن والأمان لأن الخمر تلعب برأس شاربها وتفقدة وعية وإدراكه، لذا شدد الإسلام فى النهى عنها وجعل لشاربها عقوبتان: أخروية، ودنيوية.

---

(١) سنن أبى دواد: كتاب الحدود: باب فى المجنون يسرق أو يصيب حدا جـ٤/١٣١ عن على ﷺ.

وأنظر الله والعلم الحديث/ دكتور عبد الرزاق نوفل ص١٨١ – ١٨٤ ط مطبعة الشروق مصر.

أما الأخروية فهى الحرمان من الجنة دار النعيم، ودخوله النار دار الجحيم لقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان [1]». وحرمه من شربها فى الآخرة لأنه استعجل شربها فى الدنيا فجوزى بالحرمان منها فى الآخرة قال ﷺ: «من شرب الخمر فى الدنيا فلم يتب منها، حرمها فى الآخرة، فلم يسقها [2]».

فدل الحديث على أنه لا يدخل الجنة لأن الخمر شراب أهل الجنة، فإذا حرم شربها دل على أنه لا يدخل الجنة.

ومن شربها فى الدنيا سقاه الله من صديد أهل النار لقوله ﷺ «كل مُخْمِرٍ خَمْرٌ، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرا بُجست صلاته أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل وما طينه الخبال يا رسول الله؟ قال: «صديد أهل النار» ومن سقاه صغيراً لا يعرفُ حلالَهُ من حرامه، كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال [3] » هذا بعض ما يلحقه فى الآخرة وما يحصله من عقوبة، أما فى الدنيا فالتنكيل به بجلده أربعين ضربة إما بالجريد أو النعال وعلى مرأى ومسمع من الناس ليقلع عن شربها، وينزجر غيره، لأن منافعها مهدرة ومضارها مثبتة.

مفهوم الخمر:

دلت الأحاديث على أن الخمر إسم جنس لكل ما يسكر، سواء كان من العنب أو من نقيع الزبيب أو التمر أو العسل أو غيرها من الأشربة التى عرفت زمن التشريع أو استحدثت أسماؤها فيما بعد،

---

(١) مسند الامام أحمد جـ٣/٢٨ عن أبى سعيد الخدرى ﷺ.

(٢) مسلم بشرح النووى:كتاب الأشربة: باب عقوبة من شرب الخمر ولم يتب منها جـ١٣/١٧٢ عن ابن عمر ﷺ.

(٣) سنن أبى دواد: كتاب الأشربة: باب النهى عن المسكر جـ٣/٣٢٦ عن ابن عباس ﷺ.

وكلها محرمة باتفاق الجمهور، إذ ليس التحريم منوطا بالإسم حتى يكون تغيير الإسم مغيرا للحكم، وإنما الاعتبار بالإسكار، فإن وجد

فالتحريم ثابت، سواء أسمى المسكر بإسمه، أو غير إلى اسم آخر، فالأحكام تتعلق بحقيقة الأشياء ومعناها، لا بأسمائها وألقابها، وقد أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بما خصه الله تعالى بعلمه أنه سيقع في أمته وقد وقع فعلاً، فقال: « يشرب ناس من أمتي الخمر، باسم يسمونها إياه[1] ».

وقال «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها[2]».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما حرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الأسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم.

قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، رد اعلى من حمله على اللفظ [3] .

ولقد صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به «وهو علم من أعلام النبوة».

فقد سمى الناس في الأزمنة الأخيرة الخمر بأسماء استحدثوها كالويسكي، والروم، والبيرة والكونياك، والعرق، والويكة، والكينا والبوظة، والحشيش، والأفيون، والكوكايين، والهروين وغير ذلك يشربه الناس في هذه الأيام كما تطالعنا الصحف اليومية، فكل هذه الأسماء

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الأشربة: باب الخمر يسمونها بغير أسمها جـ٢/١١٢٣ عن عبادة بن الصامت ﷺ، قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (يسمونها بغير اسمها) أي يبدلون إسمها ليبدلوا بذلك حكمها.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأشربة: باب في الداذي جـ٣/٣٢٩ عن أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٣) فتح الباري جـ١٠/٥٧.

في الحقيقة خمر لأنها تخامر العقل وتغيره، وهذا هو ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على ملأ من الصحابة من فوق المنبر «والخمر ما خامر العقل [1]».

كما دل مطلق قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذى رواه مسلم رحمه الله «كل مسكر حرام [2]» على تحريم ما يسكر ولو لم يكن شرابا، كما أنها تحدث بالمشاهدة ما يحدثه الخمر من الطرب والنشوة، واختلال العقل، والإسلام حين حرم الخمر لم ينظر إلى أنها سائل يشرب، وإنما نظر إلى الأثر الذى تحدثه فى شاربها من زوال العقل الذى يفسد عليه إنسانيته، ويسلبه مكانة التكريم التى منحه الله إياها.

وبهذا يظهر أن ما استحدث في هذه الأيام من أسماء عدة تمويها للمسكر وإخفاء لحقيقته، فهو أمر لا ينفع المدمنين ولا يخرج المسكر عن كونه خمرا وأن ما أسكر كثيرة فقليلة حرام.

وهذا هو رأى الجمهور فى حقيقة الخمر وماهيتها، وهناك أقوال أخرى ذكرت فى كتب الشروح، لكن ما عليه الجمهور هو الصواب وهو الأولى بالقبول.

---

(١) والخمر ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل والتخمير التغطية.

لسان العرب جـ٤/٢١١ مادة خمر.

(٢) مسلم بشرح النووي: كتاب الأشربة: باب أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام جـ١٣/١٧٢ عن ابن عمر ﷺ.

الرأى الراجح فى وقت تحريم الخمر:

وعلى الراجح أنها حرمت عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال: «سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: رسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو دوس فلقيه يوم الفتح براوية خمر [1] يهديها إليه، فقال: يا فلان أما علمت أن الله حرمها؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال: بعها. فقال: إن الذى حرم شربها حرم بيعها».

وروى أحمد وأبو يعلى من حديث تميم الدارى أنه كان يهدى لرسول الله ﷺ كل عام راوية خمر فلما كان عام حرمت جاء براوية فقال: أشعرت أنها قد حرمت بعدك؟ قال: أفلا أبيعها وأنتفع بثمنها؟ فنهاه [2].

قال الحافظ: يستفاد من حديث تميم تأييد الوقت المذكور فإن إسلام تميم كان بعد الفتح [3] وقال الحافظ فى الأشربة: وقد بينت فى تفسير المائدة الوقت الذى نزلت فيه الآية المذكورة وأنه فى عام الفتح قبل الفتح.

الدليل على حرمة الخمر(والأسلوب الفريد فى تحريمها)

ثبتت حرمة الخمر بالكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي

---

(١) الراوية هو البعير الذى يستقى عليه الماء لسان جـ٥/ ٣٨٠ مادة روى.

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد: كتاب البيوع: باب فى الخمر وثمنها جـ٣/٨٨ مطولا وقال: رواه أحمد هكذا عن ابن غنم عن تميم الدارى وفيه شهر وحديثه حسن وفيه كلام، ورواه الطبرانى فذكر نحوه باختصار، وإسناده حسن متصل.

(٣) فتح البارى جـ٨/١٢٩ وجـ١٠/٣٤.

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (١).

وهذه الآية كانت آخر ما نزل فى تحريم الخمر، وبها حرمت الخمر تحريما باتا قاطعاً، بعد أن اتبع الإسلام فى ذلك أسلوبا فريداً فى نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون، وهذا الأسلوب:- يتلخص فى أمرين:

أولاً: التدرج فى المنع حتى لا يشق على الناس.

ثانياً: ربط الأوامر بالأحداث الواقعية مستفيداً من التأثير النفسى والسيكولوجى فإن أول آية نزلت عن الخمر كانت عندما قال عمر ﷺ: «اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا».

فنزلت الآية التى فى سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (٢).

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها.

وقال آخرون: يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله عز وجل فسكت رسول الله ﷺ عنهم وكان بعضهم حضر الصلاة وهو سكران لا يدرى ما يقول، وعاد عمر يدعو ربه «اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا» فنزلت الآية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٣).

فقال بعضهم: حرمت الخمر.

وقال بعضهم: لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله ﷺ عنهم إلى أن نزلت الآية الحاسمة فى شأن التحريم القاطع آية المائدة

(١) سورة المائدة آية ٩٠، ٩١.

(٢) سورة البقرة اية ٢١٩.

(٣) سورة النساء آية رقم٤٣.

التى سمعها عمر ﵁ فقال: «انتهينا انتهينا» (يا أيها الذين أمنوا إنما الخمر والميسر ....الخ الآية.

قال أبو بكر الرازى «فى أحكام القرآن» يستفاد تحريم الخمر من اية المائدة من وجوه عدة:

١) من تسميتها رجسا، وقد سمى الله ما أجمع على تحريمه وهو لحم الخنزير وذلك فى قوله تعالى ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ (١).

٢) ومن قوله : «من عمل الشيطان» لأن ما يكان من عمل الشيطان حرم تناوله.

٣) ومن قوله «فاجتنبوا» والأمر بالإجتناب للوجوب، وما وجب اجتنابه حرم تناوله.

٤) ومن قوله «لعلكم تفلحون» فقد رتب الفلاح على الاجتناب.

٥) ومن كون الشرب سببا للعداوة والبغضاء بين المؤمنين وتعاطى ما يوقع ذلك حرام.

٦) ومن كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وما يصد عنهما حرام.

٧) ومن ختام الآية بقوله «فهل أنتم منتهون» أي أنتهوا، فهو استفهام مراد به الأمر والزجر والردع ولهذا قال عمر لما سمعها: «انتهينا انتهينا (٢)».

---

(١) سورة الأنعام اية رقم ١٤٥

(٢) فتح البارى جـ١٠/٣٤.

وأما السنة

فقد جاء فى ذلك الأحاديث الصحيحة المتكاثرة منها ما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام [(١)]».

فقد دل الحديث على تحريم كل مسكر، وهو عام لكل ما كان من عصير أو نبيذ قل أو اكثر وقد نهى الرسول ﷺ عن اتخاذها دواء وبين أنها داء وليست بدواء كما قال ﷺ للرجل الذى قال إنما أصنعها للدواء «... فقال ﷺ «إنه ليس بدواء ولكنه داء». [(٢)]».

وفى قول الرسول ﷺ هذا دليل على أنه يحرم التداوى بالخمر.

لأنه إذا لم يكن فيه شفاء فتحريم شربها باق لا يرفعه تجويز أنه يدفع بها الضرر عن النفس، ولأن تحريمها مقطوع به وحصول الشفاء بها أمر مشكوك فيه ولا يغلب المشكوك على المقطوع.

وإلى هذا ذهب جمهور العلماء خلفا وسلفا.

وأما الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على تحريم الخمر قل أو كثر. قال الإمام النووى رحمه الله: «أجمع المسلمون على تحريم شرب الخمر، وأجمعوا على وجوب الحد على شاربها، سواء شرب قليلاً أو كثيراً [(٣)]».

---

(١) تقدم فى ص ١١٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى: كتاب الأشربة: باب التحريم بالتداوى بالخمر... الخ جـ١٣/١٥٢ عن وائل الحضرمي رضى الله عنه..

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٣/١٤٨، ١٤٩.

حد شارب الخمر ومقداره:

قال جمهور الفقهاء حد الشرب والسكر ثمانون جلدة لقول علي ﷺ: «إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحد المفترى ثمانون». ولم ينكر عليه أحد فكان إجماعاً (١) وهو ما عليه الجمهور.

وقال الشافعية: حد الخمر وسائر المسكرات أربعون جلدة، لأن النبي ﷺ لم يعين في ذلك حدا، وإنما كان يضرب السكران ضربا غير محدود، كما روى أبو هريرة قال: أتي النبي ﷺ برجل قد شرب، فقال: اضربوه، فقال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله. قال: لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان (٢)». فقدروه بأربعين. وروى أنس قال: كان النبي يضرب في الخمر بالجريد والنعال أربعين (٣).

وقال علي كرم الله وجهه ﷺ: «جلد رسول الله ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة وهذا أحب إلي (٤)».

ويضرب في حد الخمر بالجريد والنعال وأطراف الثياب على ظاهر النص لحديث أبي هريرة المتقدم.

السوط الذي يضرب به يراعى في السوط أن يكون بين الجديد والخلق روى ذلك مالك في الموطأ ..... وذكر الرافعي عن علي ﷺ «سوط الحد بين صوتين وضربة بين ضربين ولا يحل ضرب الوجة

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد جـ٢/٣٢٢/٣٢٣ ط د الفكر للنشر والتوزيع.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحدود: باب الضرب بالجريد والنعال فتح جـ١٢/٦٧.

وأبو داود: كتاب الحدود: باب في الحد في الخمر جـ٤/١٥٨.

(٣) صحيح البخاري الموضع السابق.

(٤) مسلم بشرح النووي: كتاب الحدود: باب حد الخمر جـ١١/٢١٦.

والمذاكير لقوله ﷺ «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه» ولقول علي للجلاد رضي الله عنه:«اضرب في أعضائه، واعط كل عضو حقه، واتق وجهه ومذاكيره» وإنما نهى عن الوجه والمذاكير لأنه لا يؤمن عليه مع ضربها [1] .

مخاطر المخدرات العامة:

الشرائع الإلهية وخاتمتها الشريعة الإسلامية تهدف أول ما تهدف إلى تنظيم حياة الناس وأحوالهم، ودفع أنواع المضار والمفاسد وألوان الأذى البشرى والمتتبع لكل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من أحكام العبادات والمعاملات والجنايات والعلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة فلا تجد مطلوبا شرعا إلا وفيه الخير للفرد والجماعة، ولا ممنوعا شرعا إلا وفيه الشر والعقل غير المتأثر بالهوى أو النفعية يدرك تماما المصلحة المجردة والمضرة الواضحة ويؤيد ما جاءت به شريعة السماء، إذ لا يخفى على عاقل أن تحصيل المصالح المحضة أو الدائمة الأثرة، ودرء المفاسد المحضة أو الآنية التأثير، عن نفس الإنسان وغيره، كما أنه لا يخفى أيضا أن درء المفاسد والمضار الراجحة مقدم على المصالح المرجوحة.

وهذا مجمع عليه بين الشرائع، فحرمت الدماء والأبضاع والأموال والأعراض، واتفقت الملل كلها على الحفاظ على المقاصد الخمسة الكلية الضرورية، وهى الدين والعقل والنفس والعرض والمال.

ووجهت الأديان ذات المصدر الإلهى إلى تحصيل الأفضل فالأفضل من الأقوال والأعمال والآداب والأخلاق، وكذلك الأطباء يدفعون أعظم المرضيين بالتزام بقاء أدناهما.

---

(١) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك: كتاب الحدود: باب فيمن اعترف على نفسه بالزنا جـ٣/٤٣ والسوط خلط الشيء بعضه ببعض وهو المتخذ من سيور تلوى وتلف، والخلق خلق الثوب بالضم إذا بلى فهو خلق بفتحتين والمراد بالسوط الخلق الواهي الذى لا يؤثر لسان العرب جـ٤/١٩٥ مادة خلق وجـ٦/٤٣٠ مادة سوط.

ومن هذا المنطق حاربت الشريعة الاسلامية وحرمت تناول المسكرات والمخدرات بأنواعها المختلفة، لما فيها من ضرر واضح على الإنسان وصحته وعقله، واعتباره الأدبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار [(١)]» فالحديث مفاده أن الضرر ممنوع بالنفس أو بالغير ومن المعلوم أن الضرر الناجم عن تعاطي المسكرات بأنواعها المختلفة متعدد الجوانب ففيها ضرر بالشخص ذاته وبأسرته وأولاده، وبمجتمعه وأمته.

أما الضرر الشخصي: فهو التأثير الفادح في الجسد والعقل معاً وما تحدثه من مفاسد تفتك بالبدن كله كما سنبين ذلك تفصيلاً.

وأما الضرر العائلي: فهو ما يلحق بالزوجة والأولاد من إساءات فينقلب البيت جحيماً من جراء التوترات العصبية والهياج والسب والشتم وتزداد عبارات الطلاق والحرام، وإهمال الزوجة والتقصير في الإنفاق عليها وعلى الأولاد، فتتفكك الأسرة ويتهدم كيانها ويتفرق جمعها، وكم من بيوت خربت، وأطفال شردت وهذا لله محسوس ملموس مشاهد معروف حكايات تسرد وحوادث تنشر وقد يؤدي ذلك إلى انجاب أطفال معاقين متخلفين عقليا.

وأما الضرر العام: فهو واضح في إتلاف أموال طائلة من غير مردود نفعي، وفي تعطيل المصالح والأعمال، والتقصير في أداء الواجبات، والاخلال بالأمانات العامة، سواء بمصالح الدولة أو المؤسسات أو المعالم أو الأفراد [(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البيوع: النهي عن المحاقلة ...الخ جـ٢/٥٧، ٥٨ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) مستفاد من الفقة الإسلامي جـ٧/٥٥١٠ – ٥٥١٢ د/ وهبة الزحيلي.

ولذا فلا يجوز التهاون بشأن متعاطى المسكر والمتاجر به والوسيط أو السمسار وإنزال أقصى العقوبة بهم لحماية المجتمع من أضرار المخدرات ومفاسدها الجسمية.

أضرار المخدرات الصحية :(١)

لقد ثبت علمياً أن الكحول يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى المقادير البسيطة، يحدث أضرارا فى قوة الإرادة والتحكم، وتزداد به الانفعالات النفسية والأضرار الفسيولوجية.

وهذا هو محور الاعجاز العلمى فى الأحاديث التى تحرم الخمر حتى ولو كانت بكميات قليلة.

كيف يؤثر الخمر فى الإنسان؟

يتوقف تأثير الخمر على عاملين:

العامل الأول: كمية الكحول وتركيزه فى الدم، فإذا شرب الإنسان كأسين من البيرة فإن نسبة الكحول تصل فى دمه إلى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لأحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين، ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم فإذا وصل التركيز إلى ٥٠ مجم كحول فى ١٠٠سم د م فإن الإنسان يفقد قوة التركيز الذهنى ويفقد السيطرة على عواطفة أو التحكم فيها: وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجد والحزن. وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر: ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة فلا يترنح.

(١) انظر الموضوع فى الطب الوقائى فى الاسلام د/ أحمد شوقى الفنجرى من ص٢٦٠ - ٢٧٥ والاعجاز العلمى فى الاسلام محمد كامل عبد الصمد ص٨٦ - ٩١ الطب النبوى د/ على مؤنس ص١١٥ ط مؤسسة الأخبار والطب الاسلامى شفاء بالهدى القرآنى د/ محمود أحمد نجيب ص٢٣ - ٢٤.

فإذا زاد تركيزا الكحول فى الدم إلى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سنم فإن الإنسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته وأضراف جسمه، وبديهى أن كل مراكز الفكر العليا تتعطل فى هذه الدرجة عن العمل.

العامل الثانى: هو استجابة الجهاز العصبى للإنسان.

فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجات متفاوتة... فمنهم من يعتريه إنفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد إلى السكون أو النوم من نفس الجرعة...

ويرجع الخطر الأكبر من الخمر فى أن الجهاز العصبى يتعود على الكحول بالتدريج بحيث أن الكمية التى تؤدى بالإنسان فى المرات الأولى إلى الشعور بالراحة بعد تعب أوباللذة أو نسيان الهموم، فإنه لا يكفيه فى المرات التالية أن يتناول ضعفاً أو ثلاثة أضعافها ليحصل على نفس التأثير وهذا هو ما يؤدى به إلى الإدمان، ولذلك فإن العلم الحديث يكذب كل ما يدعى القدرة على الإعتدال فى الشرب بصفة دائمة.

أثر الكحول على الجهاز العصبى للإنسان

يقرر العلم الحديث أن مخ الإنسان يتكون من مراكز مختلفة فالوظائف الراقية توجد فى المراكز العليا من المخ والوظائف الأقل رقيا توجد فى المراكز الأسفل منه، وأعلى المراكز فى مخ الإنسان هى التى تختص بالإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى ثم تأتى أسفل منها مراكز العقل والتفكير... ثم مراكز الحكم على الأشياء ثم مراكز الذاكرة وأسفل من هذه تأتى المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس، ويسري مفعول الخمر من أعلى إلى أسفل أى أنها تأثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا، ولذلك فإن أول شيء يتأثر فى الإنسان بالكميات القليلة جداً من الخمر هو الإرادة وضبط النفس والسلوك الإجتماعى فإذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيز الذهنى .. وهكذا.

أثر الخمر على الشخصية:

لقد جاء فى تقرير المجلس الوطني لمكافحة الخمور فى بريطانيا أن شرب الخمر مدة طويلة يؤدى إلى تحلل الشخصية ويسبب ضعف الإرادة وشرود الذهن ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده.

كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية فهو سريع التأثر سريع الغضب كثيرا لهواجس والأوهام وأغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلاً فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بيته وعديم الثقة فى زوجته وأولاده.

أثر الخمر على أعضاء الجسم الأخرى:

لكى تعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك إحضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الاميبا والنظر إليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتاكل فإذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١٪ فإن هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام، وإذا زادت الكمية فإنها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول.

تأثير الكحول على القلب والأوعية الدموية:

يتسبب الكحول بنسبة ١٪ فى عدد نبضات القلب عشر نبضات فى الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب ومنذ قديم الزمان كان هناك اعتقاد شائع بين الأطباء والمرضى أن الكحول يوسع الشريان التاجى للقلب وكان الأطباء حتى عهد قريب ينصحون المرضى بضيق أوعية القلب والذبحة القلبية بأن يتناولوا كمية قليلة من الكحل فيزول الألم ويستأنف المريض حركته وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة خطأ هذه النظرية وضررها.

(أ) فقد ثبت أن الكحول ليس له تأثير مباشر على الشريان التاجى للقلب.

(ب) أن ألم الذبحة القلبية يخفف نتيجة لتأثير الكحول المخدر على مراكز الألم فى المخ.

(جـ) أن كمية الكحول إذا زادت أحدثت تسمما فى عضلات القلب وإجهاداً.

من هذه العوامل مجتمعة فقد يشعر المريض زوال الألم وبالراحة الوهمية فلا يلزم الفراش فيتعرض للموت.

وهكذا جاءت البحوث العلمية لتؤكد حكمة الرسول من قوله ﷺ (لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها) وهكذا أصبح الأطباء ينصحون معرض الذبحة القلبية بالإقلاع عن السجاير والخمر.

تأثير الكحول على الكبد:

يتسبب الكحول فى المرض المعروف بـ (تليف الكبد الكحولى).

وهو مرض منتشر فى أوربا ونادر جداً فى البلاد الإسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحية وتتحول إلى نسيج ليفى، وإذا كانت نسبة التليف كبيرة أدى ذلك إلى الوفاة المبكرة.

وقد أجرى عالم نمساوى كبير بحثا على نسبة الوفيات فى أوربا وأمريكا فى حالات تليف الكبد، فوجد أن هذه النسبة قد قلت إلى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الإنسان عليها إلا مع بطاقة التموين، وكذلك كانت الحالة فى أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة.

الخمر ونقص الفيتامينات:

ويصاحب شديد الخمر نقص شديد في الفيتامينات في الجسم خصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (س) مما يؤدي إلى ظهور (البلاجرا) و (البري بري) و (الأسقربوط) وتظهر هذه الحالة بشكل رعشة في اليدين وثقل في اللسان وضعف في العضلات واضطراب في حساسية الجلد وقد يؤدي الأمر إلي شلل الأطراف وتضخم في القلب.

وغير ذلك من الأمراض الخطيرة التي تؤدي بالإنسان وتكون سبباً في موته أو يعيش بها عيشة فاشلة في حياته الأجتماعية ويصبح منبوذاً بين أهله وأقاربه والناس أجمعين مما يرتكبه من مخالفات وما يفعله من منكرات وما يجرى على المائع يجرى على الجامد وعليه فمن قال: إن الحشيشة لا تسكر وما هي مخدر مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر.

يقول ابن القيم: (إن الخمر يدخل فيها كل مسكر، مائعاً كان أوجامداً عصيراً أو مطبوخاً فتدخل فيه لقمة الفسق والفجور، أي الحشيشة - لأن هذا كله خمر بنص قول رسول الله ﷺ (كل مسكر خمر [1]) لأنها تفعل ما تفعله الخمر المائعة من ذهاب العقل، وتذهب بالمال والنفس فتؤدي إلي الوفاة مبكرا. فأي مادة تحتوي على عناصر تحدث تأثيراً في عقل الإنسان سواء كان هذا التأثير منبهاً كالكوكايين والبنزدرين أو مسكنا مثل مشتقات الأفيون كالمورفين والهيروين والكودايين، أو مخدرات غير أوفيونية مثل الحشيش والكحول، يجرى عليها أحكام الخمر، وتضر ضررها.

---

(١) مسلم بشرح النووي: كتاب الأشربة: باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام جـ١٣/١٧٢ عن ابن عمر ﷺ.

وانظر فتح الباري جـ١٠/٤٧ وزاد المعاد لابن القيم جـ٥/٥٥٥.

علاج مشكلة الخمر:

إن أمثل علاج لهذه المشكلة هو الجمع بين:

التربية الدينية، والتثقيف الصحى.

فالطب وحده لابد أن يفشل كعلاج، كما أن الوعظ الدينى وحده لا يحقق النتائج المرجوة دون الاقتناع العلمى والطبى.

ومعنى ذلك منع الخمر منعا قاطعا فى المجتمع الإسلامى وذلك بمنع بيعها والاتجار فيها، ومنع صنعها أو استيرادها وما أصدق قول الرسول ﷺ «لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمول إليه، وأكل ثمنها [1]».

ولذلك كان العلاج الأول هو العلاج الجذرى أى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا بكافة الوسائل وشتى الطرق بعقاب الشارب والمتسبب والمشارك والتوعية الدنية والتثقيف الصحى كفيلان بمنع الأسباب التى تدعو إلى اقتراف هذه الجريمة وإذا تعطل السبب بطلت نتيجته وفقد فاعليته.

والأسباب هى:

الاعتقاد السائد بين الناس بأن للخمر فوائد جنسية أو إجتماعية أو أنها ضد البرد، وهذا الاعتقاد يأباه العقل ويبطله العلم والمنطق

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الأشربة: باب لعنت الخمر على عشرة أوجه جـ٢/١١٢١ عن ابن عمر رضي الله عنه.

وأبو داود: كتاب الأشربة: باب العصير والخمر جـ٣/٣٢٤.

والترمذى كتاب البيوع: باب النهى أن يتخذ الخمر خلا تحفة جـ٤/٤٢٥ وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ٣/٨٠ قال ورواته ثقات ط دار التراث القاهرة قال أبو عيسى هذا حديث غريب من حديث أنس

فضلاً عن أ -كم الأول وهو الدين، وعلاج ذلك يعتمد على التثقيف الصحى والتوعية العلمية.

الثانى: التخلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع.

السبب الثالث: الفراغ والملل.

وخير علاج لهذين السببين الأخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب، وحثهم على التمسك بتعاليم السماء، فالدين يعطى الإنسان هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحياة بدلا من الهروب من المشاكل بالمخدرات والمسكرات، وليس ذلك هروبا حقيقة وإنما هو دفع الإنسان بنفسه إلى التهلكة، وعلى الدولة مساعدة الجهات المختصة الدينية والصحية فى إنجاح العلاج وإثبات فاعليته لأن فساد الفرد فساد للمجتمع وأنهدار قيمه وأخلاقه ضياع وخسران للمجتمع فإنما الأمم الأخلاق كما يقول القائل إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

علم الوراثة

بين يدى الموضوع

الوراثة فى اللغة من أورثه الشئ أعقبه إياه تقول أورثه المرض ضعفا والحزن هما كذلك وأورث المطر النباتَ نعمةً وكله على الاستعارة والتشبية بوراثة المال والمجد[1] ومن سنة الله فى خلقه أن حبب إليهم التكاثر وجعله طبيعة فى الكائنات الحية من أجل استمرار الأنواع وهنا يتضمن انتقال صفاتها الوراثية من جيل إلى جيل، ومن [illegible] صفات الأبناء وتختلف بدرجة ما عن صفات الوالدين [illegible] علم الوراثة من أحدث العلوم البيولوجية وأهمها حاليا – حيث أن أسسه وقواعده لم تعرف قبل هذا القرن – إلا أنه استخدم دون علم بتلك الأسس منذ آلاف السنين.

فقد حث النبى ﷺ منذ ١٤٢٠ عاما على مراعاة العوامل الوراثية فى اختيار الزوجة فقال ﷺ «أنكحوا الأكفاء، وأنكحوهم، واختاروا لنطفكم، وإياكم والزنج، فإنه خلق مشوه» قال الدار قطنى: تابعه الحارث بن عمران[2] ولذا حرم الإسلام زواج الأخوة فى الرضاعة، لأن هذا يجعل الأخوة مثل أخوة الدم وزواج الأخوة ينتج نسلا ضعيفا وقد يكون مشوهاً.

وكذا كره الإسلام زواج الأقارب وفى ذلك روى عن عمر ﷺ أنه

---

(١) لسان العرب جـ١٥/٢٦٦ مادة ورث.

(٢) سنن الدار قطنى: كتاب النكاح: باب المهر جـ٣/٢٩٩.

وأورده الذهبى فى ميزان الاعتدال خلا قوله (وإياكم والزنج..الخ وقال : تابعه عكرمة ابن ابراهيم، عن هشام، وهو ضعيف وأصل الحديث مرسل جـ١/٤٣٩ وقال ابن حجر: رواه ابونعيم وفى إسناده مقال لكن يتقوى [illegible] الأسانيد بالآخر [illegible]

قال للسائب «اغتربوا لا تضووا [(1)]» أى تزوجوا الغرائب لئلا تجيء أولادكم نحافا ضعافا قال الغزالى: الشهوة تبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة [(2)].

قال الحافظ ابن حجر: أما قول بعض الشافعية يستحب أن لا تكون المرأة ذات قرابة قريبة فإن كان مستنداً إلى الخبر [(3)] فلا أصل له، أو إلى التجربة وهو أن الغالب أن الولد بين القريبين يكون أحمق فهو متجه [(4)].

وحقا لقد أثبت علم الوراثة الآن أنه كلما زادت صلات القرابة العائلية بين الزوجين كلما زاد احتمال انتقال عيوبها الجسمية والخلقية إلى الأولاد.

وفى نفس الوقت فكلما بعدت صلات الدم بينهما فإن إنتاجهما تظهر فيه الحسنات دون السيئات مثال ذلك إذ كان الأب أحول والأم قصيرة النظر فإن أطفالهما يجمعون بين الحول وقصر النظر إذا كان الزوجان على صلة قرابة قوية.

أما إذا بعدت صلات الدم بينهما وخاصة إذا كان كل من الزوجين من جنس مختلف (كأن يكون الأب عربيا والأم أجنبية) فإن الأطفال غالبا ما ينجون من ظهور العاهتين وقد يكون تأثير العامل

---

(1) يقال ضوى أتى بولد أو نسل ضعيف انظر المعجم الوسيط جـ٢/٥٦٧ والخبر رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث.

(2) إحياء علوم الدين للغزالى جـ٢/٥٥ ط دار مصر للطباعة.

(3) يقصد بذلك حديث (لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا).

(4) فتح البارى جـ٩/٢٨.

الوراثى خافيا مستتراً، فيطلق عليه فى هذه الحال العامل الوراثى الكامن أو المتنحى. كما يشير إليه حديث البخارى الذى نحن بصدد شرحه.

معالم وأسس الوراثة:

روى البخارى رحمه الله تعالى بسنده عن أبى هريرة ﷺ: «أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: ولد لى غلام أسود، فقال: هل لك من أبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال حُمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال نعم: قال: فأنى ذلك؟ قال: لعلَّ نزعه عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعه [1]».

ما يتضمنه الحديث:

(أورق) الأورق: الأسمر. والوُرقة: السُمرة يقال جمل أورق، وناقة ورقاء [2].

قال النووى: أما الأورق فهو الذى فيه سواد ليس بصاف ومنه قيل للرماد أورق وللحمامة ورقاء وجمعه وُرْق بضم الواو وإسكان الراء كأحمر وحمر والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيها بعرق الثمرة ومنه قولهم فلان معرق فى النسب والحسب وفى اللؤم والكرم.

ومعنى (نزعة عرق) أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه وأصل النزع الجذب فكأنه جذبه إليه لشبهه يقال منه نزع الولد لأبيه وإلى أبيه ونزعه أبوه ونزعه إليه.

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الطلاق: باب إذ عرض بنفى الولد فتح جـ٩/٢٥١.

ومسلم بشرح النووى: كتاب اللعان جـ١١/١٣٣، ١٣٤.

(٢) النهاية فى غريب الحديث جـ٥/١٧٥ مادة ورق.

وقوله ﷺ (أن رجلا) في رواية الإمام مسلم أن أعرابيا من بني فزارة وهو ضمضم بن قتادة.

واستدل بهذا الحديث الكوفيون والشافعي، فقالوا: لا حد في التعريض ولا لعان به لأنه ﷺ لم يوجب على هذا الرجل الذي عرَّض بامرأته حدا، وأوجب مالك الحد بالتعريض واللعان به أيضاً إذا فهم منه ما يفهم من التصريح وقال ابن العربي: في الحديث دليل قاطع على صحة القياس والاعتبار بنظيره من طريق واحدة قوية، وهو اعتبار الشبه الخلقي. وقال النووي: وفيه يلحق الولد الزوج، وإن اختلفت ألوانهما ولا يحل له نفيه بمجرد المخالفة في اللون، وفيه زجر عن تحقيق ظن السوء [1]. فضلا عن أن هذا الحديث قد دل على سعة علم رسول الله ﷺ، وقدرته التي لا تداني في الحوار والإقناع، بحيث أرجع السائل إلى ما يعهده من إبله سائلاً إياه عن ألوانها حتى إذا قرر السائل الحقيقة بنفسه كانت الحجة دامغة تملأ عقله وقلبه وتزيل ماقد ران على نفسه من ظلال الشكوك القائمة في زوجته فقد قرر تأثير العامل الوراثي الكامن الذي أكدته بحوث علماء الوراثة.

حيث إن علم الوراثة الحديث يؤكد أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيدا كل البعد عن كلا الأبوين كما حدث للفزاري الذي جاءته امرأته بغلام أسود حيث أن الصفات الوراثية قد تكون سائدة وقد تكون متنحية وهذا ما يقوله علماء الأحياء في قانون انعزال الصفات الوراثية

«إذا اختلف فردان نقيان في زوج من الصفات المتقابلة - فإنهما ينتجان بعد تزاوجهما جيلا به صفة أحد الأبوين فقط وهي السائدة، ثم تورث الصفتان معا في الجيل الثاني بنسبة ٣ - ١».

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١٤/ ٣٢٠.

وانظر الفتح وشرح النووي في المواضع السابقة.

وهذا ما يقرره قانون التوزيع المستقل للعوامل، فإذا تزوج فردان نقيان مختلفان في زوجين أو أكثر من الصفات المتقابلة – فإن صفتي كل زوج منها تورث مستقلة عن الأخرى، وتظهر في الجيل الأول كلها سائدة ثم تتوزع في الجيل الثاني بنسبة ٩:٣:٣:١ – أي بنسبة ٣ سائدة: ١ منتجة لكل صفة منها (١).

دور العائلة في الوراثة:

تعد العائلة جزء من العوامل الوراثية التي تساعد على انتشار التشوهات الخلقية نتيجة لزواج الأقارب وبالتالي يؤدي إلى ضعف النسل أو الإصابة بعاهات أو بالضعف العقلي، وقد ثبت في علم الوراثة أنه كلما زادت صلات القرابة العائلية بين الزوجين كلما زاد احتمال انتقال عيوبها الجسمية والخلقية إلى الأولاد.

وفي نفس الوقت فكلما بعدت صلات الدم بينهما فإن انتاجهما تظهر فيه الحسنات دون السيئات، فالأمراض الوراثية النادرة في المجتمع يكون احتمال ظهورها في الزوجين البعيدي النسب لا يزيد عن واحد في الألف، في حين يرتفع احتمال ظهور تلك الأمراض الوراثية النادرة إلى ٣٥٪ عندما يكون الزوجان أولاد عم أو خال أو عمه أو خاله. وعلى سبيل المثال.

١) مرض أنيما البحر المتوسط وهي عبارة عن تكسر سريع في كرات الدم الحمراء مما يسبب فقر دم شديد ويحتاج المريض في علاجه إلى نقل دم كامل على فترات منتظمة مدى الحياة وهو مرض خطير يتسبب في إنهاء حياة المريض في كثير من الأحيان.

---

(١) الأحياء المرحلة الأولى الثانوية صـ ١٩ ط الوزارة.

علم الاجتماع دكتور اليس اسكندر بشاى صـ ١٠٦-١٠٧ ط دار المعارف الإعجاز العلمي في السنة صـ ١٠٧-١٠٨.

٢) مرض نزيف الدم الوراثي، وفي هذا المرض فإن جميع الأطفال الذكور المولودين مصابون بحالة نزيف دم لأقل جرح يصابون به، وغالبا يستمر هذا النزيف دون توقف حتى الوفاة.

٣) وهناك مجموعة كبيرة من الأمراض التي تثبت بالوراثة أيضا مثل مرض السكر وارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وبعض الأمراض النفسية والعصبية كالصرع والجنون ففي هذه الحالات قد يرث الطفل الاستعداد للمرض من أبويه أو من أخواله أو أعمامه وقد تصل إليه العاهة من أجداده (١)، ومن هنا جاءت الحكمة في التحريم بسبب الرضاعة في قول النبي ﷺ «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة (٢)».

وذلك أن المرضعة تغذي الطفل بلبنها وهو جزء منها، فيدخل في تكوينه لحما وعظما، وتصبح كالأم النسبية التي غذته بدمها وهو حمل، ويصبح أقاربها أقارب له أيضا يقول الدهلوي «إن التي أرضعته تشبه الأم، من حيث أنها سبب اجتماع أمشاج وأجزاء بنيته وقيام هيكله، غير أن الأم جمعت خلقه في بطنها، وهذه درت عليه ما يسد رمقه في أول نشأته، فهي أم بعد الأم، وأولادها أخوة بعد الأخوة، وقد قاست في حضانته ما قاست، وقد ثبت في ذمته من حقوقها ما ثبت، وقد رأت منه في صغره ما رأت فيكون زواجها والاتصال بها اتصال الأزواج مما تمجه الفطرة السليمة وكم من بهيمة عجماء لا تلتفت إلى أمها هذه اللفتة، فما ظنك بالرجال؟ وأيضا فإن العرب كانوا يسترضعون أولادهم في حي من الأحياء فيشب فيهم الوليد، ويخالطهم كمخالطة المحارم، ويكون عندهم للرضاعة كلحمة النسب فوجب أن يحمل على النسب(٣).

---

(١) الطب الوقائي في الإسلام صـ١٧٠، ٢١٣، ٢١٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الرضاع جـ١٠/١٨ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) حجة الله البالغة للدهلوي جـ٢/٩٨ ط المطبعة الخيرية.

النظرية العلمية فى هذا الحديث:

أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت حديثا وجود أجسام فى لبن الأم المرضعة الذى يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية فى جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات ... وهذه هى الجرعة المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى فى حيوانات التجارب المولودة حديثا والتى لم يكتمل نمو الجهاز المناعى عندها... فبعد ما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذى ترضعه وبالتالى تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع فى هذه الصفات الوراثية.

ولقد وجد أن تكوّن هذه الجسيمات المناعية يمكن أن تؤدى إلى أعراض مرضية عند الأخوة فى حالة الزواج.

ومن هنا نجد الحكمة فى هذا الحديث الشريف الذى نحن بصدده فى تجربة زواج الإخوة من الرضاع الذي حرم بالسنة، وحرم بالقرآن أيضا في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ (١).

من المعروف أن الأدلة الشرعية لابد فيها من المنافع العامة والخاصة الخير الكثير والنفع العميم فقد أثبت الطب الحديث أن الاستعداد للإصابة بسرطان الثدى قد ينتقل عن طريق الرضاعة، ذلك أنه اكتشف أن الأم التى تنحدر من أسرة حدثت بها حالات سرطان الثدى، يحتوى لبن الثدى عندها على جزيئات دقيقة تشبه الفيروس، ومثل هذه الأم حيث تقوم بإرضاع طفل – سواء أكان من ذريتها أو من أخرى – فإنها تنقل إلى جسمه هذه الجزيئات الدقيقة التى تكمن فيه على مدى الحياة.

وعلى هذا .. فإن الحكمة من تحريم زواج الأخوات من الرضاعة هو منع قيام أسر ترتفع فيها احتمالات الإصابة بسرطان الثدى.

---

(١) سورة النساء اية رقم٢٣.

وفى أواخر السبعينات أقام فريق من علماء الأورام الأمريكان ببحث غاية فى الأهمية فى هذا الصدد، فقد قاموا بإحصاء حالات سرطان الثدى فى مدينة (بومباى) بالهند حيث توجد قبيلة (البارسى) وهذه القبيلة تعتبر كمجتمع مغلق لأنه لا يتم الزواج إلا بين أفراد القبيلة، وزواج الأخوات من الرضاعة فى هذه القبيلة شائع جداً، وزواج الأخوات من الرضاعة فى هذه القبيلة شائع جداً، وقد تبين أن سرطان الثدى يمثل خمسين فى المائة ٥٠٪ من حالات الإصابة بالسرطان بين الإناث، بينما الإصابة بسرطان الثدى بين النساء المسلمات فى مدينة (بومباى) منخفضة بالمقارنة بنساء قبيلة (البارسى) وقد جاء هذا البحث الذي استهدف محاولة لفهم أسباب حدوث سرطان الثدى وتأثير عوامل الوراثة فى ذلك دليلاً قاطعاً على الحكمة البالغة الأهمية من تحريم زواج الأخوات، وذلك لأنه تعرض بالبحث العلمى الدقيق إلى قبيلة عاشت مئات السنين فى عزلة تامة عن بقية سكان مدينة (بومباى) من المسلمين والهندوس، وقد ثبت فى هذا البحث ارتفاع نسبة حدوث سرطان الثدى بين أفراد القبيلة وكذلك ارتفاع نسبة وجود الكائنات الدقيقة فى لبن الثدى، وكل هذا نتيجة مباشرة لزواج الأخوة من الرضاعة فى قبيلة البارسى (١).

وبدون التجربة لابد أن فى أوامر الله ونواهيه حكمة بالغة وعظة واضحة ظاهرة يجب أن نتدبرها وإن غابت عن أذهان البعض فقد هيأ الله عز وجل لها من يبرزها ويفسرها تفسيراً وفقاً لأحدث ما وصلت إليه العلوم الطبية ... والاجتهاد فى هذا المجال كفيل بأن يضع للناس أسساً لفهم حكمة العبادات والمحرمات، لنزداد إيمانا بالخالق جل وعلا أنه قد أراد لنا الخير فى كل ما أمرنا به. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

---

(١) الطب الإسلامى شفاء بالهدى القرآنى صـ٣٢

وانظر الإعجاز العلمى فى الإسلام صـ١٠٧

الله والعلم الحديث د/ عبد الرزاق نوفل صـ٢٠٢ وما بعدها.

العلاقة بين الدين والجنس:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتملت؟ فقال النبى ﷺ: «إذا رأت الماء» فغطت أم سلمة – تعنى وجهها – وقالت يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال نعم: تربت يمينك فبم يشبهها ولدها (١)».

ما يتضمنه الحديث:

قوله ﷺ (إن الله لا يستحيى من الحق) قدمت أم سليم هذا القول تمهيداً لعذرها فى ذكر ما يستحى النساء من ذكره بحضرة الرجال.

والحياء فى اللغة: تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به أو يذم عليه وهو مستحيل فى حق الله فيحمل على أن الله لا يأمر بالحياء فى الحق أولا يمنع من ذكر الحق.

قوله ﷺ (وتحتلم المرأة) معطوفة على مقدر يعرف من السياق أى أترى المرأة الماء وتحتلم؟ وفى هذا دليل على أن الاحتلام يكون فى بعض النساء دون بعض ولذلك أنكرت أم سلمة ذلك لكن الجواب يدل على أنها أنكرت وجود المنى من أصله ولهذا أنكر عليها.

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الغسل: باب إذا احتملت المرأة جـ١ فتح / ٤٦٢.

وصحيح مسلم بشرح النووى: كتاب الحيض: باب وجوب غسل المرأة بخروج المنى منها جـ٣/٢٢٣ (أم سليم) هى بنت ملحان بنت خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ اشتهرت بكنيتها واختلف فى إسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل غير ذلك تزوجت مالك بن النضر فى الجاهلية، فولدت أنسا فى الجاهلية وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها، روت عن النبى ﷺ عدة أحاديث رضي الله عنها الاصابة جـ٨/٤٠٨.

قوله ﷺ (ترب يمينك) والمقصود من هذه العبارة إنكاره لما قالته أم سلمة ﵂ لأم سليم وأراد أن يثبت دليل وجود الماء وهو الشبه في الأبناء فقد جاء في رواية الإمام مسلم أن الرسول ﷺ قال:دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه(١)» وفي هذا دليل على أن الولد مخلوق من مائهما معا.

وفي الحديث دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال، وكذا على الرجل، لأن حكمه عليه الصلاة والسلام على واحد حكمه على الجماعة إلا إذا دل دليل على تخصيصه به.

وقد جاء في وصف الماءين ما جاء في رواية للإمام مسلم ... فقالت أم سليم واستحيت من ذلك قالت: وهل يكون هكذا فقال نبي الله ﷺ: نعم فمن أين يكون الشبه إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا وسبق يكون منه الشبه».

قال الإمام النووي: هذا أصل عظيم في بيان صفة المني وهذه صفته في حال السلامة وفي الغالب قال العلماء: مني الرجل في حال الصحة أبيض ثخين يتدفق في خروجه دفقة بعد دفقة ويخرج بشهوة ويتلذذ بخروجه وإذا خرج استعقب خروجه فتورا ورائحة كرائحة طلع النخل ورائحة الطلع قريبة من رائحة العجين وقيل تشبه رائحته رائحة الفصيل وقيل إذا يبس كانت رائحته كرائحة البول وهذه صفاته وقد يفارقه بعضها مع بقاء ما يستقل بكونه منيا، وذلك بأن يمرض فيصير منيه رقيقا أصفر أو يسترخي وعاء المني فيسيل من غير التذاذ وشهوة...الخ ومني المرأة أصفر رقيق وقد يبيض لفضل

---

(١) مسلم بشرح النووي الموضع السابق.

قوتها وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما أحدهما أن رائحته كرائحة مني الرجل، والثانية التلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه.

قالوا: ويجب الغسل بخروج المني بأي صفة وحال كان

ومن هذا الحديث نلمس بوضوح الاعجاز العلمي الرائع في قوله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء وهو ما كشف عنه العلم الحديث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهذا إحدى المعجزات العلمية العديدة التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ (١).

النظرية العلمية في هذا الحديث:

أثبت العلم أن للمرأة نوعين من الماء:

أولهما: ماء لزج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل.... وليس له علاقة في تكوين الجنين، سوى أنه يساعد في الإيلاج، وفي ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات.

وثانيهما: ماء يتدفق وهو يخرج مرة واحدة في الشهر من حويصلة جراف بالمبيض، عندما تقترب هذه الحويصلة المليئة بالماء الأصفر من حافة المبيض فتنفجر عند تمام نموها وكماله، فتنذلق المياه على أقتاب البطن ويتلقف البوق - هو نهاية قناة الرحم ويسمى قناة فالوب - البويضة، فيدفعها دفعا رقيقا حتى تلتقي بالحيوان المنوي الذي يلقحها في الثلث الوحشي من قناة الرحم، وهذا الماء يحمل البويضة مثلما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية... وعند الجماع يختلط هذا الماء بمني الرجل ويدفع هذا الماء المختلط إلى الرحم، ومنه إلى قناة الرحم حيث يتم تلقيح البويضة.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم جـ٣/٢٢٠ - ٢٢٨

وفتح الباري على صحيح البخاري جـ١/٤٦٢ - ٤٦٣

وعمدة القاري، شرح صحيح البخاري جـ٣/٦٦ - ٦٩.

جنس الجنين ذكر أم أنثى:

جاء في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ أجاب اليهودى الذى سأله عن الولد: «... ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلى منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله .... وإذا علا منى المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله قال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى ثم إنصرف [١]»

تضمن الحديث الشريف حقيقة علمية، وهى أن ماء المهبل يميل إلى الصفرة، وكذلك الماء فى حويصلة جراف، وعند خروج البويضة من هذه الحويصلة تدعى حينئذ الجسم الأصفر.

والجنين يتكون من إتحاد حيوان منوى واحد مع بويضة واحدة.

وتتكون نطفة الذكر أى السائل المنوى من سائل لزج لا يزيد حجمه عن ٣سم٣، ويسبح فى هذا السائل بضعة ملايين من الحيوانات المنوية الدقيقة التى تتكون من رأس وذيل وتتكون هذه الحيوانات فى غدة الخصية (ويبلغ عددها فى المنطقة الواحدة قرابة الثلاثمائة مليون).

وهناك حقيقتان علميتان هامتان لم تكن أى منهما معروفة إلا فى العصر الحديث جداً:

الأولى: أن الخصية موضعها الأول فى جسم الإنسان هو فى البطن على جانبى العمود الفقرى، وقبل الولادة تنزل الخصية من البطن فى الشهر الثامن إلى كيس الخصية خارج البطن ... وفى بعض الأطفال قد يتأخر نزول الخصية بعد الولادة فيحتاج الأمر إلى عملية جراحية لانزالها إلى مكانها الطبيعى.

---

(١) مسلم بشرح النووى: كتاب الحيض: باب وجوب غسل المرأة بخروج المنى منها جـ٣/٢٢٦ و ٢٢٦. وانظر معه شرح النووى نفس الموضع.

والحقيقة الثانية:

أن الحيوانات المنوية نوعان ... نوع يحمل عنصر الذكورة ويرمز إليه برمز Y والآخر يحمل عنصر الأنوثة ويرمز إليه برمز X فهذا الحيوان المنوى هو الذى يقرر نوع الجنين إن كان ذكراً أو أنثى عند إتحاده بالبويضة.

وتقطع الخلايا المنوية رحلة طويلة من المهبل إلى عنق الرحم إلى قاعدة الرحم ثم تدخل القناة المهبلية لتلقيح البويضة، وقد قدرت هذه السرعة بثلاث ملميترات فى الدقيقة الواحدة ... وهذه السرعة بالقياس إلى الحجم المكيروسكوبى الدقيق للحيوان المنوى تعادل سيارة منطلقة بأقصى سرعتها (١).

وعليه فما جاء فى الحديث (إذا علا منى الرجل منى المرأة الخ...) سواء أكان المراد بالعلو السبق أو كان المراد الكثرة والقوة بحسب كثرة الشهوه، فإن كانت الغلبة للحيوانات المذكرة كان ذكراً، وإن كانت المؤنثة كان أنثي بإذن الله، وهذا واضح في كلام النبيﷺ، وهذا أيضا ما فطنت إليه المرأة العربية فقالت:

مال أبى حمزة لا يأتينا ... ينام فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... والله ما ذاك فى أيدينا
ولكن نحن كالأرض لزارعينا ... تنبت ما قد زرعوه فينا

---

(١) الطب الوقائى فى الإسلام صـ١٢٧ – ١٤٠.
والطب الإسلامى شفاء بالهدى القرآنى صـ٢٤ – ٢٨.
الاعجاز العلمى فى الإسلام صـ٩٥ – ١٠٠
طبيبك الخاص صـ٢٢ – ٢٥ مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال سنة ١٩٩١.

الفصل الرابع

الأمراض النفسية وعلاجها

علاج الكرب والهم:

روى البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: كان النبيﷺ يدعو عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم(١).

ما يتضمنه الحديث:

(الكرب) الحُزْن والْغَمُّ الذى يأخذ بالنفس وجمعه كروب، وكربه الأمر والغم يكرُبُه كربا اشتد عليه فهو مكروب وكريب(٢).

سببه والأمراض الناجمة عنه:

الضعف الجنسي والتوتر العصبي وينشأذلك من الخوف، القلق، التوتر، الاكتئاب عدم الشعور بالأمان، كلها مسميات للحالات النفسية التي يعانى منها إنسان هذا العصر ... الذى تعرض لضغوط الحياة الحديثة وماديتها التى أصبحت تسيطر على كل شىء فى هذه الحياة، فأختفى الشعور بالأستقرار والأمان والثقة فى الغد، وتلاشت البسمة على الشفاه، وحل محلها التوتر العصبى الذى أصبح يسيطر على جميع ردود أفعالنا مع الأحداث، وبالتالى فقد انعكس على جميع تصرفاتنا، تاركا على أجسادنا بصماته الواضحة التى عرفت بالأمراض النفسية الجسمية، أى الأمراض التى تؤدى فيها الحالات النفسية إلى المعاناة من الأعراض العضوية

---

(١) البخارى: كتاب الدعوات: باب الدعاء عند الكرب فتح جـ١١/١٤٩.

ومسلم بشرح النووى: كتاب الذكر والدعاء والتوبة: باب دعاء الكرب جـ٧/٤٧.

(٢) النهاية فى غريب الحديث ج٤/١٦١ باب الكاف مع الراء

ولسان العرب جـ١٢/٥٧ مادة كرب.

يقول الشاعر

والهم يضني الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الغراب ويهرم

وما أكثر الأمراض من جراء ذلك التى تسيطر على جميع أجزاء الجسم وتسبب نحوفته ونحولته التى يصبح بها خامل الجسم كسلان فضلا عن الأمراض العضوية كأمراض القلب وارتفاع ضغط الدم، وأمراض الجهاز الهضمى كالقرحة وسوء الهضم والمصران الغليظ وغيرها من الأمراض العضوية الأخرى إن إنسان هذا العصر الذى أدت به ظروف الحياة إلى المعناة من التوتر العصبى الذى أصبح صفة تلازمه طوال يومه، هذا الإنسان أصبح معرضا للمعاناة فى جميع الأمراض والأعراض العضوية التى كان - إلى عهد قريب - فى منأى عنها، عندما كانت الحياة سهلة يسيرة، يسودها الود وتسيطر عليها العلاقات الإنسانية المليئة بالمحبة، لتوفر لها الطمأنينة والاستقرار والشعور بالأمان والجهاز التناسلى مثله مثل باقى أجهزة الجسم يتأثر تأثرا مباشرا بالحالة النفسية بل إنه أكثر تأثراً من باقى أجهزة الجسم. فالإنسان ينأى بتفكيره عن الجنس فى حالات القلق والتوتر، وحتى إذا حاول إرغام نفسه عليه. فإن استجابته للمؤثرات الجنسية تكون ضعيفة أو أنها قد تنعدم فى معظم الحالات.

ومن الأمراض أيضا التى تسببها حالات القلق ضعف الذاكره، والنسيان[1] وغير ذلك من أمراض أخرى، وعلاج كل ذلك ورد فى السنة النبوية المطهرة .

(١) طبيبك الخاص مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال صـ٧٦، ٧٧ صـ١٢٠ بتصرف يسير .

علاج الهمّ والغمّ والكرب والحُزْن والاكتئاب:

اللجوء إلى الله عز وجل مفتاح أبواب الخير، وملجأ كل خائف ومنجاه وملاذه ودفع لهمه وزوال لحزنه وغمه وقضاء لدينه وتفريج لكربه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال:«يا أبا أمامة مالى أراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة» فقال: هموم لزمتنى، وديون يا رسول الله، فقال: ألاعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همى، وقضى عنى دينى[1].

فعند حلول الكرب كان النبى ﷺ يلجأ إلى ربه ومولاه فيقول (لا إله إلا الله العظيم الحليم) وهذه العبارة تشتمل على التوحيد الذى هو أصل التنزيهات المسمات بالأوصاف الجلالية، وعلى العظمة التى تدل على القدرة العظيمة إذ العاجز لا يكون عظيماً، وعلى الحلم الذى يدل على العلم، إذ الجاهل بالشىء لا يتصور منه الحكم، وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية.

ووجه تخصيص الذكر بالحليم لأن كرب المؤمن غالبا إنما هو على نوع تقصير فى الطاعات أو غفلة فى الحالات وهذا يشعر برجاء العفو المقلل للحزن .

---

(١) أبو داود: كتاب الصلاة: باب فى الاستغفار جـ١/٥٧٤.

فإن قيل الحلم هو الطمأنينة عند الغضب، فكيف تطلق على الله عز وجل؟

قال العيني: تطلق عل الله ويراد لازمها وهو تأخير العقوبة.

فإن قيل: هذا ذكر لادعاء؟

قال العيني: إنه ذكر يستفتح به الدعاء لكشف الكرب.

قوله ﷺ (رب السموات والأرض) خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة المالك والسيد والمدبر والمربي والمتمم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال: رب كذا قوله ﷺ (رب العرش العظيم) هذا أيضاً يشتمل على التوحيد والربوبية وعظمة العرش ووجه ذكر الرب جل وعلا هنا من بين سائر الأسماء الحسنى.

هو كونه مناسبا لكشف الكرب الذى هو مقتضى التربية.

وتخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى، ثم لفظ العظيم، صفة للعرش بالجر عند الجمهور.

وفى رواية أخرى للبخارى (ورب الغرش الكريم) ووصف العرش هنا بالكريم أى: الحسن من جهة الكيفية فهو ممدوح ذاتا وصفة.

وفى الحديث السابق وصفه من جهة الكمية، قال ابن بطال: حدثنى أبو بكر الرازى قال: كنت بأصبهان عند أبى نعيم أكتب الحديث عنه، وهناك شيخ يقال له أبو بكر بن على، عليه مدار الفتيا، فسعى به عند السلطان فسجنه، فرأيت النبى ﷺ فى المنام وجبريل عليه السلام عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لى النبى ﷺ، قل لأبى بكر بن على يدعو بدعاء الكرب الذى في (صحيح البخارى) حتى يفرج الله

عنه، قال: فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلاً حتى أخرج من السجن.

وقال الحسن البصري رحمه الله: أرسل إلى الحجاج فقلتهن فقال: والله أرسلت إليك وأنا أريد أن أقتلك فلأنت اليوم أحب إلى من كذا وكذا، وزاد في لفظة فسل حاجتك(١).

علاج الهم والحزن والغم والكرب:

جعل الله عز وجل لكل عضو من أعضاء الإنسان كما لا إذا فقده أحس بالألم، وجعل لملكها وهو القلب كمالا، إذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان، والقلب إنما خلق لمعرفة فاطره ومحبته والسرور به، والابتهاج بحبه والرضى عنه، والتوكل عليه وكل ما من شأنه أن يوصل إلى محبة الله عز وجل ويبعد عن مساخطه يقين كامل ومحبة صادقة لا كما يقول القائل

تعصى الإله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وفى طاعة الله عز وجل سرور ولذة، ولا حياة إلا بذلك وهذا للقلب بمنزلة الغذاء والصحة والحياة، فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته، فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب إليه، ورهن مقيم عليه.

وإذا تأملت أمراض القلب وجدت أن معظم أدوائه الشرك والغفلة والاستهانة بمحابّة ومراضيه وهذه الأمور وأمثالها هى أسبابها لا سبب لها سواها، فدواؤه الذى لا داء به سواه ما تضمنته هذه العلاجات

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١/١٥٠ – ١٥٢.

وعمدة القارى، شرح صحيح البخارى جـ١٥/٤٤٥، ٤٤٦.

النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدواء، أن المرض يزال بالضد، والصحة تحفظ بالمثل، فصحته تحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضه بأضدادها.

فالتوحيد: يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والابتهاج، والتوبة استفراغ الأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور والتوبة والاستغفار قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: من أرادها فيه الجسم، فليقلل من الطعام والشراب، ومن أرادها فيه القلب، فليترك الآثام.

وقال ثابت بن قرة: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

والذنوب للقلب، بمنزلة السموم، إن لم تهلكه أضعفته، ولابد، وإذا ضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الأمراض، قال عبد الله بن المبارك

رأيت الذنوب تميت القلوب * وقد يورث الذلَّ إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب * وخيرٌ لنفسكَ عصيانها

واتباع هوى النفس أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس ظالمة جاهلة وهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء فتعتمده، وتضع الدواء موضع الداء فتجتنبه، فيتولد من بين إيثارها الداء واجتنابها الدواء أنواع من الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء ويتعذر معها الشفاء.

وإذا وصل العليل إلى هذه الحال، فلا يطمع في برئه إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة،

فلهذا كان حديث ابن عباس ﵁ فى دعاء الكرب مشتملاً على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحكم.

فمعرفة الله عز وجل توجبُ محبته وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجدُ المريض إذا ورد عليه ما يسرُّه ويفرحه، ويقوى نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسِّى فحصول هذا الشفاء لقلب أولى وأحرى.

ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التى تضمنها دعاء الكرب وجدته فى غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور، وهذه الأمور إنما يصدق بها من أشرقت فيه أنوارها، وباشر قلبه حقائقها.

فتأثير الذنوب والآثام فى القلوب لا دواء لها إلا التوبة والاستغفار، واللجوء إلى الحليم القهار والدعاء بما دعا به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام والاستنان بسنته فقد قال النبى ﷺ «دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلاتكلنى إلى نفسى طرفة عين أصلح لى شأنى كله «لا إله إلا أنت[1]».

ويكثر من الاستغفار قال ﷺ «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب[2]».

وقوله ﷺ دعاء ذى التوبة إذ دعا به وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين إنه لم يدع بها رجل مسلم فى

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٥/٤٢.

وسنن أبى داود: كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح جـ٤/٣٥٨ عن أبى بكرة .

(٢) أبو داود: كتاب الصلاة: باب فى الاستغفار جـ١/٥٦٢ عن ابن عباس ﵁.

وابن ماجة: فى كتاب الأدب: باب فى الاستغفار جـ٢/١٢٥٤ عن ابن عباس ﵁.

شيء قط إلا أستجيب له (١) » وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبد له مكانه فرجا قال: فقيل يا رسول الله: ألا نتعلمها فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها(٢)» ثم يتوسل إلى ربه بأسمائه التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا منها، ما ستأثر في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبيا مرسلاً وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى الله، وأقربها تحصيلا المطلوب(٣).

ويتوسل إلى الله كذلك بأداء العبادة والمحافظة عليها من صلاة وجهاد وصيام وكلها من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا من دفع الهم والغم وتفريج الكرب والغم والكرب الذي يؤدي بصاحبه إلى إنهاء حياته، وهذا الأمر كان يمكن السيطرة عليه من خلال العلاج النفسي المتقدم والطبيب النفساني يعالج بنفس الصورة - راحة المريض نفسياً - وإن اختلفت الكيفية والطريقة، وبهذا العلاج تزول الأعراض ويعود المريض إلى حالته الطبيعية، لكن للأسف قد تختلف

---

(١) الحاكم: كتاب التفسير: تفسير سورة الأنبياء جـ٢/٣٨٢ عن محمد بن سعد عن أبيه عن جده وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ١/٣٩١

والحاكم : في كتاب الدعاء: ما يذهب الهم والحزن جـ١/٥٠٩ وقال على شرط مسلم: إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه وقال الذهبي: وأبو سلمة لا يدرى من هو ولا رواية له في الكتب الستة.

(٣) مستفاد من زاد المعاد لابن القيم جـ٤/١٥٥ - ١٦٧ والتداوي والاستشفاء بطب رسول الله للأستاذ / مجدي الشهاوي ص٢٥ ط المكتبة التوفيقية.

النتيجة في أغلب الأحيان لرفض المريض للعلاج متعللاً بأسباب غير حقيقية إما بأن مرضه عضوى لا نفسى أو بفضل الطبيب المعالج، ولو فهم المريض أن الأسباب النفسية لا مجال لعلاجها إلا من خلال العلاج النفسى بوسائله وطرقه المختلفة.

ولو فهم المريض أن العلاج النفسى الصحيح يؤدى إلى التخلص من الأسباب النفسية، واختفاء الأعراض العضوية والعودة إلى الحالة الطبيعية.

لو فهم كل مريض هذه الأمور، وأقبل على العلاج النفسى بنفس الحماس الذى يقبل به على العلاج العضوى، لأختفت تماما ظاهرة المرض عنده سواء أكان جنسياً أو عضوياً.

عيادة الأمراض النفسي:

يرجع الطب النفسى أسباب الإضطرابات النفسية، والقلق والنسيان إلى معصية الخالق جل وعلا، فيقول الدكتور/ عبد الشافى متولى خشبة فى إجابته على سؤال ورد إليه مفاده منذ الصغر أحب لبس ملابس النساء لدرجة أننى أحدثت ثقبا بالأذن للبس الحلق. إننى قلق وأخاف من الزواج... فبماذا تنصحنى؟

فأجاب بقوله «من وصفك لنفسك فى رسالتك يتضح أنه بالفعل سلوك غير مرضى يتطلب العلاج الطويل الذى يحتوى على العلاج السلوكى والعلاج الدوائى.

وهذه الحالة تصنف ضمن الأمراض النفسية «الجارجنسية» .. فهى ليست مرضاً جنسياً نفسياً، ولكنها مجاورة له، ففى هذا السلوك ما يدل على وجود خلل نفسى يتعلق بالشكل، وهو ما يسمى رؤية الإنسان لنفسه بشكل يرضى عنه، أى أنه لا يرضى عن جنسه الذى خلق عليه.. ولذا فإن الخطأ ليس خطأ سلوكيا نفسياً فقط ولكنه يمتد إلى الاقتناع بالذات وبنوعه، وإلى الإيمان بصحة ما خلق عليه الإنسان وفى هذا معصية للخالق جلا وعلا أيضا، وهذه الحالة

بالقطع لها علاج، وهو في أغلب الأحوال يتوقف على الأسباب التى أدت إلى هذه الظاهرة، ولذا فالعلاج بداية يبدأ بالتحليل النفسي للوصول إلى سبب هذه العقدة أو الحالة وبالوصول إلى السبب تبدأ مناقشته مع المريض، وقد يحتاج إلى العلاج الدوائى بجانب ما سبق ذكره والعلاج يكون سلوكيا ويعتمد على ما يسمى بالتحصين التدرجي أى يتم ذلك بشكل تدرجي من المؤثر البسيط إلى الأكبر منه، حتى يتم التعود عليه، فلا يحدث الخوف منه قلق ونسيان.

س: أعانى من النسيان بصورة كبيرة .... فمياذا أفعل.. وما السبب؟

جـ: تقولين فى رسالتك أن هذه الحالة لم تنتابك إلا وأنت تلميذة فى الثانوى وهذه المرحلة السِّنية تتسم بالقلق والبحث عن صيغة مناسبة للإنسان تحت شمس هذا العالم ... وفى حالة وجود هذا القلق والإنشغال يكون التركيز أقل كثيراً من معدلاته العادية والطبيعية.

ولكى تطمئنى .. فهذه المرحلةلابد أن لها نهاية، فهى مرحلة عارضة .. ولكن لابد من المثابرة والاجتهاد حتى يتم التغلب على ما تعانين منه، وإذا استطاع الإنسان التغلب على جزء من معاناته فإنه يسجل رصيداً للنجاح فى هذه المعركة ومن ثم فإنه يقوى العزيمة ويؤكد الثقة بالنفس(١). قال الإمام الشافعى رحمه الله:

سألت وكيع عن سوء حفظى * فأرشدني إلى ترك المعاصى

وقال إن علـم اللـه نـور * ونور الله لا يهدى لعاصى

فليحذر الفرد المخالفة، واليتبع هدى النبى ﷺ فهو علاج سلوكى لا يعادله علاج وأنت ترى أن الأطباء النفسانيين يعالجون به الذى وضع الرسول ﷺ أساسه من ١٤٢٠ عاماً أليس يعد ذلك إعجازاً علمياً تخر له الجبابرة ساجدين.

---

(١) طبيبك الخاص مجلة تصدرها دار الهلال مقال للدكتور/ عبد الشافى خشبة مدرس الأمراض النفسية والعصبية بالزقازيق ص١٢٠ سنة ١٩٩١.

الإصابة بالعين وعلاجها:

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العين حقٌ ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا[1]».

ما يتضمنه الحديث:

(عين) يقال: أصابت فلاناً عين إذا نظر إليه عدوٌ أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها. يقال: عانه بعينه فهو عائن، إذا أصابه بالعين، والمصاب معين، ومنه الحديث «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين[2]».

وقال ابن حجر: والعين نظر باستحسان مشوب بحسد من حيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر، وقد وقع عند أحمد عن أبي هريرة رفعه قال رسول الله ﷺ : «العين حق ويحضرها الشيطان، وحسد ابن آدم[3]».

وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟

والجواب: أن طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون، وقد نقل عن بعض من كان معايناً أنه قال: إذا رأيت شيئاً يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني.

(١) مسلم بشرح النووي: كتاب السلام: باب الطب والمرض والرقى جـ١٤/١٧١.

(٢) النهاية في غريب الحديث جـ٣/٣٣٢ مادة عين

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٢/٤٣٩ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٥/١٠٧ ورجال أحمد رجال الصحيح.

ويقر بذلك للمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد، ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد، وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسها يدها.

ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد، ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو، أشار إلى ذلك ابن بطال.

وقال الخطابي: في الحديث أن في العين تأثير في النفوس وإبطال قول الطبائعيين أنه لا شيء إلا ما تدرك الحواس الخمس وما عدا ذلك لا حقيقة له.

وقال المازري: زعم بعض الطبائعين أن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك أو يفسد وهو كإصابة السم في نظر الأفاعي، وأشار إلى منع الحصر في ذلك مع تجويزه، وأن الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر، وهل ثم جواهر خفية أو لا؟ أو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي إلى الإسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون، وتتخلل مسام جسمه، فيخلق الباريء الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم فقد أخطأ بدعوى القطع، ولكن جائز أن يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة.أ.هـ

قال ابن حجر: وهو كلام سديد.

وقد بالغ ابن العربي في إنكاره قال: ذهبت الفلاسفة إلى أن الإصابة بالعين صادرة عن تأثير النفس بقوتها فيه، فأول ما تؤثر في نفسها ثم تؤثر في غيرها،

وقيل: إنما هو سم في عين العائن يصيب بلفحة عند التحديق إليه كما يصيب لفح سم الأفعى من يتصل به، ثم رد الأول بأنه لو كان كذلك لما تخلفت الإصابة في كل حال، والواقع خلافه، والثاني: بأن سم الأفعى جزء منها وكلها قاتل، والعائن ليس يقتل منه شئ في قولهم إلا نظرة وهو معنى خارج عن ذلك، قال: والحق أن الله يخلق عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ماشاء من ألم أو هلكة، وقد يصرفه قبل وقوعه إما بالاستعاذة أو بغيرها، وقد يصرفه بعد وقوعه بالرقية أو بالأغتسال أو بغير ذلك. أ.هـ.

وفيه بعض ما يتعقب، فإن الذى مثل بالأفعى لم يرد أنها تلامس المصاب حتى يتصل به من سمها، وإنما أراد أن جنساً من الأفاعي أشتهر أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن، وقد أشار ﷺ إلى ذلك في الحديث عند ذكر الأبطر وذى الُطفيتّين قال: «فأيهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل[1]» وليس مراد الخطابى بالتأثير المعنى الذى يذهب إليه الفلاسفة، بل أجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون، وقد أخرج البزار بسند حسن عن جابر رفعه، «أكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس[2]» قال الراوى: يعنى بالعين.

وقد أجري الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه عسرة شديدة لم تكن قبل ذلك، وكذا الاصفرار عند

---

(١) صحيح البخارى: كتاب بدء الخلق: باب قوله تعالى (وبث فيها من كل دابة .. الخ فتح جـ٦/٣٩٩ عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار: كتاب الطب: باب ما جاء في العين جـ٣/٤٠٣ قال البزار: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد، وقال الهيثمى في مجمع الزوائد جـ٥/١٠٦ رجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة.

رؤية من يخاف، وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، وليست هى المؤثرة وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة فى طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة.

والحاصل أن التأثير بإرادة الله تعالى وخلقه ليس مقصوراً على الإتصال الجسمانى، بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية وأخرى بتوجه الروح كالذى يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله، وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل، فالذى يخرج من عين العائن سهم معنوى إن صادف البدن لا وقاية له أثر فيه، والألم ينفذ السهم، بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسى سواء[1].

قال ابن القيم: وظاهر الأحاديث إثبات العين التى تصيب إما بجعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه فيها، وإما بإجراء العادة بحدوث الضر عند تحديد النظر، وإنما جرى الحديث مجرى المبالغة فى إثبات الضرر عند تحديد النظر، وفى إثبات العين لا أنه يرد القدر شىء إذ القدر عبارة عن سابق علم الله، وهو لا راد لأمره.

وحاصله لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين، لكنها لا تسبق، فكيف غيرها؟.

وقد رد ابن القيم رحمه الله تعالى على من أنكر تأثير العين فقال:«أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابا، وأكثفهم طباعا، وأبعدهم معرفة عن

---

(١) فتح البارى جـ١٠/٢١٠ ـ ٢١١.

الأرواح والنفوس، وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع، أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين، وأن تأثيرها غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العاين لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية(١).

قوله ﷺ (ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين)

قال الامام النووي رحمه الله تعالى: فيه إثبات القدرة وهو حق بالنصوص وإجماع أهل السنة ....، ومعناه أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى، ولا تقع إلا على حسب ما قدر الله تعالى وسبق بها علمه فلا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى وفيه صحة أمر العين وأنها قوية الضرر(٢). وقد ذكر الشوكاني في نيل الأوطار ما يفيد هذا المعنى أيضاً قوله ﷺ (و إذا استغسلتم فاغسلوا) قال ابن عبد البر: «... وفيه أن العائن يؤمر بالاغتسال للذى عانه، ويجبر على ذلك إن أباه، لأن الأمر حقيقته الوجود، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، لا سيما إذا كان بسببه، وكان الجاني عليه، فواجب على العائن الغسل عندى والله أعلم(٣) وكيفية الغسل ستأتى في باب العلاج.

---

(١) زاد المعاد لابن القيم الجوزية جـ٤/١٣٠.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم جـ١٤/١٧٤

ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨/٢١٦.

(٣) التمهيد لابن عبد البر جـ٦/٢٤١ وانظر جـ١٣/٧٠.

وقال المازرى: وقد اختلف فى العائن هل يجبر على الوضوء للمعيون أم لا؟ واحتج من قال بالجبر بقوله فى الموطأ: «توضأ له[1]» وبقوله له فى مسلم «وإذا استغسلتم فاغسلوا» وهذا أمر يحمل على الوجوب ويتضح عندى الوجوب ويبعد الخلاف فيه، إذا خشى على المعيون الهلاك، وكان وضوء العائن مما جرت العادة بالبدء به، أو كان الشرع أخبر به خبراً عاماً، ولم يمكن زوال الهلاك عن المعيون إلا بوضوء هذا العائن فإنه يصير من باب من تعين عليه إحياء نفس مسلم[2].

علاج المحسود:

يتم علاج المحسود بطريقتين هما:

١) رقية المحسود بالرقى والتحصنات القرآنية والنبوية.

ويلجأ إلى رقية المحسود إذا لم نعرف: من هو الحاسد؟ والرقية مشروعة بشرط توافر الشروط التى حددها العلماء للرقية وسيأتى الكلام عنها .

٢) اغتسال المحسود بماء غسل الحاسد

وتستخدم هه الطريقة إذا عرف الحاسد . وقد تقدم حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق... الخ الحديث وعن عائشة ﷺ قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغسل منه المعين[3]» .

صفة الاغتسال:

لم يبين حديث ابن عباس صفة الاغتسال، وقد روى الامام أحمد

(١) تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك: كتاب الجامع: الوضوء من العين جـ٣/١١٨.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٤/١٧٢.

(٣) أبوداود: كتاب الطب: باب ماجاء فى العين جـ ٣٩٠٣.

ابن حنبل عن سهل بن حنيف: «أن النبي ﷺ خرج وسار معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجعفة، اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أحد بني عدى بن كعب وهو يغتسل، فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط سهل (أى سقط إلى الأرض) فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه، قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيَّظ عليه، وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرَّكت» ثم قال له: اغتسل له فغسل وجهه ويديه، ومرفقيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس[1]».

قال بدر الدين العيني رحمه الله: وأحسن شيء في تفسير الاغتسال ما وصفه الزهري (راوي الحديث الذي عند مسلم): «يؤتى بقدح من ماء ثم يصب بيده اليسرى على كفه اليمنى، ثم بكفه اليمنى على كفه اليسرى، ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على مرفق يده اليمنى، ثم بيده اليمنى على مرفق يده اليسرى، ثم يدخل يده اليمنى فيغسل الركبتين ثم يأخذ داخلة إزاره فيصب على رأسه صبة واحدة، ولا يضع القدح حتى يفرغ، وأن يصب من خلفه صبة واحدة يجرى على جسده، ولا يوضع القدح في الأرض - أثناء الاغتسال - ويغسل أطرافه وركبتيه وداخلة إزاره في القدح [2]».

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٣/٤٨٦ مسند سهل بن حنيف رضي الله عنه .

(٢) عمدة القاري، صحيح البخاري جـ١٤/٧٢٠.

وقال النووي: داخلة إزاره هو الطرف المتدلى (من ثوبه) الذى يلى حقوه الأيمن (وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج)، وجمهور العلماء على ماقدمناه[1] . ويصب الماء على رأس المحسود وظهره فجاة من خلفه، ثم يكفأ الإناء فى الأرض..

قال الشيخ بدر الدين العينى: يؤمر العائن بالأغتسال ويجبر إن أبى، لأن الأمر حقيقة للوجول، ولا ينبغى لأحد أن يمنع أخاه ما ينتبفع به أخوه ولا يضره هو، لا سيما إذا كان سببه وهو الجانى عليه[2].

هذا العلاج بعد استحكام العين وحصول الضرر فإن ما تقدم يزيله بإذن الله تعالى أما قبل حصول الضرر والاستحكام فالتحصين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية للوقاية منه وارد وهو نافع بإذن الله فمن التعوذات والرقى الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسى، وأخر سورة البقرة وسورة الاخلاص، ومنها التعوذات النبوية نحو (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق[3]).

ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل، والنهار، ومن شر طارق الليل إلا طارقا يطرق بخير

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٤/١٧٢.

(٢) عمدة القارى، صحيح البخارى جـ١٤/٧٢٠.

(٣) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/١٣٢ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨/٢١٧.

يا رحمن(١). وغير ذلك من الدعوات المذكورة فى كتب الحديث فمن أراد المزيد فليراجعها فى محلها ففيها الخير الكثير والنفع العميم ومن جرَّب عرف مقدار نفع الدعاء وشدة الحاجة إليه، والدعوات تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه. نعم كلمات الله حصن للمعيونين وملاذ للخائفين.

رأى علماء الطب فى الحسد(٢).

يقول الأستاذ الدكتور على محمد مطاوع أول عميد لكلية الطب جامعة الأزهر: المعروف أن كل القوى الميكانيكية والطبيعية والكيماوية والحيوية إذا أسيىء استعمالها يمكن أن تسبب أمراضا فى الإنسان.

---

(١) والحديث بتمامة أخرجه أحمد فى المسند جـ٣/٤١٩ عن سيار بن حاتم أبو سلمة العنزى قال: ثنا جعفر يعنى ابن سليمان قال: ثنا أبو التياح قال: قلت لعبد الرحمن بن حنبش التميمي وكان رجلاً كبيراً، أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم قال: قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحددت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يامحمد قل قال: «ما أقول؟ قال: « قل أعوذُ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من لسماء ومن ما يعرج فيها من شرفتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن قال: فطفئت نارهم. وهزمهم الله تبارك وتعالى

إسناد الحديث

سيار بن حاتم العنزى (صدوق له أوهام) تقريب التهذيب جـ١/٣٣٧ والميزان جـ٢/٢٥٣ جعفر بن سليمان الضبيعى روى له (م عو) صدوق زاهد لكنه يتشيع تقريب التهذيب جـ١/٩٠ وميزان الاعتدال جـ١/٤٠٨ أبو التياح يزيد بن حميد الضبعى (ثقة ثبت) تهذيب التهذيب جـ٩/٣٢٥ والتقريب جـ١/٦٧٠.

عبد الرحمن بن حنبش التميمى صحابى الإصابة جـ٤/٢٥٤ الحديث إسناده: حسن.

(٢) الحسد تمنى زوال النعمة عن المحسود من غير سعى فى إزالتها فإن سعى كان باغيا.

ويضاف إلى هذه القوى المرئية – سواء بالعين أو بالاستعانة بالميكروسكوبات قوى أخرى لا ترى، ومنها: الأشعة والجن، وقوى الإنسان النفسية، مثل الحسد الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم، وبين لنا رسول الله ﷺ الوقاية منه ووسائل علاجه.

والحسد مظهر من مظاهر تأثير قوى النفس فى النفوس الأخرى، ويمثل الجانب السيء منها إذ لا يخفى أن للنفوس الصالحة النقية تأثيراً طبيعياً على النفوس التى تنفعل بها، وهذه الطاقة النفسية تزيد وتنقص تبعا لاختزانها، وتصريفها بإعطاء النفس مشتهياتها ورغباتها، فمن خالف نفسه زادت عنده الطاقة النفسية، ومن أسرف فى شهواته وهوى نفسه نقصت عنده هذه الطاقة.

وتوجيه هذه الطاقة النفسية إلى أى شيء بقصد الضرر تسبب ضرراً.

والنفس بطبيعتها أمارة بالسوء قال تعالى ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) ولكى تمنع التأثير السيء لقوى النفس يجب أن تذكر الله عند رؤية أى شيء قال تعالى ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾(٢).

فذكرك «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» يمنع التأثير السيء لقوى النفس، والتى تكون قوية جداً فى البخلاء لأنهم يحرمون أنفسهم عن كثير مما أحل الله من الطيبات، وحرمان النفس من مشتهياتها يزيد من طاقتها النفسية.

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٥٣.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٣٩.

وقد يسيء الإنسان إلى نفسه وإلى أحب الناس إليه إذا لم يقل «ما شاء الله لا قولة إلا بالله» ويترك للنفس الأمارة بالسوء العنان فتسيء إلى كل شيء تقع عليه العين، ولو كان أحب الناس إليه، ويجب أن لا ننسى أن الإنسان خلق من تراب، ثم من نطفة، ثم نفخ فيه الروح، وأن هذه الروح إذا دخلت جسم الإنسان وأشتغلت بمطالب الجسد سميت نفسا، وأن الإنسان إذا أطاع نفسه ولم يقاوم رغبات النفس وهواها كان أقرب ما يكون إلى طريق الشيطان.

وهكذا نرى أن الطاقة الروحية في الإنسان تظهر وتنفعل بها الأشياء وتتفاوت قوتها وتأثيراتها بحسب اتباع الإنسان لمنهج الله ....، فإذا كان تقيا صالحا فإن الله يجرى على يديه شفاء النفوس والأجساد..، وإن كان يحارب نفسه وهواه ولكنه لا يطيع أمر الله فى كل أو كثير مما أمر به فإن نفسه الأمارة بالسوء تكون هي المسيطرة على قواه الروحية، ولذلك تنفعل الأشياء والأجسام وتظهر آثارها على هيئة أضرار تصيب هذه الأشياء (١).

الحسد فى ميزان العلم الحديث:

يقول الدكتور/ عبد الرزاق نوفل بعد أن ذكر سورة الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(٢).

الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود، فهل له شر أخطر من مجرد التمني؟ إن القرآن الكريم جاء فى ذلك صريحاً، فهو يقول: استعيذوا بالله لامن الحاسد نفسه بل من شره، وليس من شره فقط بل

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/١٢٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) سورة الفلق آية رقم ٢ - ٥.

من شره إذا حسد، فكأن الحاسد ليس منه ضرر إلا إذا عمد إلى الشر، وكان في حسده إيجابياً.

ولم يظهر عمق هذه الآية طبيا ونفسياً إلى أن يكشف العلم عن الحسد والحساد وتأثير الحسد في نفس الحاسد، ودور الشر الذي يلعبه، فجاء العلم ليفسر الآية ويستقيم معها.

يقول العالم البشري والنفسي الدكتور «بيتر شتا نيكرون» إن الحسد أشبه بساحرة لها ثلاثة رءوس:

أحدها: الحسد... أما الإثنان الآخران فهما الحقد والغيرة...، وإينما استشعرت في إنسان الحقد والغيرة فاعلم أن الحسد موجود فيه.

ويقل الدكتور «فيكتور بوشية» إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد، وإنها لآفات تنتج سموما تضر بالصحة، وتقضي على جانب كبير من الطاقة والحيوية اللازمتين للتفكير والعمل.

وآخر ما أمكن للعلم أن يصل إليه في هذا الشيء ما أعلنته الجامعات ومعاهد العلم من أن العين تخرج منها أشعة تستطيع التأثير عن بعد في الماديات، فقد تمكنت فتاة في روسيا أن تفصل صفار البيض عن بياضها وهي في وعاء وعن بعد. وتمكن أحد العلماء من متابعة فتاة أخرى استطاعت تحريك إبرة البوصلة في اتجاهات مختلفة بمجرد توجيه النظر إليها.

وحديثا أثبت علم «الراد يستتريه أن الأجسام السليمة ينبعث منها أشعة مستقيمة لا عوج فيها، وأنه في حالة اعتلال الصحة تتقوس هذه الأشعة بحيث إذا جلس صحيح البدن بجوار المريض أثرت أشعة المريض المتقوسة على الأشعة المستقيمة للسليم بحيث تحنيها وتسبب له المرض.

ولقد أصبح للأشعة الحيوانية أو المغناطيسية الحيوانية كما يسمونها نظريات ثبت صحتها وأصبح لذوى الخبرة استعمالها أفعال تبعث على الدهشة إذ قد تعرض بعض علماء الغرب لهذه النظريات بتوسع وقالوا: إن بعض المعالجين فى الشرق (الصوفيون المسلمون) يستطيعون أن ينقلوا الأمراض إلى غيرهم... وهذا يبين مدى القوة الروحية التى يملكونها.

وقال هؤلاء البحاث: إن هؤلاء المعالجين عند رغبتهم فى أداء العمل يفرغون عقولهم تفريغا تاما ثم يركزونها على تصور ألم المريض بحيث تنتج ظروفا مماثلة لما يشكو منه المريض نفسه، ثم يسحبون خلال الأشعة المنبعثة فى جسم المريض حيث يوجهونها كيف شاءوا.

وقد خطب الدكتور ران بجامعة (كورنل) فى مجمع تقدم العلوم الأمريكى بمدينة (سيراكوز) فقال: إنه قام بالتجارب العلمية الدقيقة، فثبت له فيها أن العين البشرية إذا حدقت فى خلايا الخميرة فإن تلك الخلايا تتلف، لأن أشعة خفية غير متطورة تنبعث منها وتؤثر فى الخلايا... كما تنبعث الأشعة فوق البنفسجية من بعض المصادر وتؤثر فى النبات والإنسان والحيوان على وجه معلوم.

لقد تكلم العلماء فى عصرنا – كما سبق – عن أشعة غير مرئية تخرج من عين الحاسد فتصيب من يحسده وأثبتوا أن الأنسان فى حالته إنما هو محصلة لعدة قوى وظروف، ما يراه منها أو فيها أكثر مما لا يراه، وهكذا ينهض الإنسان من نومه نشيطا مرحا سعيدا بلا سبب ظاهر وفى يوم آخر ينعكس ذلك دون سبب واضح له ومن عجب أن العلم يقرر أن وجود شيئ ما قد لا يخطر ببال، هو الذى أشاع حوله هذه الموجات المضطربة من الإحساسات التى تسبب الضيق والتبرم بل والمرض[1].

(١) القرآن والعلم الحديث صـ ٢٨ – ٣١..

وهكذا يضع التقدم العلمي في علم النفس تفسيرا علمياً للحسد المذكور في سورة الفلق والذي أثبتته السنة ليثبت أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يسبقان العلم الحديث في كافة اتجاهاته، وسيظل لهما فضل السبق إلى أن تقوم الساعة، ونحن نعتقد بصحة ما جاء به القرآن والسنة النبوية ونترك للعلم اجتهاداته وبحوثه ليؤكد صحة اعتقادنا بعد نحو ١٤٢٠ عاما من الإجتهاد الدءوب في تفسير القرآن الكريم وشرح السنة النبوية، فإن اتفق العلماء مع الدين أصابوا، وإن أخطئوا واختلفوا فمن قصور نظرياتهم وخطأ إدراكهم، وعدم الاعتداد بكلماتهم والوثوق في نظرياتهم.

الرقى التي ترد العين:

ذكر ابن القيم أن من الرقى التي ترد العين ما ذكره عبد الله الساجي، أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة، وكان في الرفقة رجل عائن، قلما نظر إلى شيء إلا أتلفه، فقيل لأبي عبد الله: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين غيبة أبي عبد الله، فجاء إلى رحله ، فنظر إلى الناقة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأخبر أن العائن قد عانها. وهي كما ترى، فقال: دلوني عليه، فدل، فوقف عليه، وقال: بسم الله، حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، رددت عين العائن عليه. وعلى أحب الناس إليه ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1]، فخرجت حدقتا العائن، وقامت الناقة لا بأس بها[2].

---

(١) سورة الملك اية رقم ٣ ـ ٤.

(٢) زاد المعاد لابن القيم جـ٤/١٣٨.

حكم تعليق التمائم و الأحجبة للوقاية من الحسد:

لا يجوز تعليق التمائم والأحجبة للوقاية من الحسد، وما اعتاده الكثير والكثيرات من جهلة هذه الأمة من تعليق خرزه زرقاء، وحدوة حصان، أو حافر حمار، أو فردة حذاء قديم أو أجراس صغيرة، أو قرون حيوانات أو ذيولها، كما اعتاد كثيرون وكثيرات الذهاب إلى الدجلة وكتاب الأحجبة لكتابة حجاب لزواج، أو لطرد الجن أو إبطال العمل والسحر، أو الطلاق ووقف الحال أو المحبة أو الكراهية بين الأزواج أو غير ذلك ممن تشاهدو تسمع ويروج لها الجهلة ضعاف العقول والعقيدة، وسواء علقت هذه التمائم والأحجبة والحروز الآدمين أو علقها الآدمي على ممتلكاته من منازل أو سيارات أو ماشية فإن هذا لا يجوز شرعا والدليل على ذلك ما رواه عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من علق وديعة فلا ودع الله له، ومن علق تميمة فلا تمم الله له(١) ».

وعن عبد الله بن عتبة بن مسعو عن زينب أمرأة عبد الله أنها أصابها حمرة في وجهها فدخلت عليها عجوز فرقتها في خيط فعلقته عليها فدخل ابن مسعود ﷺ فرآه عليها فقال: ما هذا فقالت: استرقيت من الحمى فمد يده فقطعها ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك قالت: ثم قال: إن رسول الله ﷺ حدثنا أن الرقى والتمائم والتولة شرك «قال: فقلت وما التولة قال: التولة هو الذي يهيج الرجال(٢)»، قال ابن حجر: والتمائم جمع تميمة وهو خرز أو قلادة تعلق في الرأس، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات، والتولة – بكسر المثناه وفتح

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الرقى والتمائم : الدعاء عند عيادة المريض جـ٤/٤١٧ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٢) المستدرك جـ٤/٤١٧،٤١٨.وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأبو داود: كتاب الطب: باب في تعليق التمائم جـ٣/٣٩١ جزءا منه

الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار، وجلب المنافع من عند غير الله[1]. ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما ثبت ذلك في المرأة ترقى الرجل، فعن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن، فأمسح بيد نفسه لبركتها فسألت ابن شهاب كيف كان ينفث قال: ينفث على يديه، ثم يمسح بهما وجهه[2].

أما كتابة بعض آيات من كتاب الله وأسماء الله لتكون تمائم فقالت طائفة من العلماء بجوازه، وقالت طائفة أخرى بمنعه لحديث عقبة ابن عامر المتقدم وهو ما عليه أكثر العلماء وذلك لعموم النهي عن التمائم، وسدا للذريعة حتى لا يكبر الصغار وهم يعتقدون أن التمائم هي التي تشفي وتحفظ دون إرادة الله وأيضاً فإن ذلك يعرض القرآن للامتهان حيث يحمله من علقه في الأماكن النجسة وفي حالة الجنابة والحيض، وأن في ذلك استخفافا بالقرآن ومناقضة لما جاء به، فإن الله أنزله للهداية لا ليتخذ تمائم وأحراز النساء والأطفال.

العلاج العام لكل شكوى بالرقية:

الرقى بضم الراء وبالقاف مقصور، جمع رقية بضم الراء وسكون القاف ويقال: رقى بالفتح يرقي بالكسر من باب رمى يرمي، ورقيت فلانا بكسر القاف أرقيه، واسترقى طلب الرقية والكل بلا همز، ومعنى الرقية التعويذ بالذال المعجمة وقال ابن الأثير الرقية والرقى والاسترقاء العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات.

---

(١) فتح الباري جـ١٠/٢٠٦.

(٢) البخاري: كتاب الطب: باب المرأة ترقى الرجل فتح جـ١٠/٢٢١.

وقد جاء فى بعض الأحاديث جوازها، وفى بعضها النهى عنها:

فمن الجواز قوله «استرقوا لها فإن بها النظرة[1]» أى اطلبوا لها من يرقيها ومن النهى قوله «لا يسترقون ولا يكتوون[2]» والأحاديث فى القسمين كثيرة، ووجه الجمع بينهما أن الرقى يكره منها.

١) ما كان بغير اللسان العربى.

٢) ما كان بغير كلام الله تعالى أو بصفة من صفاته.

٣) وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها[3].

ولا يكره منها ما كان فى خلاف ذلك، كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى والرقى المروية وفى موطأ مالك رحمه الله عن يحيى بن سعيد عن عمره بنت عبد الرحمن أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة ﵂ وهى تشتكى ويهودية ترقيها فقال أبو بكر ارقيها بكتاب الله[4] يعنى بالتوراه والإنجيل.

وعليه فهل يجوز رقية الكافر المسلم؟

فروى عن مالك جواز رقية اليهودى والنصرانى للمسلم إذا رقى بكتاب الله، وهو قول الشافعى، وروى عن مالك أنه قال: أكره رقى أهل

---

(١) صحيح البخارى: كتاب الطب: باب رقية العين فتح جـ١٠/٢١٠ عن أم سلمة.

(٢) الحديث بتمامة فى صحيح البخارى: كتاب الطب: باب من اكتوى أو كوى غيره فتح جـ١٠/١٦٣.

(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير جـ٢/٢٥٥ وعمدة القارى، شرح صحيح البخارى جـ١٤/٧١٤.

(٤) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك: كتاب الجامع: باب التعوذ والرقى من المرض جـ٣/١٢١ والحديث رسناده صحيح رجاله ثقات فيه يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى: ثقة ثبت تهذيب التهذيب ٩/٢٣٨ وتقريب التهذيب ٢/٦٥٩ وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الأنصارية ثقة تهذيب التهذيب جـ١٠/٤٩٢ والتقريب جـ٢/٨٦٩.

الكتاب ولا أحبه لأنا لا نعلم هل يرقون بكتاب الله أو بالمكروه الذى يضاهى السحر(1).

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال يا محمد: اشتكيت فقال نعم: قال : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك(2).

هذا تصريح بالرقى بأسماء الله تعالى وفيه توكيد الرقية والدعاء وتكريره وقوله من شر كل نفس قيل يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمى وقيل يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين(3).

فإن قيل: فما تقولون فى الحديث الذى رواه أبو داود لا رقية إلا من عين أو حمة(4)» والحمة ذات السموم كلها.

فالجواب أنه لم يرد به نفى جواز الرقية فى غيرها بل المراد به، لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحمة، ويدل عليه سياق الحديث فإن سهل بن حُنيف قال له لما أصابته العين: أو فى الرقى خير؟ فقال: «لا رقية إلا فى نفس أو حمة» ويدل عليه سائر أحاديث الرقى العامة والخاصة، وقد روى أبو داود من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(1) عمدة القارى، فى الموضع السابق.

(2) صحيح مسلم بشرح النووى: كتاب السلام: باب الطب والمرض والرقى جـ14/ 170.

(3) وانظر شرح النووى نفس الموضع السابق.

(4) سنن أبى داود: كتاب الطب: باب ما جاء فى الرقى جـ3/ 393 عن سهل بن حنيف .

«لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم يرقأ [1]» وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ : «رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة[2]».

ومما تقدم تعلم أن الرقية نافعة بإذن الله تعالى فبها تطيب النفس لأنها بذكر الله تعالى وقد قال جل وعلا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] أي تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا، ولهذا قال: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» أي هو حقيق بذلك وأساس الأمراض المرض النفسي فإذا برأ الإنسان منه صح من كل مرض عضوى بإذن الله عز وجل وبإرادته، فخطأ الطبيب إصابة الأقدار. وكما يقول القائل.

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألقيت كل تميمة لا تنفع

فالأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية - بإذن الله - ولكن تستدعي قبول المريض وقوة وهمة الفاعل وتأثيره، قال الشوكاني: التداوي بالدعاء مع الإلتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير ولكن ينجع بأمرين:

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الطب: باب ما جاء في الرقى جـ٣/٢٩٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب السلام: باب الرقية من العين والنملة والحمة جـ١٨٤/١٤ عن أنس رضي الله عنه .

(٣) سورة الرعد آية رقم ٢٨.

أحدهما: من جهة العليل... وهو صدق القصد.

والثاني: من جهة المعالج وهو توجه قلبه إلى الله وقوته بالتقوى والتوكل على الله تعالى ... وقال: وهو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني(١).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصاحبته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

د/ رزق رزق عامر حسن

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني جـ٨/٢٠٣-٢١٤.

أهم المراجع

القرآن الكريم

إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي ط دار مصر للطباعة

الأصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان

التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادرعودة ط مؤسسة الرسالة

الإعجاز العلمي في الاسلام عبد الضمد كامل ط الدار اللبنانية المصرية

الفقة الإسلامي د/ وهبة الزحيلي ط دار الفكر بيروت لبنان

الله والعلم الحديث د/ عبد الرزاق نوفل ط مطبعة الشروق مصر

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ط دار الفكر للنشر والتوزيع

تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي ط دار الفكر

تحفة النساك في فضل السواك للشيخ/ عبد الغني الغنيمي ط مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب

تقريب التهذيب لابن حجر ط دار الفكر للطباعة والنشر

تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك – للسيوطي ط المكتبة الثقافية.

تهذيب التهذيب لابن حجر: ط دار الفكر للطباعة والنشر

جمع المنافع في الطب القديم محمد بيب بن سيد ط دار الحاوي للطباعة والنشر

حقيقة الحسد وعلاج المحسود مجدي محمد الشهاوي ط المكتبة التوفيقية – مصر

زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ط دار الفكر للطباعة والنشر

دفاع عن السنة أ.د/ محمد أبو شهبة ط دار الجيل – بمصر

سبل السلام شرح بلوغ المرام للإمام الصنعاني

ط دار الحديث بمصر سنن أبي داود

ط الفكر بيروت – لبنان

سنن ابن ماجة بتحقيق الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي

ط دار الريان للتراث

سنن الترمذي ط دار الفكر بيروت لبنان

سنن الدارمي ط دار الريان للتراث القاهرة

سنن الدار قطني وبذيله التعليق المغني

ط دار المحاسن القاهرة

سنن النسائي ط دار الفكر بيروت لبنان

شرح صحيح مسلم للنووي ط دار الريان للتراث

شرح صحيح البخاري (فتح الباري)

ط دار الريان للتراث

شعب الإيمان للبيهقي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان

شرح معاني الآثار للطحاوي ط مطبعة الأنوار المحمدية – القاهرة

صحيح البجاري ط دار الريان للتراث

صحيح مسلم ط دار الريان للتراث

الطب الإسلامي شفاء بالهدى القرآني د / محمود أحمد نجيب

ط دار التوفيق النموذجية

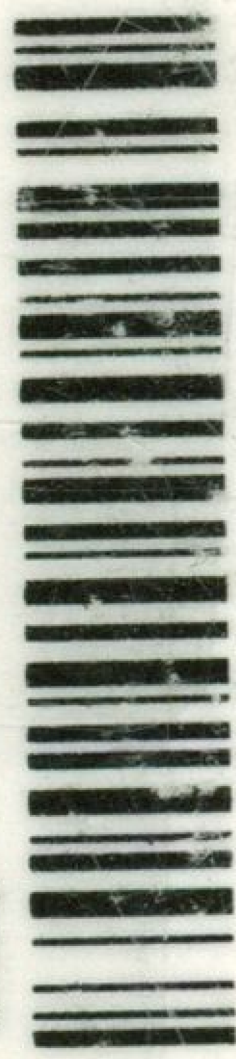
الطب النبوي لابن القيم الجوزية

ط مطابع المجموعة المتحدة

الطب النبوي د/ علي مؤنس ط مؤسسة الأخبار

الطب الوقائي في الإسلام د / أحمد شوقي الفنجري

ط الهيئة المصرية العامة للكتاب


Bibliotheca Alexandrina
1132628